



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الْمَقَدِّمَةُ

مِنْ مَعْرِفَةِ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ بِهَا

مَقَدِّمَاتُ الْأُمَّةِ

المجلد الثالث

حَدِيثُ الْأَكْبَادِ

تَرْجُمَةُ الْأَكْبَادِ

أَكْبَادُ الْأُمَّةِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ بِهَا
الْمَقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من فقه الزهراء عليها السلام

كاتب:

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشرت في الطباعة:

مؤسسة الرسول الاكرم (صلي الله عليه وآله وسلم)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
14	من فقه الزهراء عليها السلام المجلد 3
14	اشارة
14	اشارة
18	مقدمة المؤلف
19	نداء الناس
21	من أحكام النداء
23	التعريف بالنفس
29	لماذا (وأبى محمد)؟
31	التأكيد والتكرار
33	عصمتها (عليها السلام)
33	حرمة القول بالغلط
35	لماذا رسول من أنفسكم؟
35	من مواصفات القائد
36	الحرص على الرعية
37	بين الرأفة والرحمة
39	التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله)
40	الانتساب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)
41	أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)
42	ذكر فضائل على (عليه السلام)
44	الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله)
47	تبليغ الرسالة
48	الإنذار أبداً

- 50 الميل عن طريقة المشركين
- 51 التشبه بالكفار
- 51 التركيز على أئمة الكفر
- 52 منهج التصدي للأعداء
- 53 استعراض قوة الإسلام
- 54 الدعوة بالحكمة
- 55 القضاء على الأصنام
- 56 القضاء على أئمة الضلال
- 57 تخليد ذكرى القائد
- 58 مواصلة المعركة
- 59 الحقيقة الكاملة
- 61 إسناد زعماء الدين
- 62 إسكات أصوات الشياطين
- 63 القضاء على النفاق
- 65 حل مراكز قوى الأعداء
- 66 وجوب النطق والتجاهر بكلمة الإخلاص
- 67 التقوى والزهد من المقومات
- 69 تذكّر النعم السابقة
- 70 وجوب الإنقاذ
- 72 حرمة إذلال المؤمن نفسه
- 75 العزة في كل شؤون الحياة
- 76 الإرشاد لمواطن الضعف
- 76 حرمة الاستسلام للاستعمار
- 77 كراهة شرب الطرق
- 78 كراهة أكل القد والورق

79	الذلة النفسية والسياسية
82	انتهاج منهج الجاهليين
85	ضمانات للمستقبل
88	حرمة الاختطاف والعنف
90	إنقاذ المسلمين
91	الإنقاذ من الله وبالعامل بمنأجه
95	التبني على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله)
97	المخرج من المشاكل
100	بهم الرجال وذؤبانهم
101	مذمومة الصفات السبعية
102	المعارضة علماء وجهلة
104	استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله)
105	حرمة إشعال الحروب
106	وجوب إطفاء الحرب
107	التعلل لعدم التدخل
107	أصالة السلم
108	الحروب الدفاعية
110	إسناد الأفعال لله
114	إعداد العدة
114	المبادرة
115	ترصد الفتن
117	الموقف المناسب
117	الأدب التصوري
118	التعرض لصفات الإمام (عليه السلام) والتعريف به
119	التهلكة

- 121 وجوب التضحية .
- 122 بين التخصص والتنوع .
- 123 التصدى بسرعة .
- 123 التضحية بالمهم .
- 124 التركيز على مركز الفساد .
- 124 التضحية حتى بالأحب .
- 125 انتخاب الكفاء .
- 127 ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) .
- 128 الشهادة الثالثة في الأذان .
- 129 اللهوات .
- 130 التراجع .
- 131 الأقل والأكثر الإرتباطيان .
- 131 إذلال الكفار .
- 133 إذلال رؤوس الفتن .
- 133 اخماد لهب النيران .
- 134 علم التاريخ .
- 136 الكد حسن أم قبيح؟ .
- 138 الكد في ذات الله .
- 139 وجه الاستدلال على الخلافة .
- 140 أصالة الأسوة .
- 141 من صفات القائد .
- 143 القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) .
- 145 ذكر الفضائل .
- 145 مقتضى السيادة المطلقة .
- 146 الإخبار في مقام الإنشاء .

- 147 على أهبة الاستعداد
- 148 النصيحة لله
- 152 الجدل والكذب
- 154 هل الرفاهية مذمومة؟
- 155 مواساة الشعب للقائد
- 159 أقوى من العلامة
- 162 تربيص الدوائر بالمؤمنين
- 164 التجسس والتحسس والتوكف
- 165 الإحجام عن المعركة
- 166 من حقوق المعارضة
- 167 الفرار من الزحف
- 170 الإرشاد للنواقص
- 170 معاتبة القائد والامة
- 172 تكاملية الدنيا والآخرة
- 173 الإحياء والإماتة بيد الله
- 174 أقسام النفاق
- 176 إظهار النفاق محرم
- 179 المحافظة على نضارة الدين
- 181 تستر أهل الضلالة
- 181 لزوم الحذر
- 182 الفاعل والساكت الراضى
- 183 من أساليب المبطلين
- 184 دراسة سنن الحياة
- 185 الشيطان فى مسرح القلوب
- 185 خطارة كالجمل الفنيق

186 مواصفات المعارضين للإمام (عليه السلام)
187 فسح المجال لقوى الشر
188 مكامن الشيطان
191 الاستجابة للشيطان
192 الثبات على العقيدة
192 أرضية الاستجابة
193 الاغترار الفكرى والعاطفى
195 التراجع عن الدين
196 هل الأصحاب كالنجوم؟
198 وقور عند الهزاهز
199 الأصل: النهضة أم التحفظ؟
201 من أسلحة الشيطان
202 الشيطان وسياسة الخطوة خطوة
203 التصرف فى ملك الغير
204 وجهان للقضية
205 مصادرة الحقوق
206 جواز الكناية
207 حرمة نقض العهد
209 وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)
211 التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام)
212 عدم دفن الرسول (صلى الله عليه وآله)
215 المسارعة للشر
217 تبرير المعصية
218 مثلث المعصية
220 السقوط فى الفتن

236	الكفر موضوعا وحكما
241	نافذة نحو العالم الآخر
246	جمع القرآن
246	عدم تحريف القرآن
247	حجية الكتاب
247	القرآن كالشمس
249	الأحكام الزاهرة
250	من العلامات القرآنية
253	من النواهي الإلهية
254	ومن الأوامر الإلهية
255	من مميزات القانون الإلهي
256	هجر القرآن وتركه
257	اتباع من هجر القرآن
257	الرغبة عن القرآن
259	الحكم بغير القرآن
263	بش للظالمين
264	أقسام الظلم
266	أصول الدين
270	الطريق إلى الله
271	الخلافة والظلم
274	الحيطة من أهل الباطل
275	أقسام المكر
276	الإعانة على الإثم
277	التفكيك بين الظلم والظالم
279	الرضا بفعل الظالم

- 279 تقوية شوكة الظالمين ..
- 281 ما يؤدي إلى الغضب ..
- 282 الاستجابة لهتاف الشيطان ..
- 283 التحذير من مساوىء الشيطان ..
- 285 استجابتهم المطلقة للشيطان ..
- 288 مقتضى الأصل في هتاف الشيطان ..
- 288 إطفاء نور الدين ..
- 289 الدين جلى واضح ..
- 290 هل للدين أنوار؟ ..
- 291 إلغاء سننه (صلى الله عليه وآله) محرم ..
- 293 إلغاء السنن يوجب الفسق ..
- 293 هل المكروه محرم؟ ..
- 296 حسن الحذر والاحتياط ..
- 297 حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام) ..
- 298 من هم الأهل ..
- 299 الأسباط أبناء ..
- 299 وجوب الصبر فى الجملة ..
- 301 إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام) ..
- 305 مما يستحب للمظلوم ..
- 306 المظلوم والرأى العام ..
- 306 صبر القائد ..
- 307 أسلوب مواجهة الطغاة ..
- 309 الساكت على الظلم ..
- 310 تطويق الباطل ..
- 311 متى يجوز النقل بالمضمون ..

- 311الحكم بفسقهم
- 312أحكام الله لا تتبدل
- 312لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام)
- 313ابتغاء حكم الجاهلية
- 314لا أحد أحسن من الله حكماً
- 315لا حسن في غير حكم الله
- 318من أساليب الدعوة
- 320من مصادر التهميش
- 331الفهرس
- 343تعريف مركز

إشارة

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

من فقه الزهراء

سلام الله عليها

المجلد الأول

حديث الكساء

المرجع الديني الراحل

(أعلى الله درجاته)

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء سلام الله عليها

المجلد الأول

حديث الكساء

المرجع الديني الراحل

(أعلى الله درجاته)

ص: 1

إشارة

من فقه الزهراء ع

ج 3

آية الله العظمى

الامام السيد محمد الحسينى شيرازى

(قدس سره الشريف)

الطبعة الثانية

1421 هـ - 2000 م

تهميش وتعليق:

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان ص.ب: 6080 شوران

البريد الإلكتروني: almojtaba@shiacenter.com

الفقه

موسوعة استدلالية فى الفقه الإسلامى

من فقه الزهراء ع

المجلد الثالث

خطبتها فى المسجد

القسم الثانى

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية

السلام عليك أيتها التقية النقية

السلام عليك أيتها المحدثة العليمة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة

السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله

ورحمة الله وبركاته

البلد الأمين ص 278. مصباح المتهجد ص 711

بحار الأنوار ج 97 ص 195 ب 12 ح 5 ط بيروت

ص: 3

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فهذا الجزء الثالث من كتاب (من فقه الزهراء)، صلوات الله وسلامه عليها، أسأل الله سبحانه التوفيق والقبول، إنه سميع مجيب.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

ص: 4

ثم قالت: أيها الناس

نداء الناس

مسألة: ربما يقال بأنه ينبغي نداء الناس فى مطلع كل حديث مهم، وقد خاطب الله سبحانه الناس بقوله: «يا أيها الناس» (1) و«يا أيها الذين آمنوا» (2) فى كثير من آيات الذكر الحكيم (3)، كما خاطب أيضا بقوله تعالى: «يا بنى آدم» فإنه ذكر خمس مرات فى القرآن الكريم (4).

وجاء فى بعض الآيات: «قل يا أيها الناس» (5).

وكذلك الأمر فى كثير من الأحاديث القدسية (6) والروايات التى تبدأ ب- (يا ابن آدم) أو شبيهه.

وشواهد الرجحان وأدلة الأسوة قد تدل على الاستحباب وإن احتمل كون ذلك جريا على العادة الجارية فى العرف، فليس من المستحب بل من المباح، لن الأول اقرب (7)، فتأمل.

قال تعالى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم

ص: 5

-
- 1- راجع مثلاً: سورة البقرة: 21 و168، وسورة النساء: 1 و170 و174، وسورة يونس: 23، وسورة الحج: 1 و5 و..
 - 2- راجع مثلاً: سورة البقرة: 104 و153 و172 و183 و178 و208، وسورة آل عمران: 100 و102 و118 و130 و149 و156 و200، وسورة النساء: 19 و29 و43 و59 و71 و94 و..
 - 3- جاء قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا» 89 مرة فى القرآن، و«يا أيها الناس» 20 مرة.
 - 4- راجع سورة الأعراف: الآيات 26 و27 و31 و35 وسورة يس الآية 60.
 - 5- انظر مثلاً: سورة يونس: 104 و108. ولا يخفى ما فى كلمة «قل» من الدلالة.
 - 6- راجع (كلمة الله) لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازى (قدس سره).
 - 7- من الواضح ان خطاب الجمهور يوجب شد الأسماع وتركيز الأفكار فىكون الحديث أقوى فى التأثير.

تتقون» (1).

وقال سبحانه: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» (2).

وقال تعالى: «قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله» (3).

وقال سبحانه: «قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم» (4).

وقال تعالى: «وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير» (5).

وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان» (6).

وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» (7).

وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين» (8).

وفى الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى: «يا بن آدم اطعني فيما أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك» (9).

ص: 6

1- سورة البقرة: 21.

2- سورة الأعراف: 158.

3- سورة يونس: 104.

4- سورة يونس: 108.

5- سورة النمل: 16.

6- سورة البقرة: 208.

7- سورة النساء: 29.

8- سورة النساء: 144.

9- الخرائج والجرائح: ص 249 - 250. وهناك روايات أخرى ورد فيها الخطاب ب- (يا بن آدم) مثل: سئل الإمام الحسين (عليه السلام) عن أصوات الحيوانات، فقال (عليه السلام): «إذا صاح النسر فانه يقول: يا ابن آدم عش ما شئت فأخره الموت.. وإذا صاحت السمانة تقول: يا بن آدم ما أغفلك عن الموت...»، الخصال: ص 4 ح 8. وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «يا ابن آدم انك لا تزال بخير مادام لك واعظ من نفسك...» الحديث، مشكاة الأنوار: ص 246، الفصل الأول: في عيوب النفس ومجاهدتها.

من أحكام النداء

مسألة: هناك أحكام وآداب ترتبط بالنداء المذكورة في محلها، فمن النداء ما هو واجب ومنه مستحب ومنه حرام ومكروه ومباح، كل في مورده، قال تعالى: «ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون»(1).

وقال تعالى: «ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ان آمنوا بربكم»(2).

وقال سبحانه: «وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين»(3).

وقال تعالى: «ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون»(4).

وقال سبحانه: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون»(5).

وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً وسلمان وأبا ذر بأن ينادوا بأعلى أصواتهم أنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه فنادوا بها ثلاثاً»(6).

وفي شعر حسان بن ثابت يوم الغدير:

يناديهم يوم الغدير نبيهم

بخم وأسمع بالنبى مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم

فقالوا ولم يبدوا هنالك التعاديا

إليك مولانا وأنت ولينا

ولا تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا على فإننى

رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

هناك دعا اللهم وال وليه

وكن للذى عادى علياً معاديا(7)

- 1- سورة الصافات: 75.
- 2- سورة آل عمران: 193.
- 3- سورة الأنبياء: 89.
- 4- سورة الزخرف: 51.
- 5- سورة الحجرات: 4.
- 6- مشكاة الأنوار: ص 215 الفصل العاشر فى حق الجار.
- 7- المناقب: ج 3 ص 26 - 27 فصل فى قصة يوم الغدير، وخصائص الأئمة: ص 42.

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصدقات، فقال (عليه السلام): «أقسمها فيمن قال الله عزوجل ولا تعط من سهم الغارمين الذين ينادون بنداء الجاهلية شيئاً، قلت: وما نداء الجاهلية، قال: هو الرجل يقول يا لبنى فلان، فيقع بينهما القتل والدماء»(1).

وفى الحديث: إن من أسماء فاطمة الزهراء (عليها السلام): (محدثثة) لأن الملائكة كانوا ينادونها يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقتنى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين، وتحدثهم(2).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

«يمثل لفاطمة رأس الحسين متشطحاً بدمه، فتصيح واولداه، واثمرة فؤاده، فتصيح الملائكة لصيبة فاطمة (عليها السلام) ويادون أهل القيامة: قل الله قاتل ولدك يا فاطمة، قال فيقول الله عز وجل أفعل به...» الحديث(3).

وقولها(4) صلوات الله عليها: (ثم)(5) لا يقصد به وجود فاصل زمني بين الكلامين بل الفصل الرتبي، حيث كان الكلام حتى هذا المقطع يدور حول الأصول والفروع، والكلام من هنا يبدأ حول قضية حقها المسلوب حيث جاءت (عليها السلام) إلى المسجد لإثبات الحق وإحقاقه.

اعلموا أنى فاطمة

التعريف بالنفس

مسألة: يستحب أن يعرف الإنسان نفسه للناس إذا كان فيه الفائدة، ولذا عرف الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) نفسه في يوم كربلاء، حيث قال بأعلى صوته: «أنشدكم الله هل تعرفوننى.. أنشدكم بالله هل تعلمون أن جدى رسول الله... أنشدكم الله هل تعلمون أن أبى على بن أبى طالب... أنشدكم الله هل تعلمون أن أمى فاطمة الزهراء بنت محمد

ص: 8

1- مستطرفات السرائر: ص 607.

2- العدد القوية: ص 226 نبذة من أحوال الصديقة الطاهرة (عليها السلام) وكيفية ولادتها.

3- ثواب الأعمال: ص 219 عقاب من قتل الحسين (عليه السلام).

4- أى قول السيدة زينب (عليها السلام) التى روت الخطبة.

5- حيث قالت عليها السلام: (ثم قالت: اعلموا انى فاطمة ..)

المصطفى.. وان جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً... وأن حمزة سيد الشهداء عم أبي.. وأن جعفرًا الطيار عمي..»(1).

وقال (عليه السلام):

أنا الحسين بن علي

أحمى عيالات أبي

آليت أن لا أثنى

أمضى علي دين النبي(2)

وكذلك الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) في المسجد الجامع في الشام، حيث قال (عليه السلام): «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا بن محمد المصطفى..»(3).

وعن أبي ذر انه قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: علي (عليه السلام) قائد البررة، علي قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ملعون من جحد ولايته» الحديث(4).

من غير فرق بين أن يكون التعريف بالاسم أو بالوصف، وقد جاء في القرآن الحكيم: «إني رسول الله إليكم جميعاً»(5) وما أشبه ذلك(6).

ومن هذا الباب ما ورد من حديث المفاخرة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وولده الحسين (عليه السلام) وما أشبهه، فقد ورد:

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فدخل الإمام الحسين (عليه السلام) فأخذه النبي (صلى الله عليه وآله) وأجلسه في حجره... فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله أئنا أحب إليك؟...»

ص:9

1- اللهوف: 86 - 87.

2- المناقب: ج4 ص109 فصل في مقتله (عليه السلام).

3- الاحتجاج: ص311، احتجاج علي بن الحسين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه.

4- إرشاد القلوب: ص220.

5- سورة الأعراف: 158.

6- وانظر أيضا سورة الصف: 5 و6، وفيها: « وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون إني رسول الله إليكم ... »، و « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا ... » .

فقال الحسين: يا أبتى من كان أعلى شرفاً كان أحب إلى النبي.

قال علي (عليه السلام) لولده: أتفاخرنى يا حسين.

قال: نعم يا أبتاه إن شئت.

فقال علي (عليه السلام): أنا أمير المؤمنين، أنا لسان الصادقين، أنا وزير المصطفى... أنا قائد السابقين إلى الجنة... أنا حبل الله المتين الذى أمر الله تعالى خله أن يعتصموا به فى قوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً»⁽¹⁾، أنا نجم الله الزاهر... أنا الذى قال الله سبحانه فيه: «بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»⁽²⁾، أنا عروة الله التى لا انفصام لها، أنا باب الله الذى يؤتى منه.. أنا بيت الله من دخله كان آمناً، فمن تمسك بولايتى ومحبتى أمن من النار... أنا «عم يتساءلون»⁽³⁾ عن ولايتى يوم القيامة... أنا النبأ العظيم... أنا حى على الصلاة، أنا حى على الفلاح، أنا حى على خير العمل... - إلى أنا قال (عليه السلام): - أنا قسيم الجنة والنار. فعندها سكت علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله) للحسين: أسمعت يا أبا عبد الله ما قاله أبوك وهو عشر عشر معشار ما قاله من فضائله ومن ألف ألف فضيلة، وهو فوق ذلك أعلى... فقال الحسين (عليه السلام): يا أبت أنا الحسين بن علي بن أبى طالب، وأمى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وجدى محمد المصطفى سيد بنى آدم أجمعين، لا ريب فيه، يا علي إن أمى أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين، وجدى خير من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين... - إلى أن قال: - يا علي أنت عند الله تعالى أفضل منى، وأنا أفخر منك بالآباء والأمهات والأجداد» الحديث⁽⁴⁾.

ص: 10

1- سورة آل عمران: 103.

2- سورة الأنبياء: 26 - 27.

3- سورة النبأ: 1.

4- الفضائل: ص 83 - 85.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يفتخر يوم القيامة آدم بابنه شيث وافتخر أنا بعلي بن أبي طالب»(1).

وفى كتاب سليم عن أبي ذر وسلمان والمقداد قالوا: «إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: أى أخى فاخر العرب فأنت أكرمهم ابن عم وأكرمهم أباً وأكرمهم أخاً وأكرمهم نفساً وأكرمهم نسباً وأكرمهم زوجة وأكرمهم ولداً وأكرمهم عمماً وأعظمهم عناءً بنفسك ومالك»(2).

كما يستحب الانتساب إلى الأب أيضاً، ولذا قالت (عليها الصلاة والسلام): (وأبى محمد).

وهكذا نجد فى كلام الإمام الحسين (عليه السلام) المتقدم وكلام غيرهما.

وقبل ذلك قال تعالى: «ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها»(3) ..

أما تعريف النفس لا بالقصد المذكور بل لأغراض شيطانية، فمن الرذائل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقى وفاجر شقى لينتهين أقوام يفخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم»(4).

وفى الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

أيها الفاخر جهلاً بالنسب

إن الناس لام ولأب

هل تراهم خلقوا من فضة

أم حديد أم نحاس أم ذهب

هل تراهم خلقوا من فضلهم

هل سوى لحم وعظم وعصب

إنما الفخر لعقل ثابت

وحياء وعفاف وأدب(5)

وأيضاً:

ص: 11

- 2- كتاب سليم بن قيس: ص 93.
- 3- سورة التحريم: 12.
- 4- شرح النهج: ج 9 ص 107 يوم نهاوند.
- 5- ديوان الإمام على (عليه السلام): ص 69.

كن ابن من شئت واكتسب أدباً

يغنىك محموده عن النسب

فليس يغنى الحسيب نسبه

بلا لسان له ولا أدب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبى(1)

وأيضاً:

ولا تمشين فى منكب الأرض فاخراً

نعماً قليل يحتويك ترابها(2)

قولها عليها السلام: (اعلموا أنى فاطمة) تعريف بنفسها الشريفة، كى لايبقى أى مجال للتشكيك بشخصية المتحدث، سواء لدى كل فرد من الجمهور الغفير الحاضر فى المسجد، أو عند الغائبين الذين يصلهم هذا الحديث والاحتجاج فى المدينة المنورة وسائر البلدان، فى ذلك الجيل أو الأجيال اللاحقة..

وبذلك فإنها (عليها السلام) قد قطعت الطريق على أية محاولة تشكيكية بصدور هذا الحديث الصاخب منها.

فلا يمكن بعد ذلك للطغاة ومرترقتهم من ذوى الأقاليم المسمومة وأصحاب الضمائر المنحرفة أن (يجهضوا) مفعول ذلك الحديث عبر سلاح (التكذيب) و(الإنكار): فمن قال إن هذا الحديث لفاطمة؟

أو من قال: إنها فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)؟(3).

ص:12

1- ديوان الإمام على (عليه السلام): ص69.

2- ديوان الإمام على (عليه السلام): ص69.

3- كما أنكر البعض وشكك آخرون فى صحة نسبة عدد من خطب وكلمات نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) أو جهل مدى صحة نسبة عدد من الكلمات إلى العديد من المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)، بل إن قسماً من الخطب والكلمات انتحلها أمثال معاوية لنفسه!.

لماذا (وأبى محمد)؟

قولها عليها السلام: (وأبى محمد) صلى الله عليه وآله، حيث إن المسلمين كانوا قد سمعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول كراراً: (فاطمة بضعة منى) (1).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «هى نور عينى وثمره فؤادى» (2).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «هى منى وأنا منها» (3).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله تعالى فطم من أحبها من النار» (4).

وفى حديث: «لأنها فطمت هى وشيعتها من النار» (5).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة منى من أذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله عز وجل» (6).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة منى يسخطها من يسخطنى ويرضىنى ما أرضاها» (7).

وفى حديث: «فمن أغضبها فقد أغضبنى» (8).

وفى حديث: «من سرها فقد سرنى ومن ساءها فقد ساءنى» (9).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فاطمة أعز البرية على» (10).

وقال (صلى الله عليه وآله) وهو آخذ بيد فاطمة (عليها السلام): «من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهى

ص: 13

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 102 المجلس 22 ح 3.

2- الامالى للشيخ الصدوق: ص 486 المجلس 73 ح 18.

3- راجع علل الشرائع: ص 185 ح 2 باب العلة التى من أجلها دفنت فاطمة (عليها السلام) بالليل ولم تدفن بالنهار.

4- علل الشرائع: ص 178 ح 1 ب باب العلة التى من أجلها سميت فاطمة (عليها السلام) فاطمة.

5- علل الشرائع: ص 179 ح 5 باب العلة التى من أجلها سميت فاطمة (عليها السلام) فاطمة.

6- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 16 ص 273.

7- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 16 ص 278.

8- المناقب: ج 3 ص 232 فصل فى حب النبى إياها، عن البخارى.

9- المناقب: ج 3 ص 332 فصل فى حب النبى إياها.

فاطمة بنت محمد وهى بضعة منى وهى قلبى وروحى التى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من المقرين وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرک واصطفاك على نساء العالمين» الحديث(2).

إلى عشرات الأحاديث الأخرى، فكان فى الإشارة إلى ذلك(3) إلفاتاً إلى حقيقة توجب لكلماتها (عليها السلام) وقعاً أكبر فى النفوس، فهى (عليها السلام) بت ذلك النبى الذى أنقذكم من الظلمات إلى النور ومن أسفل درجات الذلة إلى أرفع درجات العزة، وكلماتها امتداد لتلك المسيرة، وكما ضل من ضل بإعراضه عن كلامه (صلى الله عليه وآله) سيضل من سيعرض عن كلماتها (عليها السلام).

ولذلك(4) وجه آخر أيضاً: فالإشارة إلى هذه العلاقة السببية يثير عادة فى النفوس عاطفة أقوى - خاصة والنبى (صلى الله عليه وآله) قد توفى منذ فترة قصيرة والعواطف شديدة التأجج والالتهاب - مما يدفع الناس إلى تقبل أقوى لمواعظها وإنذارها(5).

أقول عوداً وبدواً(6)

التأكيد والتكرار

مسألة: يستحب التأكيد والتكرار بشكل تفصيلى أو بنحو إجمالى للمطالب المهمة، لما يتضمن من التأثير الأكبر فى تقبل المستمع للموعظة والإنذار، كما قالت عليها السلام: (عودا وبدوا). ومن هذا الباب بعض التكرار فى القرآن الكريم وإن كان لدى الدقة غير

ص: 14

1- كشف الغمة: ج 1 ص 466.

2- روضة الواعظين: 149 مجلس فى ذكر مناقب فاطمة (عليها السلام).

3- أى إلى أنها (عليها السلام) بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

4- أى: للسر فى قولها عليها السلام: (وأبى محمد).

5- وقد ذكر الإمام المؤلف دام ظله وجهاً ثالثاً لذلك قبل قليل تحت عنوان (اعلموا أنى فاطمة).

6- وفى بعض النسخ: (أقول عوداً على بدء) والمعنى واحد.

ومنه أيضا ما كرره رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التأكيد على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وانه الخليفة من بعده وذلك فى أماكن عديدة وفى مناسبات مختلفة، كما فى حجة الوداع حيث جمع الصحابة وكرر عليهم (أست أولى بكم من أنفسكم) ثلاثاً وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد على (عليه السلام) وقال: (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار)(1).

ومنه أيضا ما كرره (صلى الله عليه وآله) عندما أمر أصحابه بتجهيز جيش أسامة حيث قال: «أنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه» وكرر ذلك(2).

وكذلك ما ورد فى تكرار بعض الأدعية مثل قوله (عليه السلام): «من كان به علة فليقل عليها فى كل صباح أربعين مرة مدة أربعين يوماً: بسم الله الرحمن الرحيم...» الحديث(3).

وروى عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا حدث الحديث أو سئل عن الأمر كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه»(4). ثم انه لا فرق فى التكرار بين: التكرار باللفظ كقول ابن مالك: (كالضيغم الضيغم يا ذا السادى).

أوبالمعنى.. أو ما يدل على التكرار، كقولها (عليها الصلاة والسلام): (عودا وبدوا). وانما قدمت (عودا) مع ان الأول أسبق فى الأسلوب والتسلسل الخارجى(5) لان الكلام مكان العود وما هو المكان له يقدم كما ذكره علماء البلاغة(6)، كأنها عليها السلام تريد ان تقول: انى اقول مكرراً، ثم قالت: (وبدوا) تصريحاً بما يدل عوداً عليه تلويحاً.

قولها عليها السلام: (عودا وبدوا) أى: أولاً وآخراً، أى ان كلامى الأخير هو ذات

ص: 15

1- الصوارم المهركة: ص 176.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 6 ص 52، وشرح النهج ج 17 ص 175.

3- أنظر مصباح الكفعمى: ص 15 الفصل 18، وغيره.

4- مكارم الأخلاق: ص 20.

5- إذ (يبدأ) الإنسان بشىء ثم (يعود) إليه مرة أخرى.

6- أى ان كلامها (عليها السلام) لأهميته جدير بان يعاد مؤكداً، فهو (محل) و(محطة) لان يعاد ويكرر.

كلامى الأول، لا أن أقول شيئاً ثم أتكلم بما يناقضه ويعارضه كما هو شأن كثير من السياسيين وأرباب السلطات ومن أشبههم.

ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً

عصمتها (عليها السلام)

مسألة: إن كلامها (عليها السلام) هذا مضافاً إلى سائر الأدلة (1) يدل على عصمتها (عليها السلام)، فإن المعصوم لا يخطأ ولا يغلط ولا يشطط، والشطط هو الابتعاد عن الحق.

والفرق بين القول والفعل واضح، والكلام وإن كان فى القول هنا لكنها (عليها السلام) ذكرت الفعل أيضاً تأكيداً من باب الأولوية العرفية فمن لا يكون فعله شططاً لا يكون قوله غلطاً. وهناك وجه آخر وهو أن (القول) لدى الدقة من مصاديق (الفعل) (2).

قولها عليها السلام: (ولا أقول ما أقول غلطاً) أى أن كلامى لم يصدر إلا عن بصيرة وحكمة وهو مطابق للواقع، إذ كثيراً ما يقول القائل شيئاً ثم إذا رأى المحذور فيه قال انه أخطأ فى كلامه، وتنازل عن مقالته بهذه الحجة.

حرمة القول بالغلط

هنا مسألتان:

أ: القول بالغلط قد يكون حراماً.

وقد يكون مرجوحاً لا يمنع عن نقيضه.

وقد يكون غير ذلك (3).

إذ إن الغلط قد يقصد به العمد، وقد يراد به السهو، والقول بالغلط إذا أريد به العمد (4)

ص: 16

1- راجع مقدمة الجزء الأول من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)) حديث الكساء.

2- فيكون (لا أفعل) تأكيداً ل- (لا أقول).

3- إشارة إلى الخطأ سهواً، الذى لا ينطبق عليه حكم من الأحكام الخمسة لخروجه عن مقسمها.

4- أى قال قولاً غير مطابق للواقع عمداً.

قد يكون محرراً كما في الأحكام الشرعية أو الأمور العقائدية أو ما أشبه ذلك، وقد يكون مرجوحاً، كما إذا كان فيما لم ير الشارع لمعرفته موضوعية(1) ولا تترتب على الغلط فيه محذور ولا انطبق عليه عنوان محرم كالكذب، فتأمل.

وأما القول الغلط - إذا أريد به السهو - فهو تابع في حكمه للتقصير في مقدماته.

ب: وكذلك الأمر في كل فعل شط عن الصواب وابتعد وكان من مصاديق الظلم للنفس أو للغير، عمداً أو سهواً كما سبق.

و(شططاً) أى: ظلماً وابتعاداً عن الحق، والمراد من الفعل في قولها (عليها السلام): (ولا افعل ما افعل) هو مجيئها المسجد ومناصرتها علماً (عليه الصلاة والسلام)، والفعل يشمل الكلام أيضاً كما ان القول يشمل الفعل أيضاً وان كان ذاك على نحو الحقيقة وهذا على نحو المجاز.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المستبد متهور في الخطأ والغلط»(2).

وقال (عليه السلام): «من كثر مراؤه لم يأمن الغلط»(3).

وفي الحديث عنه (عليه السلام): «انه قضى في امرأة تزوجها رجل على حكمها فاشتتت عليه، فقضى أن لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط»(4).

وفي القرآن الكريم: «وانه كان يقول سفيهاً على الله شططاً»(5).

وقال تعالى: «فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً»(6).

وقال سبحانه: «إذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط»(7).

ص: 17

1- أى لا مثل الشؤون الاعتقادية.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 65 الفصل 12.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 464 الفصل 8.

4- دعائم الإسلام: ج 2 ص 222 فصل ذكر المهوّر ح 831.

5- سورة الجن: 4.

6- سورة الكهف: 14.

7- سورة ص: 22.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم

لماذا رسول من أنفسكم؟

مسألة: يلزم في حكم العقل ومن باب قاعدة اللطف أن يكون النبي من البشر، وقد قال سبحانه: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» (1) أى مثلكم في الخلقة.

وقال تعالى: «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون» (2).

وذلك لان البشر في مظان أن يكون أسوة وقدوة للناس (3)، أما الملك فلا، إذ الناس يقولون انه ملك وهو مجرد من دواعي المعصية وله قوى لا-نملكها وله أحكام غير أحكامنا فلا يكون لنا قدوة، وكذلك إذا كان من الجن، أو من جنس آخر. ويمكن القول بان جعله بشراً من باب اللطف ولكن ليس كل لطف واجبا، فليس سبحانه ملزما بذلك، إذ الإلزام - فيما ألزم به تعالى نفسه - إنما يكون في اصل تبليغ الرسالة، سواء كان بسبب البشر أم بسبب غير البشر، كما قرر في علم الكلام.

عزيز عليه ما عنتم

من مواصفات القائد

مسألة: يلزم أن يكون القائد بحيث يعز عليه ويشق عليه ما عنت وشق وصعب على رعيته، كما يعز على الأب ما يجرى على ابنه، إذ القائد هو الأب الروحي، ولأنه إذا لم يكن يهتم برعيته حتى يشق عليه ما يشق عليهم لا يصلح ان يكون ذلك الذي يقود سفينة الرعية نحو شاطئ السلام في خضم التيارات وأمواج الفتن وأعاصير البلاء.

ولمكانة (ما) يدل على عزة ذلك على الرسول (صلى الله عليه وآله) ولو كان من أدنى درجات العنت، لان الطبيعة سارية من الصغيرة الى الكبيرة، كما قرر في علم المنطق.

ص: 18

1- سورة التوبة: 128.

2- سورة الأنعام: 9.

3- فهو يصلح ان يكون أسوة في تبليغه الرسالة رغم المصاعب، وفي التزامه بأوامره جل وعلا وتجنبه ارتكاب المعاصي رغم انه - كسائر الناس - مركب من روح وجسد ورغم وجود القوة الغضبية والشهوانية .. فيه، الى غير ذلك.

قولها (عليها السلام): (ما عنتم) أى ما عنتكم أى ما صعّب وشق عليكم، فانه (صلى الله عليه وآله) كان يشق عليه كل ما شق على أمته فى حال حياته وبعد مماته، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) لعزرائيل (عليه السلام) عند حضوره لقبض روحه: (شدد علىّ وخفف على أمتي)، على عكس الحكام الدينويين وطلاب القوة والسلطة الذين لا يهتمهم إلا أمر أنفسهم وإلا المزيد من الأموال والقدرة والشهوات، وان كان كل ذلك على حساب الأمة واقتطاعاً من أقواتها وحقوقها.

وهكذا كان على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ورد أنه (عليه السلام) نظر إلى فقير انخرق كم ثوبه، فخرق كم قميصه وألقاه إليه(1).

وعن أبى جعفر (عليه السلام) قال: «كان على بن أبى طالب ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل»(2).

حريص عليكم

الحرص على الرعية

مسألة: يلزم أن يكون القائد والراعى - فى أية درجة ومنزلة كان، وسواء اتسعت دائرة رعيته أم تضيق(3) - حريصاً على شؤون أتباعه ورعيته. ومعنى الحرص عليهم الحرص على هدايتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة وتقديمهم فى شتى الأبعاد الجسمية والروحية، المادية والمعنوية، وذلك لان حذف المتعلق يفيد العموم.

ومن الواضح إن الحرص - وهو شدة الاهتمام والتمسك والتعلق بشىء - على الخيرات حسن ممدوح، كما قال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «المؤمن على الطاعات حريص وعن المحارم عفيف»(4).

أما المذموم فهو الحرص على الدنيا الفانية وشهواتها الدنية.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أربع من علامات النفاق قساوة القلب وجمود العين والإصرار

ص: 19

1- بحار الأنوار: ج 40 ص 323.

2- بحار الأنوار: ج 40 ص 327.

3- أى سواء كان قائداً لامة أم لشعب أم لقبيلة أم لحزب أم لعائلة أم لفرد واحد.

4- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 90 ح 1537.

على الذنب والحرص على الدنيا»(1).

وقال (عليه السلام): «هلاک الناس فی ثلاث: الکبر والحرص والحسد»(2).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «واياکم والحرص فان آدم (عليه السلام) حملة الحرص على أن أكل من الشجرة»(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسين (عليه السلام): «أى بنى الحرص مفتاح التعب ومطية النصب... الحرص علامة الفقر»(4).

وقال (عليه السلام): (خير الناس من اخرج الحرص من قلبه) (5).

هذا وفي بعض الروايات الواردة في تأويل الآية المباركة أنه (عليه السلام) تلا هذه الآية: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» قال: (من أنفسنا)، قال: «عزيز عليه ما عنتم» قال: ما عنتنا، قال: «حريص عليكم» قال: علينا، «بالمؤمنين رؤوف رحيم» قال: بشيعتنا رؤوف رحيم، فلنا ثلاثة أرباعها ولشيعتنا ربعها(6).

بالمؤمنين رؤوف رحيم

بين الرأفة والرحمة

مسألة: يلزم أن يكون القائد رؤوفاً رحيمًا، والفرق بينهما أن الصفة الأولى تتعلق بالعمل والجوارح، والثانية ترتبط بالقلب والجوانح، في قبال اللفظ الذي يعكس خشونة الأفعال وهي حالة خارجية، وغلظ القلب وهي حالة داخلية، كما في الآية الكريمة: «ولو كنت فظا غليظ القلب»(7)..

ص: 20

1- الاختصاص: ص 228.

2- كشف الغمة: ج 1 ص 571.

3- إرشاد القلوب: 119 ب 40.

4- تحف العقول: ص 88 - 90.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 241 ح 4873.

6- تفسير العياشى: ج 2 ص 118، والآية في سورة التوبة: 128.

7- سورة آل عمران: 159.

أ «الرحمن الرحيم» في قوه تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم»⁽¹⁾، فالأول خارجي يتعلق بالظواهر والمظاهر، والثاني قلبي، وكلاهما من مادة الرحمة وبمعنى واحد، لا ان لهما معنيين كما قاله بعض المفسرين. ولذا يقال: فلان رحيم القلب، ولا يقال: رحمان القلب، وربما يقال بإطلاق كل منهما على الآخر لو انفرد كما قالوا بذلك في (المسكين والفقير) و(الظرف والجار والمجرور) والتفصيل في المفصلات.

فالمراد: ظاهره رحيم وباطنه رحيم، لا كبعض الناس حيث ترى الغلظة في ظاهره وباطنه، أو في ظاهره فقط، أو في باطنه فقط، فان الغلظة إذا كانت في الظاهر لا تنفع معها - عادة - الرقة الباطنية، وإذا كانت الغلظة في الباطن كان الظاهر الرقيق تصنعاً لا واقعياً له، والتصنع قد ينفع في خداع الناس لفترة، إلا انه ليس بدائمي ولا شمولي إذ إن الجوهر يصنع ما يصنع، ففي الخلوات - مثلاً - تصنع الغلظة صنعتهما في تلك المؤامرات التي تحاك خفية والخطط الشيطانية التي سرعان ما تنكشف للناس فتفضح تلك السريرة الشريرة وتلك الضمائر الخبيثة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علم... فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينيه والحكمة لسانه والرأفة همه والرحمة قلبه» الحديث⁽²⁾.

وفي الدعاء: «الذي أوجبته على نفسك من الرأفة والرحمة»⁽³⁾.

وأيضاً: «يا معروفاً بالإحسان والرأفة والرحمة»⁽⁴⁾.

وأيضاً: «وأسألك باسمك الذي خلقت به ملائكة الرأفة والرحمة»⁽⁵⁾.

قولها عليها السلام: (بالمؤمنين) تخصيصهم بالذكر من جهة ان الصفتين السابقتين⁽⁶⁾ كانتا تشملان المؤمن والمنافق، فالرسول (صلى الله عليه وآله) ما كان يريد حتى عنت المنافقين، وكان حريصاً على إيمانهم وهدايتهم وإيقاظهم وكان يقول حتى بالنسبة إلى الكافرين: (اللهم اهد قومي

ص: 21

1- سورة الفاتحة: 1.

2- الخصال: ص 427، ان الله تبارك وتعالى قوى العقل بعشرة أشياء.

3- الإقبال: ص 73.

4- الإقبال: ص 491.

5- البلد الأمين: ص 414، الأسماء الحسنى.

6- وهما (عزیز علیه ما عنتم) و(حریص علیکم).

فإنهم لا يعلمون(1)، أما رأفته ورحمته فمصبتها (المؤمنون).

فإن تعزوه وتعرفوه (2) تجدوه أبى دون نساكنم

التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب التعرف على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والقضية الشرطية فى كلامها (عليها السلام) وان كانت صحتها لا تتوقف على صدق المقدم بل ولا على إمكانه، إلا أن حكم المقدم هنا يستفاد من الخارج، كما هو بيّن لدى الالتفات.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد بيان لزوم معرفة الله وحدوده: «وبعد معرفة الرسول (صلى الله عليه وآله) والشهادة له بالنبوة، وأدنى معرفة بالرسول الإقرار بنبوته وان ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهى فذلك عن الله عز وجل...» الحديث(3).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام): «لم يبعث الله نبياً يدعو إلى معرفة ليس معها طاعة، وانما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التى افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده ودعاهم إليه فأول ذلك معرفة من دعا إليه وهو الله الذى لا إله إلا هو وحده والإقرار بربوبيته، ومعرفة الرسول الذى بلغ عنه وقبول ما جاء به، ثم معرفة الوصى (عليه السلام) ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذى افترض الله طاعتهم فى كل عصر وزمان على أهلهم...»(4).

ص: 22

1- إعلام الورى: ص 83.

2- وفى بعض النسخ: فإن تعزوه وتوقروه.

3- كفاية الأثر: ص 262.

4- دعائم الإسلام: ج 1 ص 52 - 53.

وعنه (عليه السلام): «من زعم انه يحل الحلال ويحرم الحرام بغير معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) لم يحل لله حلالاً ولم يحرم له حراماً...» (1).

قولها صلوات الله عليها: (تعزوه) أى تنسبوه بذكر النسب منه واليه.

و(تعرفوه) تعرفون شخصه ونسبه، بالمعنى الأعم من النسبة اليه، حتى يعرفوا ان فاطمة (عليها الصلاة والسلام) منسوبة إليه (صلى الله عليه وآله).

و(أبى) تمهيد لكون فدك لها، لان فدك حتى إذا لم تكن نحلة - فرضاً - تكون إرثاً، لان فاطمة عليها السلام هي ابنته التي ترثه.

لا يقال: إذا كانت فدك إرثاً كانت للزوجات حصة أيضاً؟

لأنه يقال: الزوجات كن يعترفن بان فدك ليست لهن فلم يبق إلا هي (صلوات الله عليها). كما إذا مات زيد وكان في حوزته كتاب، واعترف الأبناء بأنه ليس لهم وادعاه أحدهم فقط فانه يصح له وحده، فهذه الجملة (2) كالتمهيد على حسب كلام البلغاء.

ثم إن قولها (عليها السلام): (تجدوه أبى دون نساءكم) هل يدل على أنها صلوات الله عليها هي البنت الوحيدة للرسول (صلى الله عليه وآله)؟ قال بذلك بعض.

الانتساب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب لذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يبينوا نسبهم للناس ولا شك أن النسب والقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضيلة عظيمة في الدنيا والآخرة، والاستحباب إنما يكون إذا لم يتوقف حكم شرعى على ذلك وإلا وجب البيان، كما بالنسبة الى المرأة الهاشمية القرشية حيث أنها تبلغ سن اليأس فى الستين من العمر وغيرها فى الخمسين (3).

وكذلك يجب بيان النسب فيما يتعلق بشؤون الخمس والزكاة - سلباً وإيجاباً - وغير ذلك، وهناك أحكام كثيرة ترتبط بالنسب المذكورة فى الفقه.

وقد انتسب الإمام السجاد (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فى خطبته أمام يزيد (4).

ص: 23

1- علل الشرائع: ص 250 باب علل الشرائع وأصول الإسلام ح 7.

2- أبى: (تجدوه أبى).

3- هناك أحكام شرعية عديدة تترتب على كون المرأة دون سن اليأس أو بلوغها سن اليأس، المذكورة فى كتاب النكاح والطلاق وغيرهما.

4- بحار الأنوار: ج 45 ص 174 ب 39 ح 22.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول الله لا ينفع يوم القيامة بلى والله إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة»(1).

ثم انه لا منافاة بين ما ذكرناه وما ورد من قوله (عليه السلام): «حسب الأدب أشرف من حسب النسب»(2).

وقال (عليه السلام): «نعم النسب حسن الأدب»(3).

وقال (عليه السلام): «فخر المرء بفضله لا بأصله (بأهله)»(4).

وقال (عليه السلام): «ليست الأنساب بالآباء والأمهات لكنها بالفضائل المحمودات»(5).

وأخا ابن عمى دون رجالكم

أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب بيان أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) أخ للرسول (صلى الله عليه وآله) دون غيره.

وفى ذلك تكريس لنفس الغرض الذى من أجله اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أخاً، وقد يكون بيان ذلك واجباً(6).

وإذا كان النظر إلى وجه على (عليه السلام) عبادة(7) وذكره عبادة(8) فالخوض فى فضائله عبادة وبشكل أولى.

قولها عليها السلام: (وأأى أن علاً (عليه الصلاة والسلام) مخصص بالآوة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه ابن عم فاطمة (عليها السلام)، ولعله تمهيد لكونه (عليه السلام)

ص: 24

1- الأمالى للشيخ المفيد: ص 327 المجلس 38 ح 11، والإفصاح: ص 51.

2- غرر الحكم: ص 248 ح 5112.

3- غرر الحكم: ص 248 ح 5118.

4- غرر الحكم: ص 409 ح 9387.

5- غرر الحكم: ص 409 ح 9388.

6- كما إذا توقفت هداية إنسان على ذلك (أى على بيان فلسفة اتخاذ الرسول (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أخا دون غيره من سائر المسلمين وفيهم القريب والبعيد والشاب والشيخ و..).

7- المناقب: ج 3 ص 202 فصل فى محبته (عليه السلام).

8- الاختصاص: ص 223، والعمدة: ص 365.

وصيه (صلى الله عليه وآله) دون غيره، لان الأخ يقوم مقام أخيه.

أو أن الجملتين لمزيد التعريف بهما ولوجود من قد يجهل الأصل أو الاختصاص (1).

وفى الحديث عن زيد بن علي عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «كان لى عشر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يعطهن أحد قبلى ولا يعطاهن أحد بعدى، قال لى: يا على أنت أخى فى الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الناس منى موقفاً يوم القيامة، ومنزلى ومنزلك فى الجنة متواجهان كمنزل الأخوين، وأنت الوصى، وأنت الولى، وأنت الوزير، عدوك عدوى وعدوى عدو الله، ووليك ولىي ووليك ولى الله عز وجل» (2).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ذات يوم وهو فى مسجد قباء والأنصار مجتمعون: «يا على أنت أخى وأنا أخوك، يا على أنت وصيى وخليفتى من وإمام أمتى بعدى» الحديث (3).

وفى كشف الغمة: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخى بين المسلمين ثم قال: يا على أنت أخى وأنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى» (4).

وفى الحديث المروى عن الفريقين: «إن النبى أخى بين الناس وترى علياً (عليه السلام) حتى بقى آخرهم لا يرى له أخاً، فقال: يا رسول الله أخت بين الاس وتركتنى، قال: إنا تركتك لنفسى أنت أخى وأنا أخوك، فان ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يدعيها بعدك إلا كذاب» (5).

ذكر فضائل على (عليه السلام)

مسألة: يستحب ذكر فضائل أمير المؤمنين على (عليه السلام) للناس، وفى الخطاب بصورة خاصة ويلحق به كتابتها.

فان ذكر فضائله (عليه السلام) حسنة، وقد يكون واجباً إذا كان المورد من اللازم ذكره ومعرفته،

ص: 25

1- الظاهر ان مراده (دام ظله) من (الأصل أو الاختصاص): اصل الاخوة، أو اختصاصها بعلى (عليه السلام) .

2- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 77 المجلس 18 ح 8.

3- الامالى للشيخ الصدوق: ص 352 المجلس 56 ح 7.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 294 فى ذكر أنه (عليه السلام) أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانه مولى من كان مولاه.

5- الطرائف: ص 63 باب أن علياً أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) روى عن مسند أحمد بستة طرق.

وانما قلنا باستحبابه في الخطاب بصورة خاصة، لان الخطاب يفيد الغير، على عكس ما إذا لم يكن هناك خطاب وانما حديث وتذاكر لما يعلمه.

والحاصل إن الخطاب أخص من اصل المذاكرة، سواء علم الجميع أم اقتصر العلم على المتكلم وان كان الأمر في صور عدم علم المخاطبين أكد، فهي مراتب من الاستحباب - وربما وجب - حسب ما يفهم من الروايات والموازن العقلانية.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه محمد بن علي (عليه السلام) عن آبائه الصادقين (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ان الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فضائل لا يحصى عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرأ بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم تزل الملائكة تستغفر له ما بى لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): النظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عادة، وذره عبادة، ولا يقبل إيان عد

إلا بولايته والبراءة من أعدائه»(2).

هذا وقد أصر الأعداء على كتمان فضائل علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك ولكن «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»(3).

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك الراوى له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب!»(4).

وعن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لو أن الغياض أقلام، والبحار مداد، والجن

ص:26

1- (ذاتا) كفضائله التي تعد من أصول المذهب كإمامته مثلاً، و(طريقاً) أى من باب المقدمة.

2- الامالى للشيخ الصدوق: ص138 المجلس 28 ح 9.

3- سورة الصف: 8.

4- شرح نهج البلاغة: ج4 ص73.

حَسَابِ وَالْأَنْسِ كِتَابِ مَا أَحْصَوْا فَضَائِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)» (1).

وقال (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير في خطبته: «معاشر الناس إن فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند الله عز وجل وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن يحصيها في مقام واحد، فمن أنبأكم بها وعرفها فصدقوه» (2).

ولنعم المعزى إليه

الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب ان يفتخر الإنسان بانتسابه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) (3)، كما قالت (عليها السلام): (تجدوه أبي) و(ولنعم..) والائمة (عليهم السلام) - كما سبق - كانوا يفتخرون بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفعلهم حجة ومحط أسوة (4).

وهذا من الفخر المستحب لا المذموم كما هو واضح، وفي الروايات أن جبرائيل كان يفتخر على الملائكة ويقول: «من مثلي وأنا سادس الخمسة الطيبة» (5).

ومن انتسابهم (عليهم السلام) إلى جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما ورد كثيراً عنهم من قولهم: «سمعت جدي رسول الله» (6).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء: «وأنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله» (7).

ص: 27

1- الصراط المستقيم: ج 1 ص 153 ب 7.

2- الاحتجاج: ص 28 احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير.

3- ولا يخفى الفرق بين هذه المسألة وما سبق من استحباب بيان النسب الشريف للذرية الطاهرة.

4- وكما يقول الشاعر: أولئك أباي فجتني بمثلهم إذا جمعتنا - يا جرير - المجمع

5- راجع المناقب: ج 3 ص 359.

6- راجع التوحيد: ص 90 و 307، والامالي للصدوق: ص 201 المجلس 36 ح 13، والامالي أيضا: ص 345 المجلس 55، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 76 ح 5، وص 100 ح 6، وج 2 ص 43 ح 154، وكمال الدين 253 ح 3، والاختصاص: ص 238، وسائر كتب الحديث.

7- الامالي للشيخ الصدوق: ص 158 المجلس 30.

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية: «أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدى رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة» الحديث (1).

وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، يرتجز ويقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم

كفاني بهذا مفخر حين أفخر

وجدى رسول الله أكرم من مشى

ونحن سراج الله فى الخلق تزهـر

وفاطمة أمى سلالة أحمد

وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً

وفينا الهدى والوحى والخير يذكر

ونحن ولاة الحوض نسقى محبنا

بكاس رسول الله ما ليس ينكر

وشيعتنا فى الناس أكرم شيعة

ومبغضنا يوم القيامة يخسر (2)

ومن الواضح ان المستحب هو الافتخار بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا كان من باب «وأما بنعمة ربك فحدث» (3) أو لأجل إلفات أنظار وشد القلوب أكثر فأكثر إلى رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) أو ما أشبه ذلك.

ولا يخفى ان المنتسب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ثواب طاعته أكثر، وعقاب عصيانه أكثر، بدليل العقل والنقل، ومنه مقتضى آية نساء النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قال سبحانه: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء» (4) الآية، ورواية الإمام الصادق (عليه السلام) فى قصة شارب الخمر وقوله (عليه السلام): «إن الحسن من كل أحد حسن وانه منك أحسن لمكانك منا وان القبيح من كل أحد قبيح وانه منك أقبح لمكانك منا» (5).

قولها (عليها السلام): (ولنعم المعزى إليه) أى المنسوب إليه، فان الإنسان يفتخر بنسبته إلى الكبار، وهذا من تنمة الكلام السابق، والفخر - فى الإنسان الصحيح - فى محله إذ وشائج القربى تؤثر فى التسامى والارتفاع.

- 1- الإرشاد: ج2 ص15.
- 2- كشف الغمة: ج2 ص19.
- 3- سورة الضحى: 11.
- 4- سورة الأحزاب: 32.
- 5- راجع المناقب: ج4 ص236 والعدد القوية: ص153 نبذة من أحوال الإمام الصادق (عليه السلام).

تبليغ الرسالة

مسألة: يجب تبليغ الرسالة. والوجوب شامل حتى لمفرداتها المندوبة وشبهها.

والدليل على وجوب تبليغ الرسالة بأحكامها الخمسة والأحكام الوضعية أيضا - إذا قلنا بأنها غير الأحكام التكليفية لا أنها منتزعة منها - وان كان من تبليغ المستحب والمكروه والمباح: هو ان تبليغ الرسالة إيصال أحكام الله سبحانه وتعالى إلى العباد، من غير فرق بين أقسام الاحكام، وقد قال سبحانه: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك»(1).

وقال تعالى: «الذين يبلغون رسالات الله»(2).

وقال سبحانه: «فإنما عليك البلاغ»(3).

وقال تعالى: «فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين»(4).

وقال سبحانه: «ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم»(5).

وقال تعالى: «أبلغكم رسالات ربي»(6).

وقال سبحانه: «وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي»(7).

وقال تعالى: «فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم»(8).

ص: 29

1- سورة المائدة: 67.

2- سورة الأحزاب: 39.

3- سورة آل عمران: 20.

4- سورة المائدة: 92.

5- سورة الجن: 28.

6- سورة الأعراف: 62.

7- سورة الأعراف: 93.

8- سورة هود: 57.

وقال عز وجل: « وأبلغكم ما أرسلت به»(1).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات فى هذا الباب، ولا منافاة بين ان يكون العمل - كالتوابع - مندوباً وإبلاغ ذلك للعباد واجباً كما هو واضح، كما لا منافاة بين ما ذكرناه وما ذكره فى المستحب من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

قال على أمير المؤمنين (عليه السلام): «ان الله عز وجل بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) للناس كافة ورحمة للعالمين فصعد بما أمر به وبلغ رسالات ربه»(2).

ونقرأ فى زيارته (صلى الله عليه وآله): «أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك»(3).

قولها (عليها السلام): (فبلغ) تعقيب لقوله تعالى: «لقد جاءكم»(4) ولعلها (صلوات الله عليها) إنما عادت إلى أوصاف الرسول (صلى الله عليه وآله) لتكميل الأوصاف، أو انها ذكرت ما ذكرت بين طائفتى الأوصاف، لئلا يستلزم التكثير فى الصفات فى نسق واحد ملالة السامع، كما هو مقتضى البلاغة فى الفصل بما يحافظ على قوة الحديث وجاذبيته.

صاعداً بالندارة

الإنداز أبداً

مسألة: يستحب الصدع بالإنداز، بل يجب أحياناً، وأصل الصدع يفيد معنى الكسر، قال تعالى: «والأرض ذات الصدع»(5)، وقال سبحانه: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله»(6) فان الذين يبلغون رسالات الله سبحانه بالنسبة لغير المستعدين لقبولها يصدعون فى التبليغ، قال تعالى: «فاصدع بما تؤمر واعرض

ص: 30

1- سورة الأحقاف: 23.

2- الجمل: ص 267.

3- مصباح المتهجد: ص 709، والبلد الأمين: ص 276، وجمال الأسبوع: ص 29.

4- سورة التوبة: 128.

5- سورة الطارق: 12.

6- سورة الحشر: 21.

عن الجاهلين»(1).

فعلى الإنسان أن يصدع بالحق وان كان في مجتمع لا يتقبل كلمة الحق ومنهجه بل يتقبل بعضهم فقط، بل وحتى إذا لم يتقبل ولا واحد منهم، لان على العالم أن يبلغ الرسالة سواء قبلها الجاهل أو لم يقبل كما ورد في الحديث الشريف: (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يبين علمه وإلا فعليه لعنة الله)(2).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فان لم يفعل سلب منه نور الإيمان»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فاطهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية وناهبهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة»(4).

وقال سبحانه: «وما على الرسول إلا البلاغ»(5).

وذلك أن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تختلف عن شرائط وجوب التبليغ، فقد يكون الهدف من الإبلاغ إتمام الحجة فقط(6)..

قال تعالى: «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب»(7).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا»(8).

ص: 31

1- سورة الحجر: 94، والصدع بما يؤمر به هو إظهاره والجهر به، تقول صدعت بالحق أى جهرت به، ومن البين ان الإظهار والجهر بالحق يعود في جوهره الى الكسر والتحطيم لكل ما يخالف أوامر الله.

2- راجع غوالي اللثالي: ج 4 ص 170 ح 39، وفيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

3- علل الشرائع: ص 236 ب 171 ح 1.

4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 162.

5- سورة النور: 54.

6- فعلى ذلك لا يشترط في الإبلاغ (احتمال التأثير) مثلاً وان اشترط في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7- سورة الرعد: 40.

8- غوالي اللثالي: ج 4 ص 71 ح 40.

وقال (صلى الله عليه وآله): «من كتم علماً نافعاً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»⁽¹⁾.

قولها عليها السلام: (صادعا) أى منذراً ومظهراً للإنذار، إشارة إلى قوله سبحانه «فاصدع بما تؤمر»⁽²⁾، وقلنا بان اصل الصدع الكسر، كأنه يكسر حاجز الخوف، أو حجاب السكوت، أو سلسلة الخرافات والضلالات.

مائلا عن مدرجة المشركين⁽³⁾

الميل عن طريقة المشركين

مسألة: يجب الميل عن طريقة المشركين والكفار، ولذا وصف إبراهيم الخليل (عليه السلام) بالحنيف، لان الحنيف عبارة عن المائل، فقد كان الناس على طريقة واحدة وجاء إبراهيم (عليه السلام) ووضع المناهج والبرامج مائلا عن طريقتهم، قال تعالى: «ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»⁽⁴⁾. وكذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهكذا بالنسبة إلى الأنبياء السابقين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ورد في سلمان عن الإمام الصادق (عليه السلام): «ان سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»⁽⁵⁾.

وفي الحديث عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «فاقم وجهك للدين حنيفاً»⁽⁶⁾ قال (عليه السلام): «هى الولاية»⁽⁷⁾.

وقال سبحانه: «اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا الله واعرض عن

ص: 32

1- غوالى اللئالى: ج 4 ص 72 ح 41.

2- سورة الحجر: 94.

3- وفي بعض النسخ: (ناكباً عن سنن مدرجة المشركين) وفي بعضها: (مائلاً على مدرجة المشركين) ويكون المعنى على هذه النسخة الأخيرة: ضد مدرجة المشركين، أو يكون على بمعنى عن، كما لا يخفى.

4- سورة البقرة: 135.

5- كشف الغمة: ج 1 ص 388.

6- سورة الروم: 30.

7- تفسير القمى: ج 2 ص 154 سورة الروم.

المشركين»(1).

وقال تعالى: «ولا تتبع سبيل المفسدين»(2).

التشبه بالكفار

مسألة: التشبه بالكفار مرجوح في الجملة، وقد يكون حراماً، ولربما استفيد من هذه الجملة ذلك، باعتبار استفادة الإطلاق من إضافة المفرد(3) أو بلحاظ أن المقام بمنزلة النكرة في سياق النفي وهي تعيد العموم(4)، كما ورد في الحديث القدسي (... أعدائي)(5).

قولها عليها السلام: (مدرجة) أى ما درجوا عليه، أى الطريقة والمسلك، فلم يسلك (صلى الله عليه وآله) سلوكهم فى مختلف أبعاد الحياة(6)، حيث انهم انحرفوا عن طريقة الأنبياء (عليهم السلام) وعن فطرتهم.

ضاربا ثبجهم، آخذبا أكظامهم

التركيز على أئمة الكفر

مسألة: بناء على التأسى به (صلى الله عليه وآله) فالأصل فى المعارك الدائرة على جبهات الكفر والإيمان أن يركز الضربات على (أئمة الكفر) ورؤوس الضلال، وهو أمر عقلى قبل أن يكون تقليماً، إذ أن دعائم الكفر لو تقوضت تقوض ما يقوم بها دون العكس عادة، وعليه أيضاً أن يضرب على الوتر الحساس ويأخذ بخناقهم ويصيبهم فى مقاتلهم دون أن يشغل نفسه بالهامشيات وبما لا يبلغ منهم مقتلاً.

ص:33

1- سورة الأنعام: 106.

2- سورة الأعراف: 142.

3- إذ ان (مدرجة) مضاف ل- (المشركين) فتفيد: كل ما درج عليه المشركون.

4- إذ ان (مائلا عن مدرجة المشركين) بمنزلة لم يمل الى مدرجة المشركين، وليلاحظ ان (مال الى) تناقض معنى (مال عن) ف- (مائلا عن) تساوى فى المعنى (لم يمل إلى).

5- هنا كلمة غير مقروءة فى النسخة الأصلية.

6- إشارة إلى أن (ما درجوا عليه) يشمل العادات والتقاليد والبدع والخرافات جميعاً.

ومن الواضح إن ذلك هو الأصل والقدرة من الشرائط(1).

قال تعالى: «فقاتلوا أئمة الكفر»(2).

قولها عليها السلام: (ضاربا ثبجهم) هو وسط الشيء ومعظمه، حتى لا يتمكنوا من القيام بعد أن ضرب ثبجهم.

وفى كلام أمير المؤمنين على (عليه السلام) بالنسبة إلى خيمة معاوية في صفين: (عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضروا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره، نافج حضنه مفترش ذراعيه)(3).

و(بأكظامهم) الكظم مخرج النفس، حتى لا يتمكنوا من التنفس بالباطل.

منهج التصدي للأعداء

مسألة: ينبغي بيان طريقة الرسول (صلى الله عليه وآله) في التصدي لأعداء الدين(4)، ومن الضروري القيام بدراسات تخصصية مستوعبة حول طريقة تصديه لأعداء الإسلام سياسيا وإعلاميا وعسكريا وفكريا واجتماعيا وغير ذلك، في المخططات بعيدة المدى والقصيرة الأمد أيضا(5).

قال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»(6).

وهناك تأكيد كبير على التصدي للأعداء والجهاد كما رسمه القرآن وطبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام):

قال (صلى الله عليه وآله): «إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله»(7).

وقال (صلى الله عليه وآله): «للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون

ص:34

1- أي ان من لا يستطيع التصدي لائمة الكفر مثلا فعليه التصدي لأعوانهم، ومن لا يستطيع الأخذ بأكظامهم عليه إقلا فهم فيما عدا ذلك بنحو الترتب.

2- سورة التوبة: 12.

3- تفسير فرات الكوفي: ص 431 سورة الحجرات.

4- راجع موسوعة الفقه، كتاب النظافة.

5- استراتيجيا وتكتيكيا.

6- سورة الأحزاب: 21.

7- الامالي للشيخ الصدوق: ص 69 المجلس 16 ح 1.

بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، فمن ترك الجاد ألبسه الله ذلاً في نفسه وفقراً في معيشه ومحققاً في دينه، إن الله تبارك وتعالى أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»(1).

هذا ولا يخفى أن الجهاد والحرب في الإسلام على أنظف صورة عرفها البشر كما فصلناه في بعض كتبنا(2).

وسئل النبي (صلى الله عليه وآله): «أى الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند إمام ظالم»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»(4).

وفي بعض الأحاديث: «عند سلطان جائر»(5).

وقال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «الجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء»(6).

استعراض قوة الإسلام

مسألة: يستحب استعراض قوة الإسلام ومقومات تقدمه ونجاحه وقد يجب، وبالعكس فإنه يحرم التخذيل والشيط في مختلف الأبواب الإسلامية وفروعها ولذا لا يعطى - في باب الجهاد - للمخذل أى سهم، على ما قرر في الفقه.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما من مؤمن يذل أه و يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»(7).

وقال (عليه السلام): «ليحذر أحدكم أن يثبط أخاه عن الحج أن تصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخره له في الآخرة»(8).

ص: 35

1- الامالى للشيخ الصدوق: ص 577 المجلس 85 ح 8.

2- راجع كتاب (الفقه: النظافة) مبحث نظافة الحرب، للإمام المؤلف دام ظله.

3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 200.

4- روضة الواعظين: ص 6.

5- إرشاد القلوب: ص 98 ب 24.

6- غرر الحكم: ص 333 ح 7658.

7- المحاسن: ص 99.

8- غوالي اللئالى: ج 4 ص 28 ح 89.

وفى الدعاء: «وأعدنى اللهم بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتشيط»(1).

داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

الدعوة بالحكمة

مسألة: يجب أن تكون الدعوة إلى الدين بـ(الحكمة) و(الموعظة الحسنة) وان يكون الجدل بالتى هى احسن، فى بعض الصور والمراتب، ويستحب فى بعضها الآخر.

ثم ان (الحكمة) بمعناها الأعم - وهو وضع الأشياء مواضعها - مقسم للموعظة الحسنة والجدل بالتى هى احسن، وبمعناها الأخص قسيم لها.

فعلى التقدير الأول: يكون ذكرها بعدها للتأكيد من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته.

وعلى التقدير الثانى: يكون ذكرها تأسيسا، فيكون الأمر بحاجة إلى تحديد المراد بكل منهما.

فقد يقال بان المراد بالحكمة: استخدام البراهين القطعية، وبالموعظة الحسنة: الخطابة، وبالمجادلة بالتى هى احسن(2): الإلزام بالمقدمات المسلمة والمشهورة، والأولى للخواص وقد تكون للعوام أيضا، والثانية للعامة وقد تنفع للخواص أيضا، والثالثة للمعاندين.

وربما يمكن القول بان المراد بالحكمة - على التقدير الأخص - : مراعاة شرائط الزمان والمكان وما يرتبط بالتأثير على المستمع وفى الجانب المعنوى، وأما الموعظة والجدل فترتبط بالجانب اللفظى وما يتعلق به، ويكون المراد بالموعظة: ما يتضمن الإيلام القولى، لكن ذلك الإيلام الحسن الذى يحث النفس ويحرضها دون استفزاز، أو يقال المراد بالموعظة الحسنة: الغرس لكن على الوجه الحسن كما يمزج الدواء المر ببعض الاشربة والروائح الطيبة كى يستسيغه المريض، أو يغلف بما يستر مرارة الدواء وحدته، ونظرا لان الحكمة تشمل كل ذلك

ص:36

1- مصباح الكفعمى: ص400.

2- فى الآية المباركة سورة النحل: 125 .

- بالاعتبار الأول(1) - وحملًا عليه ربما كان عدم إكمالها (عليها السلام) للآية بذكر القسم الثالث، حيث قال سبحانه: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»(2).

وفى الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار»(3).

وقال (عليه السلام): «عليك بالحكمة فإنها الحلية الفاخرة»(4).

وقال (عليه السلام): «من لهج بالحكمة فقد شرف نفسه»(5).

وقال (عليه السلام): «بالحكمة يكشف غطاء العلم»(6).

وفى القرآن الكريم: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»(7).

وفى زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله): «أشهد يا رسول الله... انك... دعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الجميلة»(8).

يكسر الأصنام(9) وينكث الهام(10)

القضاء على الأصنام

مسألة: يجب القضاء على الأصنام وكل ما يعبد من دون الله، مما اتخذها المشركون، حتى يقطع صلتهم بها، فان كان القضاء عليها يتحقق بالكسر - كما فى الأصنام - وجب الكسر، وان كان على نحو الهدم وجب، وان كان صورة مرسومة على الحائط - مثلاً - وجب محوها أو

ص: 37

1- أى الحكمة بالمعنى الأعم.

2- سورة النحل: 125.

3- كنز الفوائد: ج 1 ص 319.

4- غرر الحكم: ص 58 ح 604.

5- غرر الحكم: ص 58 ح 606.

6- غرر الحكم: ص 59 ح 625.

7- سورة البقرة: 269.

8- الإقبال: ص 605.

9- وفى بعض النسخ: (يجذ الأصنام).

10- وفى بعض النسخ: (ينكس الهام).

تغييرها.

وقد كسر النبي إبراهيم (عليه السلام) الأصنام في قصة معروفة(1).

وأمر المؤمنين (عليه السلام) ارتقى كتف النبي (صلى الله عليه وآله) وكسر الأصنام التي كانت على الكعبة(2).

ويظهر من الروايات أن علياً (عليه السلام) كسر أصنام الكعبة مرتين مرة حين فتح مكة ومرة قبل الهجرة، ففي الحديث عنه (عليه السلام) قال:

«دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمنزل خديجة ذات ليلة فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي.

فما زال (صلى الله عليه وآله) يمشى وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله تعالى كل عين، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: اصعد علي كتفي.

ثم انحنى النبي (صلى الله عليه وآله) فصعدت على كتفه فقلبت الأصنام على رؤوسها ونزلت وخرجنا من الكعبة حتى أتينا منزل خديجة، فقال (صلى الله عليه وآله) لي: أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم (عليه السلام) ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام.

فلما أصبح أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوبة على رؤوسها، فقالوا: ما فعل هذا بألهتنا إلا محمد وابن عمه(3).

وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «ان اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صحف إبراهيم: الماحي... قيل: فما تأويل الماحي، فقال: الماحي صورة الأصنام وماحي الأوثان والازلام وكل معبود دون الرحمن(4).

القضاء على أئمة الضلال

مسألة: يجب القضاء على (أئمة الضلال) كما فعل (صلى الله عليه وآله)، فان (ينكث الهام) أى يضرب

ص:38

1- انظر تفسير القمي: ج2 ص71 سورة الأنبياء، وقصص الأنبياء للجزائري: ص102.

2- راجع إعلام الوري: ص184، وشواهد التنزيل: ج1 ص453 ح480.

3- الفضائل: ص97.

4- الأمالي للشيخ الصدوق: ص71 المجلس 17 ح2.

الرؤوس أى (رؤوس أئمة الضلال وقادتهم) حتى ينفصل الاتباع عنهم، فيتمكنوا من تقرير مصير أنفسهم بأنفسهم، فيتركوا وشأنهم - أى من دون ارتباط بقيادة الضلال - ليختاروا ما هو مقتضى عقولهم وفطرتهم.

إضافة إلى ان ضرب الرؤوس مما يوجب تفكك الترابط بين أجزاء جيش الضلال والظلام، فيكون ادعى لانتهزام الإذئاب وأسرع فى القضاء على الجمع.

وفى ذكرها عليها السلام: (يكسر الأصنام وينكث الهام) نكتة لطيفة وهى ان القضاء على الأديان والمذاهب الباطلة يتم بركنين:

أحدهما: القضاء على (الرمز المقدس) و(المحور والقطب) الذى تدور عليه رضى معتقداتهم وأفكارهم.

والثانى: القضاء على حملة تلك الراية وعلى الدعاة إليها.

تخليد ذكرى القائد

مسألة: يستحب تخليد ذكر القائد الدينى وإحياء أمره، من خلال بيان إنجازاته وما قام به من أعمال حسنة وخطوات حميدة، عبر كتابة الكتب وما أشبه ذلك، وقد يجب ذلك، كما بالنسبة إلى المعصومين (عليهم افضل الصلاة والسلام)، وذلك بلحاظ الحق (1) أولاً، وبلحاظ ما لذلك من التأثير على (تأسى) الناس بالقادة واستضاءتهم بانوارهم وهدايتهم ثانياً.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (2).

وعن الهروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: فكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا» (3).

ص: 39

1- قد يكون المراد بالحق: الحق العظيم الذى للمعصومين (عليهم السلام) علينا، وفى درجات أدنى: لسائر القادة الصالحين علينا، دينياً ودينيوياً، وفى ذكر فضائلهم والإشادة بأعمالهم أداء لبعض حقهم.

2- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 73 المجلس 17 ح 4.

3- معانى الأخبار: ص 180.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تجلسون وتتحدثون، قال الراوى: قلت نعم جعلت فداك، قال: تلك المجالس أحبها فاحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا»(1).

وقال (عليه السلام): «تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»(2).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة رحم الله من أحيا أمرنا»(3).

حتى انهزم الجمع وولوا الدبر

حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه

مواصلة المعركة

مسألة: تجب مواصلة المعركة مع الملحدين والمشركين حتى الهزيمة الكاملة، كما قال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»(4) وكما صنع (صلى الله عليه وآله) حيث واصل (حتى انهزم الجمع وولوا الدبر) و(حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه) ول- «يكون الدين كله لله»(5).

فان انهزام الجمع الباطل يوجب تبده وتفرقه وعدم قيام عمود له حتى يقابل الحق، وما اكثر من يترك مسيرة الجهاد فى منتصف الطريق تعباً أو كسلاً أو خوفاً أو طمعاً، وفى الكثير من المجاهدين الذين تركوا مسرة الجاد ليتحووا إى مصفقين يسيرون فى ركاب السلاطين الشاهد الكبير والإنذار الأكبر على ذلك أيضا. قولها (عليها السلام): (الجمع) أى جمع الكفار (وولوا الدبر) تأكيد لان المنهزم الشديد الانهزام يولى دبره إلى طرف هازمه بخلاف غيره حيث يمكن ان يهرب فيعطى هازمه طرفه لا ظهره. وفى حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

ص:40

1- مصادقة الأخوان: ص23.

2- مصادقة الأخوان: ص34.

3- مصادقة الأخوان: ص38.

4- سورة البقرة: 193، وسورة الأنفال: 39.

5- سورة البقرة: 193، وسورة الأنفال: 39.

قال: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أراه، فقلت ما كان رسول الله ليفر، وما رأيته في القتلى... فحملت على القوم فأخرجوا فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقممت على رأسه فنظر إلي وقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلي كتيبة قد أقبلت إليه، فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة، فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار، فقال لي النبي (صلى الله عليه وآله): أما تسمع يا علي مديحك في السماء ان ملكاً يقال له صنوان(1) ينادى: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي(2).

الحقيقة الكاملة

مسألة: يجب أن يتصدى الدعاة لـ(بيان الحقيقة) كاملة للناس، ولكشف القناع عن كل زيف وضلالة، فان كثيراً من المبلغين والمؤمنين يخشى أن يقول الحق كل الحق ويكتفى ببيان بعضه ويحاول إرضاء وجدانه بذلك البعض فحسب!

ولعل الكثير منهم يتعلل - لإرضاء وجدانه وإسكات خلائه - بأنه قد قام بجانب من الامر، وانه قد أثار بعض الظلم وجلّى بعض البهم وكفى!

لكن ذلك شرعاً محرم، قال تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض(3)» ف-(إذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله، أو سلب منه نور الإيمان(4) وقد واصل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيان كل صغيرة وكبيرة وتعرض لكل ما يقرب إلى الجنة ويباعد من النار، في العقائد والأعمال، في العقود والإيقاعات والأحكام... (حتى تقرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه).

وفي المحاسن عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته في حجة الوداع:

ص: 41

1- وفي سائر الروايات انه كان جبرئيل (عليه السلام) والظاهر انهما نادى بذلك، أو أن صفوان من اسماء جبرائيل أيضاً.

2- الإرشاد: ج 1 ص 86 - 87.

3- سورة البقرة: 85.

4- راجع غيبة الطوسي: ص 64.

«أبها الناس اتقوا الله، ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به»(1).

قال تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»(2) فإن الإسلام كل لا يتجزأ والمؤمنون «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم»(3) وليرجف المرجفون بعد ذلك وليرقد البعض وليحدث ما يحدث.

إذن يجب العمل حتى يظهر محض الحق بدون شوب بالباطل، فإن الحق قد يظهر لكنه مشوب بالباطل، مما يسبب ضلال الناس، فيجب أن يعمل الإنسان جاهداً حتى يظهر محض الحق، كي يتبعه من شاء أن يتبعه، قال تعالى: «ليهلك من هك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الشريرة أقالى والطريقة أفعالى والحقيقة أحوالى»(5).

وقال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «هلك من باع اليقين بالشك والحق بالباطل»(6).

وقال (عليه السلام): «رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق»(7).

وقال (عليه السلام): «الكيس صديقه الحق وعدوه الباطل»(8).

وقال (عليه السلام): «ليكن مرجعك إلى الحق فمن فارق الحق هلك»(9).

وقال (عليه السلام): «من استحيى من قول الحق فهو أحمق»(10).

وقال (عليه السلام): «لا خير في السكوت عن الحق»(11).

ص: 42

1- المحاسن: ص 278 ح 399.

2- سورة المائدة: 67.

3- سورة المائدة: 54.

4- سورة الأنفال: 42.

5- غوالى اللئالى: ج 4 ص 124 ح 212.

6- غرر الحكم: ص 62 ح 723.

7- غرر الحكم: ص 59 ح 632.

8- غرر الحكم: ص 68 ح 945.

9- غرر الحكم: ص 69 ح 953.

10- غرر الحكم: ص 70 ح 988.

11- غرر الحكم: ص 70 ح 991.

قولها (عليها السلام): (تقرى) انشق، والمراد بالليل ظلام الكفر والشرك والانحراف، و(صبحه) أى صبح الحق بالقرينة، أو صبح الليل، لأن وراء كل ليل صبح.

قولها (عليها السلام): (أسفر الحق) كشف وأضاء، (محضه) الضمير عائد إلى الحق، أى محض الحق الذى لا يشوبه باطل، ولعل المراد بهذه الجملة: الشريعة، وبالأولى العقيدة.

ونطق زعيم الدين

إسناد زعماء الدين

مسألة: يجب العمل حتى يفسح المجال لزعيم الدين كى يبلغ الرسالة وينطق بما أمره الله عزوجل، فان زعماء الدين - والزعيم هو السيد - إذا أتحت لهم فرصة النطق والبيان بدون محذور، تمكن طلاب الحقيقة ومن يريد الدين ان يلتفوا حولهم. فان الكفار غالباً يحولون دون نطق زعيم الدين، كما قال سبحانه: «فردوا أيديهم فى أفواههم»⁽¹⁾.

وتارة بمنع الناس عن الإنصات لهم كما كان أقطاب مشركى مكة يجعلون القطن فى آذان من يريد دخول المسجد الحرام، حتى لا يستمع إلى كلام النبى (صلى الله عليه وآله) أو يجعلون أصابعهم فى آذانهم⁽²⁾. وتارة بإيجاد حاجز نفسى وأغطية وغشاوة فكرية تحول دون تفهم الحقيقة ورؤيتها كما هى.

والمراد ب-: (زعيم الدين) فى كلامها (عليها السلام) هو الرسول (صلى الله عليه وآله)، بناء على كون الإضافة لامية، وهو كناية عن تفوق كلمة الحق وسقوط كلمة الباطل، ويحتمل ان تكون الإضافة بيانية⁽³⁾ وقد يؤيده السياق، ولمكان حتى.

ص:43

1- سورة إبراهيم: 9.

2- انظر تفسير فرات الكوفى: ص 242 ح 327 سورة بنى إسرائيل.

3- أى نطق زعيم هو الدين.

إسكات أصوات الشياطين

مسألة: يجب العمل على ان تخرس شقاشق الشياطين.

قال تعالى: «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا»(1).

وقال سبحانه: «ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «صافوا الشيطان بالمجاهدة»(3).

وقال (عليه السلام): «الشهوات مصائد الشيطان»(4).

قولها عليها السلام: (خرست) أى صارت خرساء، والخرس: عدم القدرة على التكلم. و(شقاشق) جمع شقشقة، وهى الزبد الذى يخرج من فم البعير عند هياجه، وهذا تشبيه بأن الباطل كان عن ثورة وجهل، وبدون واقعية، قال سبحانه: «فأما الزبد فيذهب جفاء»(5)، أما وجه الشبه فى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (تلك شقشقة هدرت ثم قرت) (6) فبهدرها لا بعدم الواقعية كما هو واضح.

والمراد من (الشياطين):

إما زعماء الشرك، تشبيهاً وتنزيلاً.

أو الشياطين حقيقةً، حيث كانت لهم الكلمة نتيجة تعاضد عوامل عديدة منها: الزعماء الفاسدون، وعدم وضوح الطريق والصراط المستقيم، وعدم وجود القائد والدليل الرائد، إضافة إلى وجود القيود الكابتة والعادات والتقاليد الجاهلية السائدة.

وههنا سؤال ربما يكثر فى الأذهان اختلاجه وهو:

ان الإذاعات والصحف الشرقية والغربية التى تتبع أسلوباً صريحاً أو ذكياً لزلزلة عقائد

ص:44

1- سورة فاطر: 6.

2- سورة الأنعام: 142.

3- غرر الحكم: ص 240 ح 4848.

4- غرر الحكم: ص 304 ح 6937.

5- سورة الرعد: 17.

6- نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

المؤمنين هل يجب (إسكاتها وإخراستها) عبر إغلاقها - فيما إذا كانت في دائرة سلطة المؤمنين - أو عبر التشويش عليها بالأجهزة الحديثة فيما إذا كانت خارج الدائرة، أم غير ذلك؟

وكإشارة نقول:

أفضل طريقة للتصدى لها هي: صنع البديل الأكفأ الأنفع فيلتف الناس حوله طبيعياً، ويكون من إسكات الشياطين بالطريقة الإيجابية(1)، فإذا كانت الإذاعة والتلفزيون والصحف الإسلامية أغنى وأقوى وأكثر عطاءً وروعة من غيرها اجتذب الناس إليها دون شك، خاصة مع مطابقتها لمتطلبات الفطرة.

أما إغلاقها وسائر ما يستلزمه من تضيق على العاملين بها أو سجنهم أو ملاحقتهم، فهو - مع انه غير مقدور في كثير من الموارد (2) - قد يكون مما ضرره أكثر من نفعه، نظراً لاستخدام الأعداء هذه مادة جديدة لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

ولذلك نرى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) تركا للمشركين والكفار الحرية في التحدث والدفاع الفكري عن عقائدهم وقارعوهم بالحجة لا بغيرها، وتفصيل الكلام في محله.

وطاح وشيظ (3) النفاق

القضاء على النفاق

مسألة: النفاق - ببعض معانيه - من أشد المحرمات، والقضاء عليه واجب، وذلك مما يستفاد من أدلة عديدة، عقلية ونقلية، ومنها: وقوعه في كلامها (عليها السلام) ههنا نتيجة وغاية لذلك الواجب المسلم (4) ولذلك نرى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بإحراق ذلك المسجد

ص: 45

- 1- هذا لا يتنافى مع منع ما يمكن منعه من البرامج الفاسدة، كالأفلام المفسدة وما أشبه.
- 2- ومع عدم جواز بعض ألوان التضحيقات، كما هو مذكور في (الفقه: الدولة الإسلامية) و(الفقه: الحقوق) و(الفقه: الحريات) وغيرها من تأليفات الإمام المؤلف دام ظله.
- 3- وفي بعض النسخ: (وسيط النفاق) ويكون المراد رئيس المنافقين وأشرفهم وأرفعهم محلاً.
- 4- أى قولها (عليها السلام): (ضارباً ثبجهم، آخذاً بكظامهم، داعياً.. يكسر الأصنام وينكث الهام) وذلك كله طريق ووسيلة إلى (حتى انهزم الجمع .. حتى تفرى الليل من صبحه.. ونطق.. وخرست.. وطاح وشيظ النفاق..).

الذى اتخذ ضراراً حيث كان مركزاً أو مجمعاً للمناققين والضرر والإضرار بالمسلمين(1).

وهناك روايات كثيرة فى ذم النفاق وبيان أقسامه وأبوابه وما أشبه، فى الدعاء المروى عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «اللهم طهر لسانى من الكذب وقلبى من النفاق»(2). وعن أبى جعفر (عليه السلام): «ان الخصومة تمحق الدين وتدرسه وتحبط العمل وتورث النفاق»(3).

وعن أبى جعفر (عليه السلام) قال: «لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلل النفاق»(4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الكذب باب من أبواب النفاق»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «حب المال والشرف يبتان النفاق كما يبت الماء البقل»(6).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيمان برىء من النفاق»(7).

وقال (عليه السلام): «النفاق توأم الكفر»(8).

وقال (عليه السلام): «احذروا أهل النفاق فانهم الضالون المضلون»(9).

قولها عليها السلام: (طاح) أى سقط (وشيط) السفلة الذين يشطون عند ذهاب الحق وعموم الظلام. والمراد بالنفاق: إما معناه الاصطلاحى أى المنافقين الذين اظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، حيث أنهم سقطت كلمتهم وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمسارب الحياة عليهم وهذا هو المنصرف. أو معناه اللغوى وهو التلون بألوان مختلفة ووجوه متعددة فى شتى المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، لان الأمم الفاسدة تفتقد مكارم الأخلاق ويروج فيها النفاق وتتكون لها وجوه متعددة الى جانب المساوى الأخرى.

ص: 46

1- راجع تفسير الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام): ص 483 و ص 488.

2- مصباح الكفعمى: ص 96 الفصل 17.

3- دعائم الإسلام: ج 2 ص 539 كتاب آداب القضاء ح 1914.

4- تفسير العياشى: ج 1 ص 242 سورة النساء.

5- مجموعة ورام: ج 1 ص 113.

6- مجموعة ورام: ج 1 ص 155.

7- غرر الحكم: ص 458 ح 10476.

8- غرر الحكم: ص 458 ح 10484.

9- غرر الحكم: ص 458 ح 10494.

حل مراكز قوى الأعداء

مسألتان: تحرم مشاققة الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، ويجب السعى لفصم العرى التي تربط المشركين بعضهم ببعض، أى القضاء على أى مركز تجمع لهم يخشى خطره على الإسلام والمسلمين، وذلك بالأسلوب الذى اتبعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وسائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

والشقاق غير الكفر، فإن المراد بالشقاق ان يكون الحق فى شق والباطل فى شق آخر، وان كانا يشتركان فى الجامع وهو (إظهار الإسلام)، قال سبحانه: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً» (1).

وفى الحديث: «اجتنبوا أهل الشقاق وذرية النفاق» (2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المؤمن منزه عن الزيف والشقاق» (3).

قولها (عليها السلام): (وانحلت عقد الكفر) فلا مراكز لهم يلجئون إليها ويتقون بها ويستظهرون بها على الإسلام والمسلمين. (انحلت..). أى الجبهة المقابلة للإسلام كلاً- أو للإسلام الصحيح انحلت، فلم يبق لها ملجأ و مجمع، كما هو الشأن فى كل حق يظهر، حيث ان الباطل ينزوى ولا يتمكن أن يثبت وجوده كقوة فاعلة متركزة، وان بقى أشلاء متناثرة وأعضاء متفرقة لا حول لها ولا قوة.

وفهتكم بكلمة الإخلاص

ص: 47

1- سورة النساء: 115.

2- المناقب: ج 4 ص 203.

3- غرر الحكم: ص 461 ح 10564.

وههنا مسائل:

1: النطق بكلمة الإخلاص واجب في الجملة وبعض مصاديقه مستحب.

2: وكما يجب على المؤمن يجب ذلك على الكافر أيضاً، لضرورة الاشتراك في التكليف.

3: وبعض مراتب الإعلان والتجاهر بهذه الكلمة واجب، ويجب في الجملة الجهاد لأجل ذلك.

والمراد من (فهتم) اما معناها الظاهري وهو النطق ومجرد التفوه بكلمة الإخلاص، وإما: الإظهار والإعلان والتجاهر أيضاً، و(كلمة الإخلاص) هي (لا إله إلا الله) وتسمى بالإخلاص لان المفروض فيها(1) ان يخلص الإنسان العقيدة له سبحانه من غير شريك، ثم ان العطف بالواو وان كان الأصل فيه اصل العطف لا الترتيب - على المشهور - إلا انه قد يستخدم في موارد الترتيب بقرينة مقامية، كما في المقام، فان إظهار الشهادتين عموماً وإظهار الإخلاص لله سبحانه وتعالى بالنسبة الى المؤمنين كان تحققه عادة بعد إسقاط كلمة الكفر والنفاق والشقاق، وقد جاءت السيدة الزهراء (عليها صلوات الله) بهذه الجملة عقيب الجملة السابقة، وهذا قد يدل على ما ذكرناه.

وفي الروايات: «القول الصالح شهادة ان لا إله إلا الله»(2).

وفي حديث سلسلة الذهب عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن الله عز وجل قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، فلما مرت الراحلة نادانا (عليه السلام): بشروطها وأنا من شروطها»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ما استقر الكرسي والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرضون إلا بعد ان كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على ولي الله»(4).

ص: 48

1- المفروض اما من الفرض بمعنى الوجوب، أى الواجب فيها الإخلاص، أو المراد قد فرض فيها ان يكون المتكلم بها مخلصاً.

2- راجع الامالى للشيخ الصدوق: ص 100 المجلس 21 ح 9.

3- الامالى للشيخ الصدوق: ص 235 المجلس 41 ح 8.

4- مائة منقبة: ص 49 ح 24.

قولها (عليها السلام): (فهتم) من فاه أى تكلم، بكلمة الإخلاص، ثم ان من المعلوم ان التفوه بها مخلصاً يستتبع العمل ويقتضيه ويوجب سلوك الدرب الصحيح، ورفض المشركين التفوه بهذه الكلمة المباركة لم يكن لمجرد أنها كلمة عابرة، بل لأن التفوه بهذه الكلمة كان عنواناً للخروج من ولاية الشيطان والدخول فى ولاية الرحمن، فهو رمز وشعار وعلامة أولاً(1)، ثم الاعتراف بالإله الواحد يقتضى ان يسلك الطريق إلى آخر فرع من فروع الدين ثانياً.

فى نفر من البيض الخماص(2)

التقوى والزهد من المقومات

مسألة: هذه الكلمات منها (صلوات الله عليها) توحى بأهمية الزهد والعمل والتقوى ومقوميتها للتقدم، كما تشير إلى بعض صفات القادة الأسوة أيضاً.

قولها (عليها السلام): (نفر) أى جماعة، (البيض) أى صحيفتهم بيضاء ونقية عن الآثام والموبقات، والمراد بهم: أما أجلي المصاديق وهم أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، حيث ان المسلمين التحقوا بهم، ويدل عليه ما جاء فى بعض النسخ: (فى نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، أو مطلق الذين اخلصوا لله فصارت صحيفتهم بيضاء وان كانت قبل ذلك - لبعضهم - سوداء.

(الخماص): خميص البطن أى خاليه، وفى الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو اخماصاً وتروح بطانا)(3) فان الطير إذا لم يطر لم يحصل على رزقه، نعم لا بد من توفر الحرية التى أمر بها الإسلام للإنسان حتى ينشط فى العمل ويخطو خطوات واسعة فى مجال التقدم والتفوق كالطير الحر، وإلا كان نصف البشر أو أكثره فقيراً، وان عمل وكد وجد واجتهد، كما نراه فى عالم اليوم حيث السيطرة لغير

ص: 49

- 1- وذلك كمن يرفع علم دولة، أو المسيحي الذى يحمل الصليب على صدره أو ما أشبهه.
- 2- وفى بعض النسخ: (فى نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).
- 3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 222. بيان فضيلة التوكل.

والمراد بالخصائص إما المعنى الحقيقي كما سبق، أو المجازى أى الذين لاعلاقة لهم بالدنيا، ولا يأكلون أموال الناس بالباطل، ومن المعلوم ان مثل هؤلاء الأشخاص المهذبين الذين لا يعيرون الدنيا اهتماماً هم الذين يتمكنون من صرف كل أوقاتهم فى سبيل الله، وبالفعل كانوا كذلك حتى تمكنوا من تقدم الإسلام إلى الأمام.

قال تعالى فى الحديث القدسى: «إنى وضعت العلم والحكمة فى الجوع»(2).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نور الحكمة والمعرفة الجوع، والتباعد من الله الشبع»(3).

وقال النبى (صلى الله عليه وآله): «يا على إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها، هى زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد فى الدنيا»(4).

وقال (عليه السلام): «غاية الزهد الورع»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم الرجل قد أعطى الزهد فى الدنيا فاقربوا منه، فإنه يلقى الحكمة»(6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أبا ذر إن أهل الورع والزهد فى الدنيا هم أولياء الله تعالى حقاً»(7).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقوى والزهد فى عالم الفناء والتوله بجنة المأوى»(8).

وقال (عليه السلام): «الزهد سجية المخلصين»(9).

ص:50

1- راجع كتاب (المتخلفون مليارا مسلم) للإمام المؤلف.

2- مشكاة الأنوار: ص 328 ب 9.

3- روضة الواعظين: ص 457.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 170.

5- كشف الغمة: ج 2 ص 346.

6- روضة الواعظين: ص 437 مجلس فى الزهد والتقوى.

7- مكارم الأخلاق: ص 468 الفصل 5.

8- غرر الحكم: ص 48 الفصل الثالث فى العالم.

9- غرر الحكم: ص 275 ح 6032.

وكنتم على شفا حفرة من النار

تذكر النعم السابقة

مسألة: حيث إن مما يحمل الإنسان على معرفة قدر النعم الإلهية وبيعته على شكرها القولى والعملى: تذكر الأخطار والأهوال والظروف التعيسة التى كان يعيش هو فيها، أو التى كان يمكن ان يعيش فيها لولا اللطف الإلهى وجهاد الرسول الأعظم وآله الأطهار (عليهم افضل الصلاة وأزكى السلام) ..

لذلك فان من المستحب ان يتذكر الإنسان ماضيه وماضى أسرته وأمتة - التحقيقى أو التقديرى (1) - قال تعالى: « ألم يجدك يتيما فأوى * ووجدك ضالا فهدى» (2).

ومن المستحب تذكير الناس بذلك أيضا، وكلامها (عليها الصلاة والسلام) ينطلق من هذا المنطلق وغيره.

قال تعالى: «قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين» (3).

وقال سبحانه: «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين» (4).

وقال تعالى: «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين» (5).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «نحن أهل البيت النعيم الذى أنعم الله بنا على العباد، بنا ائتلفوا بعد ان كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم، وبنا أنقذهم الله من الشرك والمعاصى، وبنا جعلهم الله إخوانا، وبنا هداهم الله فهى النعمة التى لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعمة التى أنعم عليهم، وهو النبى وعترته» (6).

ومن فوائد دراسة الماضى معرفة المستقبل إجمالا حيث قال (صلى الله عليه وآله): «كلما كان فى الأمم

ص: 51

1- أى الذى لولا اللطف الإلهى لتحقق وتنجز.

2- سورة الضحى: 6 - 7.

3- سورة الأنعام: 11.

4- سورة النمل: 19.

5- سورة الروم: 42.

6- دعوات الراوندى: ص 158 ح 434.

السالفة يكون في هذه الأمة، مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»(1).

وانما قالت (عليها السلام): (على شفا حفرة من النار) اقتباساً من الآية الكريمة(2)، والتعبير ب- (كنتم على شفا حفرة) نظراً لأنهم كانوا أحياء، ولم يسقطوا بعد في نار جهنم. وان كانت النار - بالمعنى الآخر - محيطة بهم كما قال سبحانه: «وان جهنم لمحيطه بالكافرين»(3) فقد ذكرنا في كتاب (الآداب والسنن)(4) وغيره: ان الدنيا التي نعيش فيها لها وجه: وجه ظاهر وهو الملموس بالحواس الخمس، ووجهان واقعيان، هما الجنة والنار، كما يظهر من الآيات والروايات، فقد قال سبحانه: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا»(5).

وقال جل وعلا: «وان جهنم لمحيطه بالكافرين»(6).

وقال تعالى: «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً»(7).

وقال (صلى الله عليه وآله): (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة)(8) وما أشبه ذلك مما هو كثير في الروايات(9).

وجوب الإنقاذ

مسألة: يجب - عقلاً وشرعاً - إنقاذ من يكون على شفير حفرة من النار.

إذ كما يتحمل الإنسان مسؤولية نفسه كذلك يتحمل مسؤولية أسرته، قال تعالى: «قوا

ص:52

1- كمال الدين: ص576.

2- قوله تعالى: « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » سورة آل عمران: 103.

3- سورة التوبة: 49.

4- موسوعة الفقه: ج94 - 97 كتاب الآداب والسنن.

5- سورة الروم: 7.

6- سورة العنكبوت: 54.

7- سورة النساء: 10.

8- معاني الأخبار: ص267.

9- هذا مع إمكان حملها على عالم الآخرة مجازاً بالأول أو المشاركة.

أنفسكم وأهليكم ناراً»(1) ويتحمل مسؤولية مجتمعه أيضاً، فليست مسؤولية الهداية والإرشاد خاصة برجال الدين فحسب، إذ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)(2) وان كانت مسؤولية رجال الدين أكد، قال تعالى: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»(3) والعلماء هم الذين يربطون على الشجر الذي يلي إبليس.

وهذا من غير فرق بين نار الدنيا أو نار الآخرة، وان كان وجوب الثاني أكد وأشد، فان نار الدنيا زائلة ونار الآخرة باقية دائمة، إلا من خرج منها بلطفه سبحانه، ومع ذلك فان نار الدنيا أهون مراتب ومراتب من تلك النار الآخرة ولو كانت مؤقتة، وفي دعاء كميل: (.. فكيف احتمالي لبلاء الآخرة...)(4).

قولها عليها السلام: (شفا) أى شفير (حفرة) لأن النار فى حفرة جهنم، بخلاف الجنة حيث هى درجات، بينما النار دركات، (من النار) نار الآخرة لكفرهم وفسادهم عقيدة وأخلاقاً وشريعة، فإذا مات أحدهم سقط فى جهنم. ومن المعلوم ان نار الآخرة إنما هى لمن بلغه الحق فأعرض عنه، أما الجاهل القاصر فانه يمتحن فى الآخرة، كما ورد فى الحديث.

والتعبير ب- (كنتم على شفا) نظراً لأن حياة الإنسان مهما طالت فهى قصيرة تمضى كلمح بالبصر خاصة إذا ما قيست بالحياة الآخرة، وإذا ما قيست بماضى الدنيا أيضاً، قال تعالى: «أقتربت الساعة»(5).

وربما يعترض بأنهم قبل إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكونوا ممن بلغتهم الحجة، فكيف يعاقبون؟

والجواب:

أولاً: (لله حجتان، باطنة وظاهرة) كما فى الحديث الشريف(6)، وهؤلاء كانوا قد خالفوا صريح حكم العقل والفطرة فى سفك الدماء وانتهاك الأعراض وسحق الحقوق فتأمل.

ص:53

1- سورة التحريم: 6.

2- غوالى اللئالى: ج 1 ص 129، وإرشاد القلوب: ص 184.

3- سورة التوبة: 122.

4- راجع مصباح الكفعمى: ص 555، دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة النصف من شعبان .

5- سورة القمر: 1.

6- راجع الصراط المستقيم: ج 2 ص 277.

وثانياً: لم تكن الجزيرة خالية من أوصياء الأنبياء وتعاليم الأنبياء قبل الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد كان فيهم أمثال عبد المطلب وأبى طالب (عليهما السلام).

مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام

حرمة إذلال المؤمن نفسه

مسألة: يحرم إذلال المؤمن نفسه - فى بعض مراتبه (1) - ولو بالتسيب أو بترك تمهيد المقدمات التى توجب إخراجہ من الذلة.

فان الله لم يفوض له إذلال نفسه، قال (عليه السلام): «ان الله فوض إلى المؤمن أمره كله ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً أما تسمع قول الله عز وجل: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)» (2) فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، ثم قال: ان المؤمن أعز من الجبل، ان الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء» (3).

وقال (عليه السلام): «المؤمن لا يكون ذليلاً ولا يكون ضعيفاً» (4).

وفى الحديث عن أمير المؤمنين على (عليه السلام): «من استنجد ذليلاً ذل» (5).

وكذلك الأمر فى التجمعات: كالهينات والنقابات والتنظيمات والأحزاب والأمم، فان المحرم ان تذلل أنفسها بالتمسح على أعتاب الشرق والغرب، أو بالنزاعات والمهاترات، أو حتى بترك ما ينبغى لمثلها أن تكون عليه - فى الجملة - أى بكل ما يسبب ان تكون الأمة مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، أى أن تكون ضعيفة كما أو كيفاً وفى جميع مجالات الحياة.

قال سبحانه: «وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل

ص: 54

1- أى بعض مراتب الإذلال.

2- سورة (المنافقون): 8.

3- مشكاة الأنوار: ص 50.

4- مشكاة الأنوار: ص 260.

5- غرر الحكم: ص 465 ح 10706.

الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): (ان الله يحب الرجل الشجاع ولو يقتل حية).

وفى الروايات: ان الشجاعة من خصال الأنبياء(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الشجاعة عز حاضر»(3).

وقال (عليه السلام): «الشجاعة أحد العزّين»(4).

وقال (عليه السلام): «الشجاع والشجاعة غرائز شريفة يصنعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه»(5).

بل يجب على المؤمن والتجمعات الإيمانية والأمة الإسلامية أن تمهد من الأسباب ما يوجب عزتها ومزيدها من كرامتها ورفعته إجمالاً، فإن «لله العزة ورسوله وللمؤمنين»(6) وقد قال سيد الشهداء (عليه السلام): (ألا وان الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام..)(7).

وقال (عليه السلام): (من استوى يومه فهو مغبون)(8).

وقال (عليه السلام): (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً)(9).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن ترك التجارة منصرفاً إلى العبادة: (اغد إلى عرك).

وغير ذلك من الآيات والروايات التي يستفاد منها رجحان أو وجوب العزة - فى بعض

ص: 55

1- سورة آل عمران: 146.

2- راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 277 ح 15.

3- غرر الحكم: ص 259 ح 5525.

4- غرر الحكم: ص 259 ح 5529.

5- غرر الحكم: ص 375 ح 8443.

6- سورة المنافقون: 8.

7- اللهوف: ص 97 - 98، ويشير (عليه السلام) إلى ان الذلة هى بعيدة عنه اشد البعد، إذ أن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) يأتیان ذلك وكذلك المؤمنون، ثم ان مقتضى التربية الصالحة (وحجور طابت) أيضاً هو رفض ذلك، اضافة الى ان النفس بفطرتها الصافية ترفض ذلك أيضاً (ونفوس أبية).

8- معانى الأخبار: ص 342.

9- بشارة المصطفى: ص 222، مستطرفات السرائر: ص 650.

مراتبها أو بالقياس إلى بعض الجهات أو في عدد من الحالات - مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، أو بدلالة الاقتضاء.

قولها عليها السلام: (مذقة) من المذاق، أى كنتم أذلاء حتى أنكم كنتم كالذى يمدقه ممن يشرب الماء حيث المذقة لا قيمة لها(1).

(نهضة) أى محل الانتهاز، فالذى يطمع فيكم يتمكن من ان ينتهز الفرصة ليأخذكم ويسلبكم ويستولى على نسائكم، فقد كانوا كذلك، أموالهم منهوبة ونساؤهم مخطوفات، فلا- دين ولا- دنيا ولا- قانون ولا شرف يمنع عن السرقة والضرب والجرح والقتل وانتهاك سائر المحرمات كزنا بعضهم بنساء بعض.

(قبسة العجلان): فكما أن الإنسان - إذا كان على عجل في طريقه - يقتبس شيئاً من النار المشتعلة ويذهب لحاجته دون ان يمنعه أحد من الاقتباس، لعدم قيمة النار المقتبسة، كذلك كنتم انتم لا قيمة لكم ولا اعتبار، فكان بعضهم يستعبد بعضاً بالقوة بلا رادع ولا مانع.

(موطئ): إن الأقدام تطأ الأشياء الخسيسة التي لا قيمة ولا أهمية لها، كذلك كنتم في الجاهلية فاقدين لكل شخصية واعتبار، فالقوى يطارد الضعيف والغنى يستخف بالفقير، وكل إنسان يسحق من دونه.

ولقد جاءت هاتان الجملتان: (وكنتم على شفا..) و(مذقة الشارب..) بحيث ترسم الصورة المتكاملة لحالتهم في الدنيا والآخرة، ف- (كنتم على شفا حفرة من النار) تكشف عن مصيرهم في ذلك العالم، و(مذقة الشارب..) تدل على حالتهم المعيشية في هذه الدار، فكانوا مصداق من خسر الدنيا مع الآخرة، ومن لا معاش له لا معاد له.

العزة في كل شؤون الحياة

مسألة: ما ذكر في المسألة السابقة من الحكم شامل للعزة والذلة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً وغير ذلك من شؤون الحياة، فينبغى بل قد يجب أن يكون المؤمنون في كلها ذوى العزة، بل ان يكونوا هم الأعز، قال تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون

ص: 56

1- فلا تروى غليلاً ولا تطفئ عطشاً.

إن كنتم مؤمنين»(1).

فالوهن والضعف منهى عنه، ولزوم كونهم (الأعلون) هو مقتضى تعليقه على الشرط(2) مشفوعاً بقريضة السياق، وبما سيق الكلام لأجله، إضافة إلى إطلاق ما سبق من الآيات والروايات.

وقال (صلى الله عليه وآله): (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه)(3).

إضافة إلى لحاظ جانب الطريقية والمقدمية في مراتب العزة، إذ كلما كان المؤمنون اعز كانوا اقدر على إرشاد الناس واجتذابهم للدين المبين، وكلما كانوا اعز كانت مكانتهم في نفوس سائر الملل والنحل أقوى، إذ الغالب في الناس الانشداد نفسياً والتأثر فكرياً والافتداء عملياً بذوى العزة والجاه والمنزلة علمياً أو اقتصادياً أو غير ذلك، وقد يكون ذلك كله من مصاديق (كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم)(4) وهذا من أسرار تأثير كثير من المسلمين بالحضارة الغربية.

الإرشاد لمواطن الضعف

مسألة: يستحب وقد يجب إرشاد الأمة لمواطن الضعف في حياتها ومسيرتها الماضية والحالية، كما يلزم - بالمعنى الأعم - تحذيرها مما قد يعثرها في مستقبل الأيام، للتلازم بين الأمرين، كما المع إليه في بعض البنود السابقة(5).

وفي الحديث قال (عليه السلام): «أحب أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبى»(6).

حرمة الاستسلام للاستعمار

مسألة: يحرم ان تستسلم الأمة لاستعمار الآخرين، وان ترزخ تحت نير المستعمرين، من

ص: 57

- 1- سورة آل عمران: 139.
- 2- الشرط هو (ان كنتم مؤمنين) في الآية المباركة.
- 3- غوالي اللئالى: ج 1 ص 226، نهج الحق: ص 515.
- 4- مشكاة الأنوار: ص 46 عن أبي عبد الله (عليه السلام).
- 5- راجع للإمام المؤلف دام ظله: (المتخلفون مليارا مسلم) و(إلى نهضة ثقافية إسلامية) و(نحو يقظة إسلامية) و(إلى حكم الإسلام) و(لماذا تأخر المسلمون) و(السبيل إلى إنهاء المسلمين) و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين)...
- 6- الاختصاص: 240.

غير فرق بين أنحاء الاستعمار، كالأستعمار العسكرى والاقتصادى و الثقافى وغيرها، ولا فرق فى الآخرين بين ان يكونوا من أهل الكتاب أو غير أهل الكتاب، بل ان الله تعالى يحرم مطلق الاستعمار حتى من كافر لكافر وربما أوجب القتال لاجل استنقاذه.

قال سبحانه: «وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين»(1).

وقال تعالى: «ولقد كرنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً»(2).

والاستعمار خلاف مقتضى كرامة الإنسان بما هو إنسان.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»(3).

ولا يخفى ما فى شفع (مذقة الشارب ونهزة الطامع..) فى كلامها (عليها السلام) ب- (وكنتم على شفا حفرة من النار) من الدلالة على شدة مبعوضية ان تكون الأمة مستعمرة للآخرين، مغلوبة على أمرها، فاقدة لاستقلاليتها، فقد قرنت (صلوات الله عليها) ذكر حالتهم الأخروية بهذه الحالة الدنيوية فى تصويرها لأسوأ ما منوا به.

وكان تعبيرها (عليها السلام) بما سيأتى من (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) دليلاً ساطعاً على ان من أعظم ما حققه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ومن اكبر المنن عليهم: إنقاذهم من الاستعمار كما أنقذهم من حر النار.

تشربون الطرق

كراهة شرب الطرق

مسألة: يكره شرب الطرق، فان شرب الماء المطروق يضر الإنسان صحياً، والإسلام يأمر بالتزام المناهج الصحية للجسم، وقد قال (عليه الصلاة والسلام): (إن لبدنك عليك حقاً)(4).

ص: 58

1- سورة النساء: 75.

2- سورة الإسراء: 70.

3- تحف العقول: ص 76 كتابه إلى الحسن (عليه السلام).

4- انظر رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام).

بالإضافة إلى أن شرب الماء الذى تطرقه الحيوانات يتنافى مع الحديث النبوى (صلى الله عليه و آله): (النظافة من الإيمان)(1) فاللازم على المسلمين ان تكون مياه شربهم نظيفة وان ينتهجوا النظافة فى جميع مجالات الحياة(2)، وهناك آداب كثيرة فى شرب الماء ذكرناها فى الفقه(3).

ولم نقل بحرمة شرب الطرق نظراً لأن الأصل الحل والاباحة، نعم يحرم شربه إذا تغير طعمه أو لونه أو ريحه بالنجاسة، أو فيما إذا أصبح مضرراً ضرراً بالغاً، وكذا الحال فى المياه الآسنة وشبهها.

قولها (عليها السلام): (الطرق) أى الماء القليل الذى ترده وتطرقه الكلاب والحيوانات، وحيث كانوا فى بلاد جافة فى الجزيرة كان شربهم من هذه المياه المخلوطة بالأبوال والأرواث.

والملاحظ أنها (صلوات الله عليها) بدأت بذكر مآلهم وسوء عاقبتهم، ثم ثنت بوصف حالتهم السياسية والاجتماعية المأساوية، وثلثت بذكر حالتهم الاقتصادية المزرية، ثم عادت لتشير إلى حالتهم النفسية والاجتماعية أيضاً (أذلة .. من حولكم)..

وكانت إشارتها (عليها السلام) إلى كل تلك الجوانب أبداع إشارة، حيث اعتصرت كل تلك الجوانب فى كلمات قليلة جسدت فيها الواقع فى أدب تصويرى رائع.

وتقتادون القند(4)

كراهة أكل القند والورق

مسألة: يكره أكل القند والورق - كما فى بعض النسخ - فإن أكل أوراق الأشجار والقند كثيراً ما يوجب أمراضاً، كما ذكر فى علم الطب.

ولا يبعد أن يستفاد من قوله تعالى: «ويحل لهم الطيبات»(5) أن الأطيب هو

ص: 59

1- طب النبى (صلى الله عليه و آله): ص 21.

2- راجع موسوعة الفقه: كتاب النظافة.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 76 و 77 كتاب الأطعمة والأشربة.

4- وفى بعض النسخ: (وتقتادون الورق).

5- سورة الأعراف: 157.

الأفضل، ومن قوله سبحانه: «ويحرم عليهم الخبائث» (1) انه كلما كان أخبث كان اسوأ، للملاك، ولان للأحكام درجات في جانبى السلب والإيجاب.

قولها (عليها السلام): (القد) القديد وهو اللحم والجلد الذى يجفف فى الشمس، وعادة تكثر فيه الديدان والتعفن، وقد كان اللحم الذى يأكلونه هو هذا، وكثيراً ما كانوا لا يجدون حتى هذا فيأكلون أوراق الأشجار، وكل ذلك لعدم اهتداء الجاهليين للمناهج الحيوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. التى أمر بها الإسلام والتى تصلحهم فى دينهم ودنياهم، فكان كل شىء منهم فى غاية التخلف والتأخر والانحطاط.

ومن الثابت أن نوعية الطعام تؤثر على الإنسان وتفكيره وعلى عواطفه ومشاعره وعى حاله النفسية والروحية والمعنوية، وحتى على أولاده أيضاً - عند انعقاد النطفة وفترة الحمل والرضاع - ولذلك وردت أحاديث كثيرة فى الأطعمة والأشربة مما ذكر الفقهاء تفصيلها فى كتاب (الأطعمة والأشربة) (2) وفى كتب طب المعصومين (عليهم السلام) وغيرها.

ولقد كان من علل قساوة الجاهليين وغلظتهم وتحجر عواطفهم هو ذلك المأكل والمشرب السيئ الردىء.

أذلة خاسئين

الذلة النفسية والسياسية

مسألة(3): يجب السعى لنجدة الذليل فرداً كان أم أمة، واستخراجه من ذلته فى الجملة، بكلا معنئى الذلة، إذ:

الذلة تارة تكون حالة نفسية يعيشها الإنسان فى ذاته وداخله، كمن يشعر بعقدة الحقارة، وهى قد تصيب الأمم فيبهرها كل ما تأتى به سائر الحضارات.

وقد تكون معادلة اجتماعية سياسية، حيث قد تتغلب أمة على أمة، أو دولة على دولة،

ص:60

1- سورة الأعراف: 157.

2- راجع موسوعة الفقه: ج76-77.

3- المسألة السابقة (حرمة إذلال المؤمن نفسه) تختلف عن هذه من جهة ان تلك كانت بياناً لحكم المرء نفسه بالنسبة لنفسه، وهذا بيان حكمه بالنسبة لغيره.

أو فرد على فرد، حيث يعيش المغلوب ذلة عملية باعتبار كونه محكوماً مكبلاً وإن كان هو الأفضل والأكفأ والأعلم.

والى هذا القسم الثانى يشير الشاعر حيث يقول عن لسان الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام):

أقاد ذليلاً فى دمشق كأنى

من الزنج عبد غاب عنه نصير

أو ما ورد من (وبعد العز مدلالات)(1).

أو قوله تعالى: «ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة»(2).

فاللزام أن يسعى الإنسان ليكون عزيزاً وليحقق العزة بسائر أبناء ملة الإسلام أيضاً، فإن كانت ذلته داخلية فعليه أن يعالج أسبابها ويزيل مقتضياتها، إذ قد تكون لجهل أو فقر أو تلقين أو ما أشبه.

وإن كانت خارجية - أى مظلومية - وجب أيضاً أن يتحداها ويواجهها بالفكر والمنطق، أو بالإعلام والدعاية كما قامت به السيدة زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد(3) ويزيد(4) وغيرهما..

وهكذا الإمام السجاد (عليه السلام) فى مجلس يزيد(5) وغيره، وكبائه (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة(6) على مقتل أبيه الحسين (صلوات الله عليه).

وكما قامت به فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله)(7).

ص: 61

1- الدعاء والزيارة، زيارة الناحية المقدسة.

2- سورة آل عمران: 123.

3- راجع الامالى للشيخ الصدوق: ص 165 المجلس 31 ح 3، والإرشاد: ج 2 ص 115، وكشف الغمة ج 2 ص 63، وإعلام الورى ص 252، ومثير الأحزان ص 90.

4- الاحتجاج: ص 307 - 310، احتجاج زينب بنت على (عليها السلام) حين رأت يزيد يضرب ثنايا الحسين (عليه السلام) بالمخصرة، ومثير الأحزان: ص 100-101، واللهورف: ص 181.

5- الاحتجاج: ص 310 - 311، احتجاج على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه.

6- الامالى للشيخ الصدوق: ص 140 المجلس 29 ح 5، الخصال: ص 272 البكاءون خمسة ح 15.

7- المناقب: ج 3 ص 362، فصل فى وفاتها وزيارتها، وفيه: «روى أنها مازالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذى كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة..». وفى روضة

الواعظين: ص150، مجلس فى ذكر وفاة فاطمة (عليها السلام): «وروى أن فاطمة لازالت بعد النبى (صلى الله عليه وآله) معصبة الرأس ناحلة الجسم، منهدة الركن من المصيبة بموت النبى (صلى الله عليه وآله) وهى مهمومة مغمومة محزونة مكروية كئيبة حزينة باكية العين محترقة القلب...».

وكما قام به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من قبل لمدة طويلة في مكة المكرمة حيث لم يكن قد أذن له بالجهاد بعد.

أو بالمواجهة العسكرية، كحروب النبي (صلى الله عليه وآله) (1).

أو بالنهضة والتضحية بالغالى والنفيس كثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، ف- (الحياة فى موتكم قاهرين والموت فى حياتكم مقهورين) (2).

أو بأسلوب المقاومة السلبية، كما قام به الإمام الحسن (عليه السلام) وعدد آخر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث كانت هى الطريقة الوحيدة لفضح معاوية وأشباهه وكشف القناع عن زيفه ودجله وخداعه.

ويستفاد ذلك الحكم من كلامها (عليها السلام) من اعتبارها (أذلة) من أسوأ ما منى به الجاهليون قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واقترائه بما سبق ولحق، والامتنان عليهم أكبر الامتنان بإنقاذه تعالى إياهم من تلك الحالات بأيها محمد (صلى الله عليه وآله)، وبحكم العقل ودليل التلازم والأسوة يثبت ما سبق.

فتحصل مما سبق مسائل: انه يحرم الإذلال - حدوثاً - للفرد والتجمعات والأمة، داخلية كانت أم خارجية، ويجب الخروج منها بالنسبة إلى الذليل نفسه، كما انه يجب على الآخريين الحيلولة دون ذلة إنسان (دفعاً) وإذا وقع فى الذلة وجب عليهم إخراجها منها (رفعاً) فهى محرمة حدوثاً وبقاءً، بالنسبة للنفس أو الغير.

قولها (عليها السلام): (أذلة) أذلاء جمع ذليل (خاسئين) مطرودين، وقد جاء فى التاريخ ان أهل الجزيرة كانوا يستغيثون بكسرى وقيصر كى يشملهم بحكمه وينقذ بعضهم من يد بعض، فما كانا يستجيبان لهم لذلتهم وحقارتهم.

انتهاج منهج الجاهليين

مسألة: يحرم فى الجملة انتهاج منهج الجاهليين فى عاداتهم وطقوسهم، فإن الجاهلية

ص: 62

1- راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم ج12) للإمام المؤلف دام ظله.

2- انظر المناقب: ج3 ص167، فصل فى حرب صفين، وشرح النهج: ج3 ص244 الفصل الخامس.

تشمل العقائد والآداب والأخلاق والسلوك والأمور المرتبطة بالجسم، لأن كل انحطاط جاهلي، وكل ارتفاع علمي، فإن العلم يوجب ارتفاع الإنسان في مختلف أبعاد الحياة «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»(1).

وقد أشير إلى ذلك في جملة من آيات القرآن الحكيم والروايات:

مثل قوله سبحانه: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية»(2).

وقوله تعالى: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»(3).

وقال سبحانه: «افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً»(4) إلى غير ذلك.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا على اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «وأمت أمر الجاهلية إلا ما سنه الإسلام»(6).

وفي الدعاء الوارد في غيبة الإمام القائم (عج): «اللهم لا تمتني ميتة جاهلية»(7).

وفي علل الشرائع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من مات وهو يبغضك يا على مات ميتة جاهلية»(8).

ومن مصاديق ذلك الحكم الكلي(9) إحياء آثار وذكرى الفراعنة والقياصرة والجبابرة، عبر وضع النصب والتماثيل لهم أو حفر صورهم وأسمائهم في الجدران وغير ذلك. وكذلك اتباعهم في اعتقادهم بالخرافات والسحرة والكهنة والتنجيم، وكذلك في المأكل والمركب والملبس وشبه ذلك مما يعد عرفاً أتباعاً لهم وأحياناً لذكراهم.

ص: 63

1- سورة المجادلة: 11.

2- سورة الفتح: 26.

3- سورة الأحزاب: 33.

4- سورة المائدة: 50.

5- الامالى للشيخ الصدوق: ص 173 المجلس 32 ح 7، وعلل الشرائع: ص 473 باب النوادر ح 35.

6- تحف العقول: ص 25.

7- كمال الدين: ص 512.

8- علل الشرائع: ص 157.

9- أى انتهاج منهج الجاهليين.

ولا فرق في ذلك بين جاهلية القرون السابقة، أو جاهلية القرن العشرين، حيث حكمت الجاهلية باسم الحضارة والتمدن في شتى مناحى الحياة(1).

فما دام المسلمون يعيدون عن مناهج الله، متمسكين بعبادات وتقاليد الجاهلية الأولى أو الجاهلية المعاصرة، فإنهم سيبقون - والعياذ بالله - (أذلة خاسئين).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»(2) قال أى سيكون جاهلية أخرى»(3).

ص: 64

1- فذوات الأعلام في ذلك الزمن اصبحن يحملن (الكارتات) وأرقاماً رسمية في هذا الزمن! والسفور والمساحب المختلطة أصبحت دليل التحرر والتنوير، والذيلية للشرق والغرب أصبحت دليل الحكمة والتعقل وعلامة الرشد والرقى ووسيلة الخلاص من الأخطار الداخلية والخارجية تماماً كما كان الجاهليون يلتجئون ويتمنون حماية الروم والفرس لهم أمناً من شرورهم أنفسهم.

2- سورة الأحزاب: 33.

3- تفسير القمى: ج 2 ص 193 سورة الأحزاب.

ضمانات للمستقبل

مسألة: يجب توفير الضمانات التي تؤمن مستقبل الأفراد والأمة وتضمن لهم عدم تعرضهم لأي خطر يداهمهم على حين غرة، فإن مقدمة الواجب واجبة عقلاً، و(المؤمن كيس فطن حذر)(1) وقد ورد في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام): (كان والله بعيد المدى)(2).

أما الخوف فهو بالقياس إلى ما يضاف إليه قد يكون قبيحاً أو محرماً، وقد يكون حسناً أو واجباً:

فالخوف الناجم عن تقصير في المقدمات والمصحوب بتخاذل عن محاولة العلاج واتباع الطرق والحلول التي بينها الله تعالى في القرآن الحكيم وعلى لسان المعصومين (عليهم السلام) رذيلة، كما في الخوف الذي أشارت إليه (صلوات الله عليها) بالنسبة للجاهليين، وكما في التخوف الذي يعيشه الكثير من المسلمين - حكاماً أو أفراداً - من أن تتخطفهم الدول الاستعمارية أو الجائرة من حولهم تخطفاً عسكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو ما أشبه فلا يعملون بوظائفهم.

أما المؤمنون العاملون الملتزمون بالأوامر الإلهية السائرون على منهج رسل الله في الجهاد والتضحية، فقد قال تعالى في حقهم:

«ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(3).

وقال سبحانه: «بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(4).

والحزن عادة يطلق بالنسبة إلى الحال، والخوف بالنسبة إلى الاستقبال، وذلك لأن أولياء الله سبحانه وتعالى لا يرتباطهم بالله لا يخافون غيره ولا يحزنون لفوت شيء من الدنيا ونحوها،

ص: 65

1- دعوات الراوندي: ص 39، جامع الأخبار: ص 85، مجموعة ورام: ج 2 ص 297.

2- العدد القوية: ص 249، وكشف الغمة: ج 1 ص 77، وعدة الداعي: ص 208.

3- سورة يونس: 62.

4- سورة البقرة: 112.

ولذا فالخوف والحزن الحقيقيان منتفیان عنهم وإن كانوا خائفین بمعنی آخر كما قال سبحانه: «یدعوننا رغباً ورهباً» (1) وهم محزونون لأنهم لا يعرفون هل ان الله سيعاملهم بعدله أم بفضله، وفي الدعاء: (اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك).

فالخوف من الله هو الفضيلة كما قال (عليه السلام): (خف الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك) (2) وهكذا الخوف من مغبة الأعمال الطالحة، والخوف من نتائج التقصير والقصور السابق المشفوع بالعمل لأرب ما انصدع وجبر ما انكسر، هو المطلوب، وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): «يا بن مسعود خف الله في السر والعلانية فان الله تعالى يقول: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» (3)» (4).

أما الخوف من قوى الشيطان بتصور سلطانها على قوى الرحمن أو بتصور صدق إلقاءاتها عن مغبة اتباع أوامر الرسل هو الآخر مرفوض ومحرم، قال عز وجل: «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين» (5).

وفي الدعاء: «اللهم واستغفر لكل ذنب حملني على الخوف من غيرك أو دعاني إلى التواضع لأحد من خلقك أو استمالني إليه الطمع فيما عنده...» (6).

وقال الإمام على بن الحسين (عليه السلام): «يا بن آدم انك لا تزال بخير ما كان لك واعظاً من نفسك وما كان الخوف شعارك والحزن دثارك، ابن آدم انك ميت ومحاسب فاعد الجواب» (7).

وقال سيد العابدين (عليه السلام): «ليس الخوف من بكى وجرت دموعه ما لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله وانما ذلك خوف كاذب» (8).

ص: 66

1- سورة الأنبياء: 90.

2- ثواب الأعمال: ص 147، ثواب زيارة الأخوان ومصافحتهم ومعانقتهم ومسائلتهم.

3- سورة الرحمن: 46.

4- مكارم الأخلاق: ص 455 الفصل 4.

5- سورة آل عمران: ص 175.

6- البلد الأمين: ص 45.

7- إرشاد القلوب: ص 105 ب 28.

8- عدة الداعي: ص 176.

وقال (عليه السلام): «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه، وعمر قد بقى لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يمسى إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عند الخوف يحسن العمل»(2).

وقال (عليه السلام): «غاية العلم الخوف من الله سبحانه»(3).

وقال (عليه السلام): «خير الأعمال اعتدال الخوف والرجاء»(4).

وقال (عليه السلام): «الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعه عن المعاصي»(5).

وقال (عليه السلام): «الخوف أمان»(6).

هذا كله فى الخوف الممدوح.

وقد ورد فى الخوف المذموم: «لا ينبغى للعاقل أن يقيم على الخوف إذا وجد إلى الأمن سبيلاً»(7).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثلاثة تنقص النفس: الفقر والخوف والخزن، وثلاثة تحييها: كلام العلماء ولقاء الأصدقاء ومر الأيام بقلة البلاء»(8).

قولها عليها السلام: (تخافون) إشارة إلى الآية الكريمة: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون»(9) فانهم كانوا فى خوف دائم من أن يغير عليهم مغير فيستولى عليهم ويسلبهم ويجعلهم عبيداً واماءً، كما كانت عادة الجاهليين فإن حال الأمم المستضعفة هكذا حتى فى هذا العصر، مع اختلاف من حيث الزيادة والنقصان، والمد والجزر، والنوعية

ص: 67

1- تحف العقول: ص 377.

2- كنز الفوائد: ج 1 ص 278.

3- غرر الحكم: ص 63 ح 789.

4- غرر الحكم: ص 156 ح 2938.

5- غرر الحكم: ص 190 ح 3682.

6- غرر الحكم: ص 191 ح 3695.

7- غرر الحكم: ص 263 ح 5664.

8- جامع الأخبار: ص 184 الفصل 41.

9- سورة الأنفال: 26.

أن يتخطفكم الناس من حولكم

حرمة الاختطاف والعنف

مسألة: يحرم الاختطاف وأخذ الرهائن كما كان متعارفاً في ذلك الزمن، وكما هو متعارف في زماننا هذا، وهكذا يحرم جميع مصاديق العنف والإرهاب، مما يوجب إيذاء الناس أو تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، سواء من الحكومة للقوى المعارضة ولو تحت عنوان الاعتقال، أو من المعارضة لأركان السلطة، فإن كل شيء يسلب الناس حريتهم الممنوحة من الله سبحانه وتعالى لهم محرم، وكل مصادرة لحق من حقوق الناس محرمة.

نعم في كل مورد حكمت الشريعة الإسلامية فيه بالسجن - وهي قليلة جداً بالنسبة إلى موارد السجن في عالم اليوم كما ذكرنا تفصيله في الفقه(2) - جاز ذلك مع رعاية جميع حقوق السجين(3)، وهو بالدليل الخاص، لأنه على خلاف قاعدة (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم)(4) كما أن كل مورد عين الشرع فيه حصة من المال لبيت المال (كالخمس والزكاة) أيضاً يكون تخصيصاً لهذه الكلية التي جزء منها حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)(5)، وجزء منها مستفاد من قوله تعالى: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم»(6) فإن كونه أولى دليل على ثبوت الولاية للإنسان على نفسه، وإن النبى (صلى الله عليه وآله) أولى منه إذا تعارضت الولايتان، أو مطلقاً كما لا يخفى.

وشبوح حالة الاختطاف في المجتمع دليل على جاهلية ذلك المجتمع، أو على وجود

ص:68

- 1- إذ الأسر قد يكون جسمياً وقد يكون فكرياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو ما أشبه كما سيوضحه دام ظله.
- 2- راجع موسوعة الفقه ج100 كتاب الحقوق. و(الفقه: القانون) و(الفقه: الحريات) وكتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) للإمام المؤلف دام ظله.
- 3- راجع كتاب (كيف ينظر الإسلام إلى السجين) للإمام المؤلف.
- 4- راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية.
- 5- وهو الجزء الأول منها: «الناس مسلطون على أموالهم»، راجع غوالي اللثالي: ج1 ص222، ونهج الحق: ص494.
- 6- سورة الأحزاب: 6.

قوانين كابته وظلامات وحقوق مصادرة تسبب تقجر فئات من الناس ضد الوضع بهذه الطريقة السلبية.

وهذا ما نشاهده واضحاً اثر سيطرة الحضارة الغربية التي أرست دعائمها على استعمار الشعوب الأخرى عسكرياً أو اقتصادياً وحتى فكرياً وثقافياً، كما هو منهج الاستعمار فى الفترة الأخيرة عبر الأقمار الصناعية وسيل من الكتب والمجلات والجراند والأفلام وغيرها.

وكلامها (صلوات الله عليها) وان كان إخباراً عن واقع معين فى زمن معين، إلا انه يكشف عن قوانين كلية وسنن اجتماعية وسياسية جارية على مر السنين، تصلح كمؤشر لتشخيص حالة المجتمع صحة ومرضاً، قوة وضعفاً.

لا يتخطفوك

مسألة: يلزم على الإنسان أن لا يجعل نفسه عرضة لأن يتخطفه إنسان أو شيطان، ويكون على حذر من ذلك، وهناك روايات فى أسلوب خطف الشيطان للإنسان بنفسه أو بإنسان آخر وما يلزم فى مواجهته.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بينما موسى بن عمران جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا من موسى خلع البرنس وأقبل إلى موسى فسلم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ فقال: أنا إبليس، قال: أنت فلا قريبك الله، قال: جئت لأسلم عليك لمكانك من الله، قال موسى: فما هذا البرنس، قال: به اختطف قلوب بنى آدم، قال موسى: فاخبرنى بالذنب الذى إذا أذنبه بنى آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر فى عينه ذنبه»(1).

وقال (عليه السلام): «النظر سهم من سهام إبليس وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»(2).

وقال (عليه السلام): «الحسد مقنصة إبليس الكبرى»(3).

وقال (عليه السلام): «الكبر مصيدة إبليس العظمى»(4).

ص: 69

1- مشكاة الأنوار: ص 313 - 314.

2- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 264 عقاب الزانى والزانية.

3- غرر الحكم: ص 299 ح 6796.

4- غرر الحكم: ص 309 ح 7119.

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام): «يا بن رسول الله ما الذى يباعد عنا إبليس؟ قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب فى الله والموازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده: الذاكرون لله، والباكون من خشية الله، والمستغفرون بالأسحار»(2).

وقال (عليه السلام): «تحرز من إبليس بالخوف الصادق»(3).

وقال (عليه السلام): «إن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقرها لكم ويصغرها فى أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم»(4).

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: «علماء شيعةنا مرابطون فى الثغر الذى يلى إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعةنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، الا فمن انتصب لذلك من شيعةنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبيننا وذلك يدفع عن أبدانهم»(5).

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد

إنقاذ المسلمين

إنقاذ المسلمين(6)

مسألة: يجب إنقاذ المسلمين فى زماننا هذا من جاهليتهم وذلتهم وضعفهم، تأسيساً برسول الله (صلى الله عليه وآله) واقتداءً به، وقد جاء فى الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (فليتأس متأس بنبيه

ص:70

1- فضائل الأشهر الثلاثة: ص 76 ح 58 وح 71 كتاب فضائل شهر رمضان.

2- إرشاد القلوب: ص 196 ب 52.

3- تحف العقول: ص 284 وصيته (عليه السلام) لجابر بن يزيد الجعفى.

4- تحف العقول: ص 392 وصيته (عليه السلام) لهشام.

5- الاحتجاج: ص 17.

6- راجع حول هذا المبحث كتيب (إنقاذ المسلمين) وكتاب (الفقه: طريق النجاة) و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و(المتخلفون مليارا مسلم) و(القطرات والذرات) و... للإمام المؤلف (دام ظله).

وإلا فلا يأمنن الهلكة(1) ولحكم العقل والنقل، ولأن جاهليتهم وذلّتهم وضعفهم من أشد المحرمات، إذ هي جماع لشتى خصال الشر والفساد(2).

وقد قال سبحانه: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون»(3)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «الإسلام يعلو...»(4) إلى غير ذلك مما ذكرناه في البنود السابقة.

ومن الواضح إن الإنقاذ لا يتحقق - عادة - دفعة واحدة، بل يتحقق تدريجياً، فيجب العمل للإنقاذ خطوة خطوة، كل حسب إمكانه.. مادياً ومعنوياً وفي مختلف أبعاد الحياة.

وحيث إن الأفعال والأحداث تسند إلى السبب الأول أو العامل الرئيسي وهو القائد والعقل المخطط، لذلك قالت (صلوات الله عليها): (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) رغم وجود المسلمين الأشداء في الإيمان والعمل من حوله كما قال عز وجل: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»(5).

الإنقاذ من الله وبالعمل بمناهجه

مسألة: يجب الإيمان بأن الإنقاذ لا يتحقق إلا بإذن تكويني من الله تعالى، وبالتزام تشريعي بأوامره الصادرة عبر رسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

كما قال تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»(6).

وقال سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة

ص: 71

1- نهج البلاغة: الخطبة

2- فضعفهم مثلاً سبب سلطة قوى الشرق والغرب عليهم، فانتهكت أعراضهم وسلبت أموالهم وأريق دمواؤهم، كما حدث في الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي، وهكذا في الدول الإسلامية التي كانت تحت سيطرة المنظمة الشيوعية كأفغانستان والجمهورية الإسلامية الستة، وفي العراق أبان السلطة المباشرة للاستعمار البريطاني ثم عبر السلطة المقنعة زمن البعث.

3- سورة آل عمران: 139.

4- متشابه القرآن: ج 2 ص 212.

5- سورة الفتح: 29.

6- سورة الأعراف: 96.

فقد جعل الله تعالى الكون عالم الأسباب والمسببات، والنصر الإلهي أيضا ضمن هذه الدائرة، قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»(2).

وقال سبحانه: «ثم اتبع سبباً»(3).

وقال تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة»(4).

وورد في الحديث الشريف: (أبى الله أن يجرى الأمور إلا بأسبابها)(5).

وعلى هذا فإن (التواكل والتخاذل) محرم، إذ هو خلاف الإعداد واتباع الأسباب.

والتقوى والإيمان وذكر الله - والمراد به القرآن الكريم - كما في الآيتين السابقتين هي الطرق التكوينية لنصرة الله للإنسان، فلو التزم بها الإنسان نصره الله بإمداد غيبي أيضا، ولذلك كان «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين»(6) فالصبر شرط تكويني تليه نصره الله التي تجعل الواحد غالباً على العشرة.

وهكذا نجد أن كل ما دخل في دائرة إرادة الإنسان فإن له عاملين طويلين:

1: إذن الله تعالى وتمهيده الأسباب والعلل وجعلها في متناول الإنسان، كالحياة والعلم والقدرة.

2: إرادة الإنسان وتمهيده سائر الأسباب - كإعداده ما استطاع من قوة وتخطيطه وصبره واستقامته وما أشبه ذلك - وهو في هذه أيضا حدوداً وبقاءً محتاج إلى الله تعالى.

وقد قال سبحانه: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»(7).

ص:72

1- سورة طه: 124.

2- سورة الأنفال: 60.

3- سورة الكهف: 89 و92.

4- سورة المائدة: 35.

5- راجع غوالي اللثالي: ج3 ص286 باب النكاح ح27، وفيه: «أبى الله أن يجرى الأشياء إلا على الأسباب». ومثله في بصائر الدرجات: ص6 ح2

6- سورة الأنفال: 65.

7- سورة الأنفال: 17.

وقال تعالى: «أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»(1).

وقال عز وجل: «أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون»(2).

وقال سبحانه: «واتقوا الله ويعلمكم الله»(3).

وقد ذكرنا ذلك في علم الكلام في مبحث الجبر والتفويض(4)، فما ليس في دائرة عمل الإنسان فهو من الله، وما في دائرة عمل الإنسان فعليه أن يسعى، قال سبحانه: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»(5).

وقال تعالى: «كل امرء بما كسب رهين»(6).

وقال سبحانه: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»(7).

وقال تعالى: «إنما تجزون ما كنتم تعملون»(8) إلى غيرها من الآيات والروايات.

وقد قالت عليها السلام: (فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) فإن الله هو المنقذ الحقيقي ولكن بواسطة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو تعالى علة العلل، وهو (صلى الله عليه وآله) واسطة الفيض، فإنه جاء إليهم بالعقيدة الصحيحة والشريعة الكاملة والدين الأغر والأخلاق الرفيعة حتى تحولوا من أذلة صاغرين إلى أعزة عظماء.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أيها الناس! إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) بالهدى، وأنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من البرم، وعمى عن الحق، وانتشار من الخوف، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظى من الحروب.

ص: 73

1- سورة الواقعة: 64.

2- سورة الواقعة: 72.

3- سورة البقرة: 282.

4- راجع موسوعة الفقه، المدخل، كتاب العقائد.

5- سورة النجم: 39.

6- سورة الطور: 21.

7- سورة التوبة: 105.

8- سورة الطور: 16، وسورة التحريم: 7.

وعلى حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، ويوس من أغصانها، وانتشار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها، فقد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهجّمة في وجود أهلها، مكفهرة مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، قد مزّقتكم كلّ ممزّق، فقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليهم أيّامها.

قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب المموّدة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خوط، لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون الله عقاباً، حيّهم أعمى نجس، ميّتهم في النار ملبس.

فجاءهم النبي (صلى الله عليه وآله) بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال وبيان الحرام، وذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه أن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه مختلفون، فلو سألتهموني عنه لأخبرتكم عنه لأنّي أعلمكم (1).

هذا وقد دامت العزة للمسلمين إلى ما قبل مائة سنة - ولو في بعض أبعادها (2) - وعندما تركوا شيئاً فشيئاً مما تبقى من أحكام الإسلام عادت إليهم الذلة الجاهلية والعبودية للشرق والغرب، حتى أصبحوا ألعوبة بيد الكفار فأشعلوا في بلادهم النيران على طول الخط، وساعد بعضهم بعضها على الحرب والسلب والنهب ومناصرة الأجنبي في ضرب المسلمين.

وإنّي أذكر منذ خمسين سنة حتى الآن ورحى الحرب تدور في بلاد الإسلام (3)..

وفي الحال الحاضر هناك حروب دامية في أذربيجان والعراق والخليج وكشمير وإرتريا والهرسك والبوسنة ومورو ولبنان وفلسطين وغيرها. والسبب في ذلك هو ان المسلمين تركوا العمل بمناهج الله التي صرح بها في القرآن الحكيم من: (الأمة الواحدة) و(الأخوة الإسلامية) و(الشورى) و(الحرية) و(التنافس الإيجابي) وسائر أحكام الإسلام المنقذة، وإلا فقد قال

ص: 74

1- تفسير القمى: ج 1 ص 23.

2- إشارة إلى العزة الظاهرية، حيث كانوا حكماً وملوكاً دون خضوع لسلطة استعمارية خارجية من روم أو فرس أو شرق أو غرب.

3- راجع كتاب (المسلمون يتضررون) للإمام المؤلف.

تعالى: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»⁽¹⁾، نسأل الله الفرج والمخرج.

التنبيه على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستجيب تنبيه الناس إلى أن سعادتهم طوال قرون وقرون كانت ببركة الله والرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد يجب ذلك.

قال سبحانه: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون»⁽²⁾.

وقال تعالى: «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»⁽³⁾.

وقال عز وجل: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»⁽⁴⁾.

وقال سبحانه: «وما بكم من نعمة فمن الله»⁽⁵⁾.

ومن المعلوم - كما قلنا - أن مراب⁽⁶⁾ من سعادة الإنسان والتي هي ببركة الله والرسول (صلى الله عليه وآله)، لا- تتحقق إلا- بتطبيق أوامرهما، كما أن شفاء المريض يتحقق باستعمال الأدوية إلى عينا له الطبيب في نسخته.

وقد سبق أن المسلمين في يومنا هذا حيث تركوا أوامر الله سبحانه وتعالى ابتلوا بالضنك الذي ذكره الله عز وجل⁽⁷⁾ فإنهم تركوا:

ص: 75

1- سورة المنافقون: 8.

2- سورة الأنفال: 26.

3- سورة آل عمران: 164.

4- سورة النساء: 79.

5- سورة النحل: 53.

6- قوله (مراتب من سعادة الإنسان) يشير إلى أن مراتب أخرى قد تحققت بصرف لطف الله وبجهود رسول الله (صلى الله عليه وآله)، دون مدخلية للالتزام المسلمين بأوامرهم في ذلك.

7- في قوله: «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً»، سورة طه: 124.

قوله سبحانه: « إن هذه أمتكم أمة واحدة»(1). فى الأمة الواحدة.

وقول تعالى: «إنما المؤمنون أخوة»(2). فى الأخوة الإسلامية.

وقول سبحانه: «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم»(3). فى الحريات الإسلامية.

بالإضافة إلى أنهم تركوا الشورى، والتنظيم، فقد قال تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»(4) وقال سبحانه: «من كل شىء موزون»(5)، وفى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): (نظم أمركم)(6)..

وقد فصلنا جملة من ذلك فى جملة من كتبنا(7).

بل إن سعادة البشرية والجوانب الإيجابية فى عالم اليوم(8) كلها ببركة النهضة الإنسانية التى قام بها الرول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، ضد رذائل الأخلاق وضد المحرمات: من الجهل والمرض والفقر ووآد البنات وغير ذلك، كما اعترف بذلك الغربيون أنفسهم حيث صرحوا بأن المسلمين هم آباء العلم الحديث(9) حيث تتلمذ الغرب على أيديهم إبان القرون الوسطى - وقبلها - فى الأندلس وغيرها.

ص: 76

1- سورة الأنبياء: 92.

2- سورة الحجرات: 10.

3- سورة الأعراف: 157.

4- سورة الشورى: 38.

5- سورة الحجر: 19.

6- روضة الواعظين: ص 136، شرح نهج البلاغة: ج 17 ص 5.

7- راجع (السييل إلى إنهاض المسلمين) و(الصياغة الجديدة) و(الفقه: السياسة) و(الفقه: الإدارة) و(الفقه: النظافة) و(الفقه: القانون) وغيرها للإمام المؤلف دام ظله.

8- كالتطور العلمى والتكنولوجيا وبعض التوجه والالتزام بحقوق الإنسان وغير ذلك.

9- راجع (قصة الحضارة) و(أميركا والفرصة التاريخية) و(حضارة العرب) وغيرها من المصادر الكثيرة.

المخرج من المشاكل

مسألة: يلزم على الإنسان أن يطلب المخرج من المشاكل والمخلص من المحن والفتن لا أن يستسلم لها، إذ قال (عليه السلام): «المؤمن كيس فطن حذر»(1).

وقال (عليه السلام): «والمؤمن كيس عاقل»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا زبر له، وقال هو الذي لا ينهى عن المنكر»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا رفق له»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمن القوى كالنخلة ومثل المؤمن الضعيف كخامة الزرع»(6).

وقال تعالى: «ثم أتبع سبباً»(7).

وقال (عليه السلام): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ضرع فيحلب ولا ظهر فيركب»(8).

وقيل: (الحرب خدعة)(9). وهنالك في الفقه باب خاص باسم (باب الحيل

ص: 77

1- جامع الأخبار: ص 85 الفصل 41.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 89 ح 1512.

3- معاني الأخبار: ص 344.

4- المحاسن: 196.

5- الجعفریات: ص 150.

6- جامع الأخبار: ص 183 الفصل 41.

7- سورة الكهف: 89.

8- غرر الحكم: ص 464 ح 10675، وفي نهج البلاغة أيضاً، انظر شرح النهج: ج 18 ص 82.

9- راجع الارشاد: ج 1 ص 163، ومتشابه القرآن: ج 1 ص 236.

قولها (عليها السلام): (بعد اللتيا والتي) بلحاظ ما سبقه والقرينة المقامية (2)، فيه إشعار وإشارة إلى لزوم أن يطلب الإنسان المخرج من المشاكل ومن شتى العوامل والبواعث الإفراطية والتفريطية.

فإن الإنسان المدام في ميادين الحق يتلى بمتشددين ومتساهلين في شتى المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها(3).

فاللازم عليه أن يعالج الأمر حتى يتمكن من تطبيق الحق الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط، قال سبحانه: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً»(4).

وفى الحديث: (خير الأمور أوسطها)(5).

وقال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق»(6)..

فإن الإفراط والتفريط بين محرم وبين مرجوح.

قولها (عليها السلام): (بعد اللتيا)، يقال تزوج رجل امرأة قصيرة فناله منها ما ناله من الأذى ثم طلقها، وتزوج امرأة طويلة القامة فناله منها ما ناله فطلقها، فقيل له تزوج بأخرى، فقال بعد اللتيا والتي؟! وصار مثلاً يضرب لمن ابتلى فى سابق أمره بالمشكلات والدواهي الصعبة أو المتكررة أو الدواهي الكبيرة والصغيرة.

ص:78

1- الحيلة هي المخرج والمخلص فقد يكون محرماً وقد يكون شرعياً، فالمخرج من الزنا هو إجراء صيغة العقد مثلاً مع سائر شروطه .

2- وبضمنية دليل التأسى.

3- فهناك فى المجال الدينى أناس ينحون نحو الرهينة وآخرون نحو التحلل ويغرقون فى وحول المادية، وأناس يدعون إلى تبرج المرأة وآخرون إلى حرمانها حتى من التعليم والتعلم رغم قوله (صلى الله عليه وآله): (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) « كنز الفوائد: ج2 ص107، وعدة الداعى: ص72، وجامع الأخبار: ص139 الفصل99 » وأناس يعزلون أنفسهم عن السياسة، وبالتالي عن أية مقارعة للحاكم الجائر والطاغوت وآخرون ينهجون منهج المصلحية والانتهازية ويتخذونها سلماً لتحقيق أهدافهم وشهواتهم، إلى غير ذلك.

4- سورة البقرة: 143.

5- غوالى اللتالى: ج1 ص296 الفصل10 ح199، وإعلام الورى: ص307.

6- دعائم الإسلام: ج1 ص355 فى كتابه (عليه السلام) إلى الأشتر النخعى.

ثم إن عرب الجزيرة أنقذهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من مشاكلهم الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فهل من التعقل أن يعودوا إلى مثل حالتهم السابقة من الفوضى والتخلف بعد إرسال الرسول وانزال الكتاب والتعب والجهاد المستمر؟

وفى تذكيرهم بذلك تمهيد لإفهامهم بأن تحتيتهم الخليفة الذى عينه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، سيعود بهم إلى كثير من البلايا والرزايا والمحن.

فإن قال قائل: إن التاريخ سجل لهم التقدم والانتصارات، فكيف يقال إنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من المحن والرزايا وحتى الذلة أيضاً؟.

قلنا: لو كانوا تمسكوا بأحكام الإسلام كما أنزلها الله سبحانه، ولو التزموا بتعاليم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو اتبعوا خليفته الحقيقى وهو الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) لم يكونوا يقعون فى المشاكل التى وقعوا فيها من الحروب الطاحنة التى دارت بينهم مما امتلأت بها صفحات التاريخ، ومن سيطرة حكام مستبدين وطغاة جبابرة «اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً»⁽¹⁾ بما تضمن ذلك من قتل الأنفس المحترمة فى شرق البلاد والإسلامية وغربها طوال حكومة الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن سبقهم⁽²⁾ ومصادرة حقوق وأموال الناس⁽³⁾ وسجن وتعذيب الملايين فى ظلم المطامير⁽⁴⁾ إلى غير ذلك.

إضافة إلى أن تقدمهم لم يكن ليتحدد بذلك الحد - جغرافياً ومعنوياً - بل كانوا يسودون العالم والبشرية أجمع، ولكن اليوم وبعد خمسة عشر قرناً، ترى ثلاثة أرباع العالم غير مسلمين، والمسلمون هم الربع، وكثير منهم الأذل الأقل فإننا لله فإننا إليه راجعون.

وبعد أن منى بهم الرجال وذؤبان العرب

ص: 79

1- الأمالى للشيخ المفيد: ص 280 المجلس 33 ح 6.

2- كنموذج: قتل المسلمين وعباد الله الصالحين بتلفيق تهمة الارتداد فى قضية مالك بن نويرة، وقتل أمثال حجر بن عدى وعدد كبير جداً من أولياء الله ومن العلماء فى حكومة معاوية ويزيد... وإلى يومنا هذا.

3- كنموذج: الأموال الهائلة التى أقطعها عثمان لذويه، من بيت مال المسلمين.

4- كنموذج: سجن الحجاج الذى احتوى على أكثر من مائة وعشرين ألف، لا يقيهم حر الشمس اللافحة سقف، ولا برد الزمهرير غطاء.

مسألة: يجب - انطلاقاً من شمولية قاعدة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة»(1) للقوة كماً وكيفاً، سلاحاً وعلماً وعملاً و... .

إذ كلها مصاديق للقوة، والانصراف للقوة العسكرية إن كان فبدوى - الاستعداد لمقابلة المبهمين من الرجال وذؤبانهم.

وقولها (عليها السلام): (بعد أن منى ببهم الرجال وذؤبان العرب) تنبيه على أن صاحب المبادئ الرفيعة، عليه تأسيماً به (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يستعد لمواجهة الرجال المبهمين الذين لا يعرف واقعهم. فلهم واقع غامض لا يدري كيف يقابل معهم، أو أنهم من شدة بأسهم لا يدري من أين يأتون(2) ولذا يسمون ببهم الرجال من المبهم الذي لا يعرف واقعه(3).

ومن المحتمل أن يكون (بهم الرجال) إشارة إليهم من غير العرب من الفرس والروم في قبال (ذؤبان العرب).

أما (ذؤبان العرب) فإن الذئب من طبيعته التوحش والتوثب والحيلة والتحرك باتجاهات مختلفة طلباً للفريسة، وكان عرب الجاهلية من هذا النوع، ولذا قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام): (كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات)(4).

وقال الشاعر:

(...)(5) بهز الكف متنه فيه كما عسر الطريق ذهاب)

ولعل من وجوه وصفهم ب- (ذؤبان العرب) إن الذئب إذا وقع في القطيع لا يبقى ولا يذر فهو يفتك لمجرد الفتك، شهوة في الفتك، وهو المصداق الجلى للوحش الضارى الذى لا يفتك لحاجة، بل لحاجة ودون حاجة تلذذاً من السطو والاعتداء ومنظر الدماء، وقد كان

ص: 80

1- سورة الأنفال: 60.

2- يمكن أن تقرأ معلومة ومجهولة ف- (لا- يدري من أين يأتون) أى من أين يهاجمون الإنسان أو (من أين يأتون) أى من أين يهاجمهم الإنسان، إذ حيثما فكرت ووجهت وجهك وجدتهم مترصدين مستعدين.

3- وربما يكون وجه ما وصفهم ب- (بهم الرجال) الإشارة إلى أنهم كالبهيم التى لا شعور لها ولا أدارك كما قال عز وجل: « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » سورة الفرقان: 44.

4- اللهوف: ص 60.

5- هنا كلمة أو كلمات غير مقروءة.

أعداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك، فهم كانوا كالدئاب الضارية الشرسة يغيرون ويفتكون ويفعلون ما يفعلون تعوداً منهم على الفتك وتلذذا منهم بالجريمة ودلعاً منهم بالدماء.

مذمومية الصفات السبعية

مسألة: من المذموم اتصاف الإنسان بالصفات السبعية، واللازم أن يتحلى قلبه بالرحمة والإنصاف وحب الآخرين، بل المواساة والإيثار، ويدل على ذلك مختلف الآيات والروايات:

قال تعالى: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة»(1).

وقال (عليه السلام): «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب»(2).

وقال (عليه السلام): «من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب»(3).

وعن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أحب أخاك المسلم وأحب له ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لنفسك»(4) الحديث.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإنصاف يستديم المحبة»(5).

وقال (عليه السلام): «الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف»(6).

وقال (عليه السلام): «ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواع والرجوع إلى قلب سليم»(7).

وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام): «لكننا نأمركم بالورع الورع الورع، والمواساة المواساة المواساة لإخوانكم»(8).

ص: 81

1- سورة البقرة: 74.

2- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 2.

3- روضة الواعظين: ص 414.

4- الأمل للشيخ الصدوق: ص 323 المجلس 52 ح 12.

5- غرر الحكم: ص 394 ح 9114.

6- غرر الحكم: ص 394 ح 9116.

7- كشف الغمة: ج 2 ص 349، الإمام التاسع.

8- المحاسن: ص 158 باب خصائص المؤمن ح 95.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيثار أعلى المكارم»⁽¹⁾.

ومردة أهل الكتاب

المعارضة علماء وجهلة

مسألة: يجب أن يعد حملة المبدأ الصحيح العدة المناسبة لمواجهة طوائف ثلاثة تتصدى عادة لحملة راية الحق، كل منها بشكل يتناسب مع الوسائل والأسلحة التي تستخدمها، فإن من السنن الإلهية الجارية في المجتمعات على مر التاريخ: إن المبادئ القويمة ودعاة الإصلاح ورواد الحقيقة يواجهون عادة بطوائف من المعارضين، منها:

أ: علماء سوء يعرفون الحقيقة ويكابرون عنها، يمثلون الجانب العلمى والوجه الثقافى للمعارضة.

ب: وأبطال شجعان يجسدون قمة القوة المادية لجبهة الباطل.

ج: أراذل وأوباش وصعاليك من سفلة القوم يعدون بمنزلة الرتل الخامس لجيش العدو.

وإلى القسم الأول أشارت (عليها السلام) بقولها: (مردة أهل الكتاب).

وإلى القسم الثانى بقولها: (بهم الرجال).

وإلى القسم الثالث أشارت بقولها: (وذؤبان العرب) إذا كان المراد به: الصعاليك واللصوص.

وربما يقال: إن المراد بذؤبان العرب: أولئك الذين غلب عليهم طابع الوحشية والشراسة والتعطش للدماء، وحينئذ فيكون هذا القسم هو الضلع الثالث فى مثلث الأعداء، فقولها (عليها السلام): (وبعد أن منى بهم ... ومردة أهل الكتاب) إشارة ضمنية إلى هذه الحقيقة وإن كل مبدأ صحيح يبتلى عادة بعلماء سوء يكابرون الحقيقة، كما يبتلى بجهال مبهمين وصعاليك أوباش أو متوحشين، قال سبحانه: «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا»⁽²⁾.

ص: 82

1- غرر الحكم: ص 395 ح 9159.

2- سورة آل عمران: 186.

ولا يخفى أن هذا الكلى ليس خاصاً بالمبادئ الصحيحة - وإنما المبدأ الصحيح فى مقابله هذه الطوائف المنحرفة - بل كل مبدأ وكل مسلك يواجه بهذه الفئات عادة، فإن كان المبدأ باطلاً كان الذين يعارضونهم من العلماء والجهال على حق فى هذا الجانب، وإن كان المبدأ صحيحاً كانت جبهتا العلماء والجهال المعارضين له، على ضلال.

مثلاً: النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحيح المبدأ ابتلى بهما، كما أن (على محمد الباب)(1) الباطل المبدأ واجهه علماء مسلمون هم حق كما واجهه غير العلماء من المسلمين الذين كانوا أيضاً على حق.

وعلى أى، فاللازم أن يستعد حملة المبدأ الصحيح لمقابلة هؤلاء كما قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...» (2).

فعلماء السوء: يواجهون بتوعية الناس عبر المحاضرات والكتب وسائر وسائل الإعلام وعبر كشف زيفهم للناس.

وبهم الرجال: عبر أبطال أكفاء يواجهونهم بأسلحتهم، فيتسلحون بالتنظيمات والتكتلات والنقابات والأحزاب وغيرها، ويوجهون بتكوين تنظيمات وتجمعات إسلامية تحافظ على الشباب وتفشل مخططاتهم.

والسفلة والصعاليك: يواجهون بمثلمهم أيضاً، إذ لا يفيل الحديد إلا الحديد، وقد ورد فى الحديث الشريف: (هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده)(3).

ويجب أن لا- يشبط دعاة الحق عن تبليغ الرسالة وجود حشد من المشاكل، سواء كانت مشاكل الإفراط والتفريط، أو مشاكل بهم الرجال وذؤبانهم، أو مشاكل مرده أهل الكتاب وأذنانهم، كما قال تعالى:

«فاستقم كما أمرت ومن تاب معك» (4).

ص: 83

1- على محمد الشيرازى (1819-1850) مؤسس البابية فى إيران، ادعى إنه باب إلى الإمام المهدي (عج) وذلك بتخطيط ودعم من الاستعمار الروسى، أعدم فى تبريز.

2- سورة الأنفال: 60.

3- كشف الغمة: ج2 ص113.

4- سورة هود: 112.

قولها (سلام الله عليها): (مردة) جمع مارد، وهو العاتى المتكبر الذى لا يرضخ للحق، ومردة أهل الكتاب منصرف إلى علمائهم الذين عتوا على الحق وتكبروا عن الرضوخ له، وإن كان اعم لغة من ذلك.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ولا تكونوا علماء جبارين»(1).

وعن عيسى (عليه السلام) قال: «مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «شر الناس علماء السوء»(3).

استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: كلماتها (عليها السلام) فى استعراض نماذج من المصاعب التى واجهت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الأعداء الذين منى بهم، حكاية وشكاية وهداية، والثالث بين واجب ومستحب، والأولان - بما هما هما - يقعان متعلقين للأحكام الخمسة.

فحكاياتها (عليها السلام) لتلك الحال، تذكير لهم بعظيم فضله (صلى الله عليه وآله) عليهم من جهة، وبعظيم جهاده (صلى الله عليه وآله) وآله من جهة، واستقامته وصبره وصموده وتحمله الأذى فى ذات الله من جهة أخرى، وبكبير جرمهم فى التصدى له (صلى الله عليه وآله) من جهة ثالثة.

قال (صلى الله عليه وآله): «ما أودى نبي مثل ما أوديت»(4).

والأول: يقتضى شكر النعمة.

والثانى: يقتضى التأسى به (صلى الله عليه وآله) واتباعه وانتهاج منهجه.

والثالث: يقتضى تكفير الذنب عبر التعويض بالتفانى فى الذب عن تعاليمه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوامره، وعلى رأسها الدفاع عن من عينه خليفة له واتباعه وهو الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام).

وهى حكاية تتضمن شكاية منهم على ما مضى، وشكاية أخرى على ما جرى - ما

ص: 84

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 359 المجلس 57 ح 9.

2- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 84.

3- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 220.

4- المناقب: ج 3 ص 247، وكشف الغمة: ج 2 ص 537.

مضى حين البعثة وبعدها، وما جرى بعد استشهاده (صلى الله عليه وآله وسلم) - وهي أيضا شكاية تتبعها شكاية.

وهذه الشكاية هي من دواعي الهداية ومن مصاديق النهي عن المنكر ومن مصاديق إتمام الحجّة، وهي أيضا - في الجملة - دفع ورفع: رفع لما قد جرى ودفع لما سيجرى، وأيضا دفع بالنسبة لما يستقبل من الأجيال ورفع بالنسبة للحاضر من الرجال.

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله

حرمة إشعال الحروب

مسألة: يحرم نفسياً ومقدماً إشعال نار الحرب ضد أهل الحق، فإن مطلق العمل ضد الحق حرام فكيف بإشعال نار الحرب، بل مطلق إشعال نارها بغير الحق حرام(1).

وإطفائها بالنسبة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما يشير إليه كلامها (عليها السلام) بنحو القضية الخارجية - وبالنسبة لعموم المؤمنين في عموم الأزمنة أيضاً واجب، وقد وعد الله النصر في ذلك، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»(2).

وقال سبحانه: «أوفوا بعهدى أوف بعهدكم»(3).

أما إشعال نار الحرب في الحروب الابتدائية الجهادية في سبيل الله والمستضعفين على شروطها فلا إشكال فيها - على تفصيل ذكرناه في كتاب (الجهاد) من الفقه(4) -.

ص: 85

1- كما في إشعالها على أهل الذمة ما داموا لم يخلوا، وكما في إشعالها على إحدى طائفتين من المؤمنين المتقاتلتين قبل محاولة الإصلاح، قال عز وجل: « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تقيء إلى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين » . سورة الحجرات: 9، ففي هذين الموردين إشعالها ليس (على الحق) لكنه يصدق عليه انه (بغير الحق).

2- سورة محمد (صلى الله عليه وآله): 7.

3- سورة البقرة: 40.

4- موسوعة الفقه: ج 47-48 كتاب الجهاد.

وكذلك بالنسبة إلى الحروب الدفاعية وحروب البغاة، قال سبحانه: «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً»(1).

وإنما قلنا بالحرمة النفسية - أو الذاتية - نظراً لما فيها من المفسدة العظيمة، فوزانها كشرب الخمر والكذب وشبههما - بل أعظم منها - مما حرمته نفسية لاشتمالها على المفسدة وإن وجبت إذا وقعت مقدمة للأهم، كالكذب للإصلاح الذي لولاه لحدثت فتنة عظيمة، وشرب الخمر لمن انحصرت نجاته من الهلاك عطشاً بشربه، والحرب في سبيل الله والمستضعفين.

ثم إن الضمير في (أوقدوا) يعود للكفار وأهل الكتاب كما لا يخفى.

وجوب إطفاء الحرب

مسألة: يجب إطفاء نار الحرب، قال تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»(2).

فإن المرء كلما تمكن من إطفاء نار الحرب الباطلة وجب عليه ذلك، سواء تمكن من الإطفاء كلياً أو الإطفاء في الجملة إذ هو محقق للغرض في الجملة.

ومن الواضح عدم كونه ارتباطياً، قال سبحانه: «فاتقوا الله ما استطعتم»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الميسور لا يسقط بالمعسور»(4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما لا يدرك كله لا يترك كله) (5).

إلى غير ذلك مما يدل على أن كل إنسان مكلف بقدر إمكانه، قال سبحانه: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»(6).

ص: 86

1- سورة النساء: 75.

2- سورة الأنفال: 61.

3- سورة التغابن: 16.

4- راجع غوالي اللثالي: ج 4 ص 58 وفيه: «لا يترك الميسور بالمعسور».

5- راجع غوالي اللثالي: ج 4 ص 58 ح 207.

6- سورة البقرة: 286.

وفى آية أخرى قال تعالى: «لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها»(1).

ومن غير فرق بين أن يكون الإطفاء بالإعلام أو المال أو السلاح أو غير ذلك من أقسام الإطفاء والردع، على نحو مانعة الخلو حسب الاصطلاح المنطقي.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا مخمد نار الحرب»(2).

التعلل لعدم التدخل

مسألة: لا يجوز التعلل بعدم التدخل لإطفاء الحرب الدائرة بين طائفتين من المؤمنين أو حرب الكفار ضد فئة أو دولة إسلامية أو ما أشبه ذلك: بالجغرافية أو باختلاف اللغة أو اللون أو ما أشبه ذلك، عقلا ونقلا، وذلك للإطلاقات والعمومات والنصوص، ولما دل على عدمها.

قال تعالى: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما»(3).

وعن أحدهما (عليهما السلام): «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا سقط منه شيء تداعى سائر الجسد»(4).

وقال (عليه السلام): «ان المؤمنين فى ايثارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى سائر السهر»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لا فضل للعربى على العجمى، ولا للأحمر على الأسود، إلا بالتقوى»(6).

وقال تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(7).

أصالة السلم

مسألة: ربما يستفاد من هذا الحديث - إضافة إلى الأدلة الدالة على ذلك - كون الأصل

ص: 87

1- سورة الطلاق: 7.

2- الفضائل لابن شاذان: ص 163.

3- سورة الحجرات: 9.

4- المؤمن: ص 38 ح 85.

5- أعلام الدين: ص 440، والمؤمن: ص 39 ح 92.

6- الاختصاص: ص 341.

7- سورة الحجرات: 13.

فى الإسلام السلم لا الحرب، فإن شعار الإسلام: السلام.

وتحية المسلم إذا لقى أخاه: (سلام عليكم).

وتقول فى نهاية الصلاة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وحتى فى التعامل مع الجهلة: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»⁽¹⁾.

وقد قال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان»⁽²⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «السلم علة السلامة وعلامة سبب الاستقامة»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «السلم ثمرة الحلم»⁽⁵⁾.

وقال (عليه السلام): «الرفق يؤدى إلى السلم»⁽⁶⁾.

الحروب الدفاعية

مسألة: لم يبتدأ الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرب وهكذا كان على أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل كل حروبهما (صلوات الله عليهما) كانت دفاعية.

ومن هنا قالت (عليها السلام) فى هذه الخطبة (كلما أوقدوا)⁽⁷⁾ فالكفار والمشركون هم الذين كانوا يوقدون نار الحرب، لكن الله ورسوله ووصيه كانوا يطفئونها.

ولعل من أسباب عدم ابتداء الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرب حيث كانت حروبه كلها دفاعية هو كون

ص: 88

1- سورة الفرقان: 63.

2- سورة البقرة: 208.

3- غرر الحكم: ص 445 ح 10165.

4- غرر الحكم: ص 476 ح 10921.

5- غرر الحكم: ص 444 ح 10163.

6- غرر الحكم: ص 244 ح 4979.

7- و (ال) فى الحرب وإن كانت للعهد الذهنى إلا أن بقرينة الحكم والموضوع والسياق، والمفردات - أى: (أوقدوا) (ناراً) (أطفئها) - نستفيد ذلك منه.

الأصل السلم وعدم الحرب كما مر(1)، فالحرب ضرورة لا- تجوز إلا- في الموارد المقررة الشرعية من صور الاستثناء عن السلم والسلام(2).

وقد روى عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «انه خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت علي (عليه السلام)، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه، قال (عليه السلام): كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لانمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولانمنعكم الفء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولانبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به»(3).

وعن حذيفة بن اليمان قال: «فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادى أمير المؤمنين (عليه السلام): لا يبدأ أحد منكم بقتال حتى آمركم، قال: فرموا فينا، فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا، فقال: كفوا، ثم رموا فقتلوا منا، قلنا: يا أمير المؤمنين قد قتلونا، فقال: احملوا علي بركة الله»(4).

وهكذا كان في حرب النهروان فإنه: «لما واقفهم علي (عليه السلام) بالنهروان قال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، فحمل منهم رجل علي صف علي (عليه السلام) فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

أقتلم ولا أرى علياً ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج إليه علي (عليه السلام) فضربه فقتله»(5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نبأني رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فإذا أتيتهم فأت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك، والقهم واسمع منهم ولا يجرمك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة»(6).

وقد أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشر في وقعة صفين وأمره أن لا يبدأ القوم بقتال

ص: 89

1- ويخرج عن الأصل: حالة الاعتداء فيقابل بالمثل: « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سورة البقرة: 194، وحالة الحرب في سبيل الله والمستضعفين، وبصبره (صلى الله عليه وآله) حتى يهاجمه المشركون، كان قد أكد العامل الباعث للخروج عن الأصل.

2- راجع موسوعة الفقه: كتاب السلام.

3- دعائم الإسلام: ج 1 ص 393 ذكر قتال أهل البغي.

4- الأموال للشيخ المفيد: ص 58 - 59 المجلس 7 ح 3.

5- شرح نهج البلاغة: ج 2 ص 272 أخبار الخوارج.

6- شرح النهج: ج 3 ص 212-213، ووقعة صفين ص 153.

حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم إن شاء الله(1).

وفى يوم عاشوراء عندما تجاسر شمر على الإمام الحسين (عليه السلام) وقال له: «يا حسين تعجلت النار قبل يوم القيامة! رام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فمنعه الإمام الحسين (عليه السلام) من ذلك، فقال له: دعنى حتى أرميه فانه الفاسق من عظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين (عليه السلام): لا ترمه فانى أكره أن أبدأهم»(2).

إسناد الأفعال لله

مسألنان: يجب الإيمان بأن جميع الأمور بيد الله سبحانه وتعالى وانه هو المؤثر الحقيقى، ويلزم الفات الناس إلى ذلك وتسيههم عليه، كما قالت صلوات الله عليها (أطفالها الله)، فإن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، وقد ورد فى الدعاء: «يا مسبب الأسباب ويا مفتح الأبواب»(3).

و: «يا مسبب يا مغيث»(4).

و: «اللهم رب الأرباب ومسبب الأسباب»(5).

و: «يا سبب كل ذى سبب، يا مسبب الأسباب من غير سبب»(6).

و: «اللهم إنى أسألك باسمك يا مسبب يا مرغب»(7).

و: «يا مسبب الأسباب سبب لنا سببا»(8).

و: «يا مرتب يا مسبب يا محبب..»(9).

و: «يا رازق الفرج يا مسبب الفرج يا مغيث الفرج»(10).

ص: 90

1- وقعة صفين: ص 154.

2- الإرشاد: ج 2 ص 96، وإعلام الورى: ص 240.

3- البلد الأمين: ص 338 دعاء المشلول.

4- الإقبال: ص 661.

5- مصباح الكفعمى: ص 135.

6- مصباح الكفعمى: ص 170 الفصل العشرون.

7- مصباح الكفعمى: ص 260 الفصل 28.

8- مصباح الكفعمى: ص 305 الفصل 30.

9- مصباح الكفعمى: ص 358 الفصل 32.

و: «يا ثواب يا أواب يا مسبب الأسباب»(1).

و: «يا صاحب الأصحاب ومسبب الأسباب وسابق الأسباب»(2).

وقال عزوجل: «إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً»(3).

وقال تعالى: «قل من بيده ملكوت كل شىء»(4).

وقال سبحانه: «تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير»(5).

وقد ألمعنا إلى مثل ذلك فيما سبق وقلنا: إنه لا يلزم منه الجبر، وإنما المراد إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعمل حتى فى خارج إطار إمكانية الإنسان ولكنه قد ترك حرية التصرف للإنسان فى داخل حدود قدرته وإمكانياته فأعطاه الاختيار، وإنما يجب - وجوباً تشريعياً لا تكوينياً - على الإنسان العمل فى إطار إمكانياته بما أمره البارى عزوجل، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، كما فى الحديث الشريف(6).

وكما قال (عليه السلام): «انا لا أقول جبراً ولا تفويضاً»(7).

وفى الدعاء: «اللهم انى استغفرک من كل ذنب قوى عليه بدنى بعافيتک أو نالته قدرتى بفضل نعمتک أو بسطت إليه یدى بسابغ رزقک... لم تدخلنى يارب فيه جبراً ولم تحملنى عليه قهراً ولم تظلمنى فيه شيئاً...»(8).

وفى تفسير قوله تعالى: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» قال (عليه السلام): «خلقهم للأمر والنهى والتكليف، وليس خلقتهم جبراً ان يعبدون ولكن خلقتهم اختياراً ليختبرهم

ص: 91

1- مهج الدعوات: ص 154.

2- العدد القوية: ص 263.

3- سورة الكهف: 84.

4- سورة المؤمنون: 88.

5- سورة الملك: 1.

6- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 124، والتوحيد: ص 362، والاحتجاج: ص 414.

7- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 279 المجلس 47 ح 8.

8- الإقبال: ص 388.

بالأمر والنهي، ومن يطيع ومن يعصى»(1).

فإن الأمور والأعمال موزعة:

1: بين ما هي في دائرة قدرة الإنسان وحيطة تصرفه واختياره.

2: وبين ما هي خارج عنه بالمرّة.

وحيث إن ما في دائرة قدرة الإنسان هو أيضاً يستند إلى الله تعالى إذ انه عزوجل هو الذى أعطاه القدرة والاختيار وهو الذى أوجد الأسباب ومهدّها بمقدوره فى أى آن أن يسلب قدرته واختياره، ولذلك كرر فى القرآن الحكيم نسبة الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»(2).

وقال تعالى: «أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»(3).

وما أشبه ذلك من الآيات.

فلولا- أن الله تعالى أعطى الإنسان وجوده وحياته ثم زوده بالعضلات والوى والإدراك والعلم والإرادة وما أشبهه، ولولا أنه خلق المعادن والآلات والأدوات وما أشبهه، ولولا أنه ... لما أمكن للإنسان أن يرمى نبلاً أو يزرع بقللاً - بكامل حريته واختياره - .

ص:92

1- تفسير القمى: ج2 ص331، والآية فى سورة الذاريات:56.

2- سورة الأنفال: 17.

3- سورة الواقعة: 64.

إعداد العدة

مسألة: يجب إعداد العدة للمواجهة عندما ينجم قرن الشيطان.

قولها (عليها السلام): (أو نجم قرن للشيطان) نجم بمعنى: ظهر، ولذا يسمى النجم نجماً لأنه يظهر في الأفق، و(قرن الشيطان) كناية عن أول فتنته، يعنى: إنه كلما ظهرت بوادر فتنة قذف (صلى الله عليه وآله) أخاه (عليه السلام) في لهواتها.

فأول كل ظاهر من شىء قرن، ولذا يقال: قرن الشمس، حين تظهر بعض أجزاءها ابتداءً ثم تظهر البقية.

والسبب في كون قرن الحيوان هو أول ما يرى من البعيد: أن الأرض كروية وفي المحل الكروي إنما يظهر أعلى الشىء ابتداءً كما يشاهد ذلك بالنسبة إلى البحار، فإن الإنسان أول ما يشاهد من السفينة الصواري ثم تظهر شيئاً فشيئاً، حتى تظهر بأجمعها، وكما هو المشاهد لمن كان حديد البصر وواقفاً في الأرض يشاهد الأفق من بعيد.

المبادرة

مسألة: تجب المبادرة للتصدى للفتن بمجرد أن ينجم قرنهما، كما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يصنع، تأسيساً به (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولأنه من إحكام الأمر وإتقانه، وقد ورد في الحديث: (رحم الله امرأ عمل عملاً فاتقنه) [\(1\)](#) ولما فيه من درء المفسدات الكثيرة التي تترتب على التأخير.

ومن البين إن ذلك يتوقف - فيما يتوقف - على بعد النظر والرؤية المستقبلية كى يتنبأ الإنسان مسبقاً بما سيجرى ويعرف أن هذه مقدمة بعيدة لذاك، وما جرى هو لبنة في بناء مستقبلي كذائي، وقد ورد في وصف أمير المؤمنين على (عليه الصلاة والسلام): «كان والله

ص: 93

1- راجع الأمالى للصدوق: ص 384 المجلس 61، وفيه عنه (صلى الله عليه وآله): إن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه.

بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً، ويحكم عدلاً...»(1).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رحم الله امرئ رأى حقاً فأعان عليه ورأى جوراً فرده وكان عوناً بالحق على صاحبه»(2).

وقال (عليه السلام): «رحم الله امرئ أحيى حقاً وأمات باطلاً وادحض الجور وأقام العدل»(3).

ترصد الفتن

مسألة: يجب الترصد الدائم والتفحص الحثيث عن أية فتنة قد تحدث، كما أشارت إلى ذلك (عليها السلام) في قولها: (كلما ... نجم ... أو فغرت ... كذف أخاه...) حيث كان (صلى الله عليه وآله) دائم اليقظة والحذر.

وفي الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله): «ستكون من بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا على بن أبي طالب، فإنه أول من يرانى وأول من يصفحنى يوم القيامة وهو معى فى السماء الأعلى وهو الفاروق بين الحق والباطل». وهذه الرواية نقلها العامة أيضاً(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ستكون بعدى فتنة مظلمة، الناجى منها من تمسك بالعروة الوثقى، فقيل: يا رسول الله وما العروة الوثقى، قال: ولاية سيد الوصيين، قيل: يا رسول الله ومن سيد الوصيين، قال: أمير المؤمنين، قيل: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين، قال: مولى المسلمين وإمامهم من بعدى، قيل: يا رسول الله ومن مولى المسلمين وإمامهم من بعدك، قال: أخى على بن أبى طالب (عليه السلام)»(5).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من فتنة الشيطان فقال: «يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»(6)»(7).

ص: 94

1- كشف الغمة: ج 1 ص 77، صنعته (عليه السلام).

2- غرر الحكم: ص 69 ح 979.

3- غرر الحكم: ص 69 ح 980.

4- تاريخ دمشق لابن عساکر: ج 42 ص 449 الرقم 9025 و9026، من ترجمة الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام)، وكشف الغمة: ص 143 وص 376.

5- مائة منقبة: ص 149 المنقبة 81، والتحسين: 552.

6- سورة الأعراف: 27.

7- كمال الدين: ص 86.

وقال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»(1).

وعلى ذلك فإنه من غير الصحيح اعتزال الناس، والابتعاد عن الخوض في البحوث السياسية والاقتصادية وشبهها مما يعرف الإنسان على خطط الاستعمار وبرامجهم، ومن أين ينفذون؟ وكيف؟ ومتى؟ ومن هم عملاؤهم؟ وغير ذلك.

ومن الخطأ توهم أن ذلك الانعزال والابتعاد فضيلة بل الأمر بالعكس تماما، فإن «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوالبس»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله) في وصيته لأبي ذر: «وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه»(3).

أما أخبار الاعتزال فالمقصود بها شيء آخر كما بيناه في بعض كتبنا(4).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما أعزه الله تعالى ومن خذلهما خذله الله تعالى»(5).

قال (عليه السلام): «فضل العالم على العابد بسبعين درجة، بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما، وذلك ان الشيطان يصنع البدعة فيبصرها العالم فينهاي عنها، والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها»(6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فضل العالم على العابد كفضلي على سائر الأنبياء»(7).

وقال (عليه السلام): «ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما»(8).

وربما يتوهم إن (أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين) و(قذف أخاه في لهواتها) خاص بشؤون الحرب، لكن الظاهر شمولية ذلك لكل فتنة ومشكلة سياسية أو

ص: 95

1- سورة البقرة: 193.

2- تحف العقول: ص 356.

3- أعلام الدين: ص 205، مكارم الأخلاق: ص 472.

4- راجع كتاب (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف.

5- غوالي اللئالي: ج 3 ص 189 باب الجهاد ح 27.

6- روضة الواعظين: ص 12.

7- أعلام الدين: 81.

8- جامع الأخبار: ص 37 الفصل 20.

اقتصادية أو عسكرية أو أمنية أو اجتماعية أو غيرها، وذلك لأن الأصل في العطف ذلك(1).

وفى الواقع الخارجى خير شاهد ودليل على ذلك(2) إضافة إلى ظهور (نجم قرن الشيطان... أو فغرت...) فيه.

أو فغرت فاعرة من المشركين

الموقف المناسب

مسألة: يجب أن يتخذ الإنسان الموقف المناسب إذا فغرت فاعرة من المشركين.

قولها (سلام الله عليها): (أو فغرت فاعرة من المشركين) يقال: فغر فاه أى: فتحه، والمراد به تجمع المشركين لأجل محاربة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهناك فرق بين (نجم) و(فغر)، فالنجم: الأول، والفغر: التهيو والاستعداد، فإنه بعد ظهور القرن يظهر الفم الذى يهدف التهام الحق، ولا يراد بذلك الفم حقيقة وإنما هو نوع تشبيه، للذين يريدون إبطال الحق وإزهاقه بالفم الذى يهضم الطعام والتهامه.

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «ما رأيت منذ بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) رخاء والحمد لله، والله لقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً، أقاتل المشركين وأعدى المنافقين حتى قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) فكانت الطامة الكبرى، فلم أزل حذراً - إلى أن قال: - والله ما زلت أضرب بسيفى صبيلاً حتى صرت شيخاً، وأنه ليصبرنى على ما أنا فيه ان ذلك كله فى الله ورسوله»(3).

الأدب التصويرى

ص:96

1- الأصل فى عطف النسق هو عطف المغاير على المغاير، والاستثناء هو كونه عطفاً للخاص على العام أو شبهه (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاعرة من المشركين).

2- إذ كان (عليه السلام) عضده (صلى الله عليه وآله وسلم) الأيمن فى شتى المجالات، وسنده الأول فى كل المحن، كما فى قضية كشف تلك الجاسوسة التى كانت تريد اخبار مشركى قريش فى فتح مكة - وهى قضية أمنية - وكقرائنه (عليه السلام) سورة البراءة فى قلب معقل الأعداء، وهو موقف إعلامى ومواجهة فكرية، سياسية صريحة وجريئة جداً... وللتنصيص راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم): ج1-2 للإمام المؤلف.

3- الإرشاد: ج1 ص284 فصل ومن كلامه (عليه السلام) فى تظلمه.

مسألة: من الراجح - فى الدعوة والتبليغ والإرشاد - استخدام أسلوب (الأدب التصويرى) كما استخدمت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) هذا الأسلوب (الأدب التصويرى) فى مقاطع شتى من هذه الخطبة، وفى هذه المقطع حيث تقول: (كلما أوقدوا ناراً للحرب... أو نجم قرن الشيطان... أو فغرت فاغرة... قذف... فى لهواتها... يطاء جناحها بأخمصه... ويخمد لهبها... الخ).

وهذا الأسلوب هو من أساليب القرآن الكريم من قبل كما فى قوله سبحانه: «كزرع أخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه»(1).

وقوله تعالى: «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجه كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور»(2).

وقوله سبحانه: «ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً»(3).

وقوله تعالى: «وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً»(4).

ثم إنه هل التشبيه والتمثيل من أصناف الأدب التصويرى فهو مقسم لها، أم أنه مختص بتنزيل حقيقة منزلة أخرى (كالمعنوية منزلة المادية) دون استخدام أداة تشبيه؟ مبحث يرتبط بعلم البلاغة.

قذف

التعرض لصفات الإمام (عليه السلام) والتعريف به

ص: 97

1- سورة الفتح: 29.

2- سورة النور: 35.

3- سورة الإسراء: 37.

4- سورة الأنعام: 25.

مسألتان: تنقسم الصفات التي تحلى بها الإمام على ابن أبي طالب (عليه السلام)، إلى ما تجب معرفته ويجب التعريف به والإعلان عنه، وإلى ما يستحب معرفته والتعريف به.

فإمامته وخلافته من القسم الأول وهو واجب عيني في معرفته، ونصرتة للإمام والمسلمين وشده أزر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في المواطن الصعبة حيث كان منهجه (صلى الله عليه وآله وسلم) (أن يقذف أخاه في لهواتها) من القسم الأول أيضا في الجملة، ومعرفة كثير من صفاته والتعريف بها مستحب بما هي هي، إلا فيما لو وجدت جهة المقدمة (1) فتجب عندئذ عينا أو كفاية (2).

وفي التاريخ إن رجلاً قال لابن عباس: «سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله، انى لأحسبها ثلاثة آلاف منقبة، قال ابن عباس: أو لا تقول انها إلى ثلاثين ألف أقرب» (3).

نعم إن فضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى ومن أن يعرفها أحد، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي ما عرف الله حق معرفته غيرى وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيرى» (4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «جعل الله لأخى على بن أبي طالب فضائل لا تحصى» (5).

وفي حديث آخر: «لا تحصى عددها كثيرة» (6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى بن أبي طالب (عليه السلام): «لا يتقدمك بعدى إلا كافر ولا يتخلف عنك بعدى إلا كافر وإن أهل السماوات السبع يسمونك أمير المؤمنين بأمر الله تعالى» (7).

التهلكة

ص: 98

- 1- كما لو توقف معرفة إمامته (عليه السلام) على استقراء شتى صفاته ومختلف مصاديق نصرته كي يحصل الاطمئنان عند البعض.
- 2- (عينا) في المعرفة، (كفاية) في التعريف.
- 3- كشف الغمة: ج 1 ص 112.
- 4- المناقب: ج 3 ص 267.
- 5- الصراط المستقيم: ج 1 ص 154 الباب التاسع.
- 6- تأويل الآيات: ص 844 سورة الاخلاص.
- 7- مائة منقبة: ص 53 المنقبة 27.

مسألة: يحرم إلقاء النفس في التهلكة، ولكن ليس من مصاديقه: التضحية بالنفس في سبيل الله، فهي خارجة موضوعاً عن التهلكة كما لا يخفى(1)، فليس قذف (صلى الله عليه وآله وسلم) أخاه في لهواتها خارجاً بالتخصيص بل بالتخصيص.

قال تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»(2).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) عندما فرض عليه قبول ولاية العهد: «اللهم إنك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة وقد أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده وقد أكرهت واضطرت كما اضطرت يوسف ودانيال إذ قبل كل واحد منهما الولاية لطاغية زمانه، اللهم لا عهد لي إلا عهدك، ولا ولاية لي إلا من قبلك، فوقفتي لأقامة دينك وإحياء سنة نبيك، فانك أنت المولى والنصير، نعم المولى أنت ونعيم النصير»(3).

وفي تفسير العياشي عن حذيفة قال: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»: «هذا في التقية»(4).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا على انك ستلقى من قريش شدة من تظاهروا عليك وظلمهم لك، فان وجدت أعواناً فجاهدوهم، فقاتل من خالفك بمن وافقك فان لم تجد أعواناً فاصبر واكف يدك ولا تلق بيدك إلى التهلكة، فإنك منى بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة، انه قال لأخيه موسى «ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»(5)»(6).

وعن اسلم قال: «غزونا نهاوند أو قال غيرها، واصطفينا والعدو صفين لم أر أطول منهما ولا أعرض، والروم قد الصقوا ظهورهم بحائط مدينتهم، فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: لا إله إلا الله، ألقى بنفسه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما تؤولون هذه الآية على أن حمل هذا الرجل يلتمس الشهادة، وليس كذلك، إنما نزلت هذه الآية فينا، لأننا كنا قد اشتغلنا بنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتركنا أهالينا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلح ما فسد

ص: 99

1- فإن في ما أمر الله به: الحياة لا الهلاك، والتهلكة هي إزهاق الروح لغير غرض عقلائي إلهي.

2- سورة البقرة: 195.

3- كشف الغمة: ج 2 ص 297.

4- تفسير العياشي: ج 1 ص 87 سورة البقرة.

5- سورة الأعراف: 150.

6- كتاب سليم بن قيس: ص 72.

منها فقد ضاعت بتشاغلتنا عنها فانزل الله إنكاراً لما وقع في نفوسنا من التخلف عن نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإصلاح أموالنا، «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (1) معناه إن تخلفتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأقمتم في بيوتكم ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة وسخط الله عليكم فهلكتم، وذلك رد علينا فيما قلنا وعزنا عليه من الإقامة، وتحريض لنا على الغزو وما أنزلت هذه الآية في رجل حمل على العدو ويحرض أصحابه أن يفعلوا كفعله، أو يطلب الشهادة بالجهاد في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة» (2).

هذا وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»: «لا تعدلوا عن ولايتنا فتهلكوا في الدنيا والآخرة» (3).

وجوب التضحية

مسألة: تجب التضحية بالحياة فيما لو توقف حفظ الإسلام عليها كما ضحى الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه وأولاده وأصحابه في يوم عاشوراء، وتفصيل الكلام في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (4).

فإن التضحية واجبة بشتى صورها حتى (بالانتحار) فيما لو توقف حفظ الإسلام عليه، وذلك مثل أن يلقي بنفسه في مدخنة سفينة العدو، حيث يوجب احتراقه وبالتالي غرق السفينة، بسبب إطفائها، كما حدث مثل ذلك في الحرب العالمية الثانية، وكشد شريط من المتفجرات حول جسده والانبطاح مثلاً أمام دبابات العدو.

وتشخيص الصغريات والمصاديق في هذا الباب بيد شورى الفقهاء، وإلا فالفقيه العادل الجامع للشرائط، وإن لم يكن فعديل المؤمنين، وإن لم يكونوا فللمكلف نفسه لو قطع بذلك.

قال تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله

ص:100

1- سورة البقرة: 195.

2- اللهوف: ص 29 - 30.

3- المناقب: ج 3 ص 207.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»(1).

وقال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «أفضل ما توسل به المتوسلون: الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيل الله» الحديث(2).

وقال (عليه السلام): «الله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم»(3).

بين التخصص والتنوع

مسألة: هل اللازم - على الإنسان - فى الواجبات الكفائية (كالصناعات والعلوم والتصدي لأعداء الإسلام) التخصص كما هو مقتضى الإتيان، أم التنوع والشمولية، كما صنع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة لأمير المؤمنين على (عليه السلام) حيث (كلما ... نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة، من المشركين قذف أخاه فى لهفاتها) فتأمل؟

وهل الأصل هذا أم ذاك، أم يقال بالتفصيل؟

وجوه، والظاهر إن الأمر يختلف باختلاف الأفراد، قوة وضعفاً، ومن حيث تنوع القابليات والقدرات و... والظروف والحاجات وغيرها.

ص: 101

1- سورة التوبة: 111.

2- علل الشرائع: ص 247.

3- كشف الغمة: ج 1 ص 431.

التصدى بسرعة

مسألة: يجب التصدى للفتن بسرعة وقوة كما هو المستفاد من عمله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن قولها (عليها السلام): (قذف أخاه...)، ومن البين أن القذف هو الرمي بقوة وشدة، والسرعة تستفاد من السياق (كلما...قذف) ومن مادة (قذف) أيضاً. (1)

وهي من مصاديق (المسارعة) الواجبة كتاباً (2) وسنة وعقلا في الجملة، وإن كان بعض مصاديقها مستحبة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ارتقب الموت سارع في الخيرات» (3).

وقال (عليه السلام): «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات» (4).

أخاه

التضحية بالمهم

مسألة: لا تجوز التضحية بالأهم مع كفاية المهم، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقذف أخاه في لهواتها وكان أمير المؤمنين على (عليه السلام) يبادر لوقاية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه كما في ليلة المبيت.

وقد روى الفريقان أنه «لما أراد النبي (صلى الله عليه وآله) الهجرة خلف علياً (عليه السلام) لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خروجه إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال: يا على اتشح ببردى الحضرمي ثم نم على فراشى...»

فأوحى الله عزوجل إلى جبرئيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فايكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختر كل منهما الحياة، فأوحى الله عزوجل

ص: 102

1- في قوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» سورة آل عمران: 133، و«فاستبقوا الخيرات» سورة البقرة: 148.

2- إذا الرمي البطيء لا يسمى قذفاً إلا مجازاً فتأمل.

3- الخصال: ص 231، كنز الفوائد: ج 2 ص 162.

4- جامع الأخبار: ص 109 الفصل 66.

إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد، فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند قدميه، وجبرئيل يقول (عليه السلام): بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهى الله بك ملائكته، فانزل عز وجل على رسوله (صلى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام): «ومن الناس من يشرى نفسه» (1) الآية» (2).

وكذلك في يوم أحد حيث قال جبرئيل: «يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي (عليه السلام)، قال (صلى الله عليه وآله): لأنه منى وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» (3).

التركيز على مركز الفساد

مسألة: يجب على القادر كفايئاً، التركيز على مركز الفساد وعين الفتنة وقطب رحي الأعداء، كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث (قذف أخاه في لهواتها) تركيزاً عليها، وقد سبق ما يدل على ذلك.

التضحية حتى بالأحب

مسألة: يجب الإيثار والتضحية بكل شيء حتى أحب الأشياء وأعز الأشخاص - فيما لو توقف واجب أهم كحفظ بيضة الإسلام عليه - كما قالت (سلام الله عليها): (قذف أخاه...).

فإن الإنسان يجب عليه أن يضحي بنفسه وبأعز ما لديه حتى ينتصر الحق، وقد قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): - كما في نهج البلاغة - (فلما علم الله منا الصدق أنزل علينا النصر). (4)

ص: 103

1- سورة البقرة: 207.

2- تأويل الآيات: ص 95 سورة البقرة عن الثعلبي في تفسيره.

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 85.

4- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 235 ب 35.

وإنما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يباشر الحرب بنفسه محافظة منه على القيادة كما هو واضح، وقذف أخاه في لهواتها رغم انه خليفته، لعدم وجود البديل، وأما في الحروب الثلاثة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه (عليه السلام) كان يقود الحرب، وكان يقتحم صفوف الأعداء بنفسه أيضاً إما تشجيعاً، وإما لتوقف شحذهم الجيش، وبالتالي الانتصار على نزوله شخصياً لساحة المعركة، أو لاطمئنانه بالغبلة وعدم مقدرتهم على قتله لو أقتحم، فتأمل.

انتخاب الكفاء

مسائل: يجب انتخاب الأكفاء للمواقع الحساسة ويجب عليهم وجوباً كفايياً القبول، كما صنع (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما فعل (عليه السلام).

ويحرم فيها تحكيم (الروابط) على (الضوابط).

وأما انتخاب غير الأكفاء للمواقع غير الحساسة فهو بين محرم - كما لو كان فيه إضاعة حق، أو عد تقريظاً في الأمانة، أو كان على خلاف مرتكز أو شرط الموكل، أو ما أشبه ذلك - ومكروه.

ولو دار الأمر بين الكفوء والأكفأ في المواقع الحساسة كان من تعدد المطلوب، وربما وجب.

وما ذكرناه من أدلة لزوم شورى الفقهاء، فإن الشورى أكثر كفاءة من الفرد كما لا يخفى.

ويحرم أن يتصدى غير الكفوء لمنصب لا يليق به، ولذلك وردت روايات كثيرة في ذم من يتصدى لشؤون المسلمين وفيهم من هو أعلم منه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أم قوماً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة»⁽¹⁾.

وفي حديث: «وفيهم من أعلم منه وأفقه»⁽²⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها، فمن دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو

ص: 104

1- علل الشرائع: ص 326.

2- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 206 عقاب من أم قوماً وفيهم من هو أعلم منه وأفقه.

أعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا ومن أم قوماً إمامة عمياء وفي الأمة من هو أعلم منه فقد كفر»(2).

وفي تفسير العياشى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا»(4).

والإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) قام على المنبر حين اجتمع الناس مع معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إن معاوية زعم أنى رأيت للخلافة أهلاً ولم أر نفسى لها أهلاً، وكذب معاوية أنا أولى الناس فى كتاب الله عزوجل وعلى لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أقسم بالله لو أن الناس بايعونى وأطاعونى ونصرونى لأعطتهم السماء قطرها والأرض ببركتها ولما طمعت فيها يا معاوية وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون ان هارون خليفة موسى (عليه السلام)»(5).

وقال (عليه السلام): «من دعا إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو ضال مكلف»(6).

وروى عن العالم (عليه السلام): «من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال»(7).

وعن أبي ذر (رحمة الله): «إن إمامك شفيحك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيحك إلى الله سفيهاً ولا فاسقا»(8).

ص: 105

1- الاختصاص: ص 251.

2- الصراط المستقيم: ج 3 ص 135.

3- تفسير العياشى: ج 2 ص 85 سورة البراءة ح 40.

4- الاحتجاج: ص 151.

5- العدد القوية: ص 51.

6- مشكاة الأنوار: ص 333 فى الرياسة.

7- فقه الرضا (عليه السلام): ص 383 باب البدع والضلالة.

8- علل الشرائع: ص 326.

ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب ذكر الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) كما شفعت (صلوات الله عليها) ذكره (عليه السلام) بذكره (صلى الله عليه وآله).

فقد ذكرت (عليها السلام) الرسول (صلى الله عليه وآله) بصفات جمّة كما تقدم، وهكذا ذكرت أمير المؤمنين عليا (عليه الصلاة والسلام) بصفات جمّة تعريفاً به (عليه الصلاة والسلام) ولإفادة أن علياً (عليه السلام) له من المكانة الرفيعة ما يستحق بها الخلافة والقيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل: علي أمير المؤمنين»⁽¹⁾.

وعنه (عليه السلام) قال: «الكلم الطيب⁽²⁾ قول المؤمن: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله وخليفة رسول الله»⁽³⁾.

وفي الحديث أنه: «كان نقش خاتم آدم (عليه السلام): لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «من صاغ خاتماً من عقيق فنقش فيه: محمد نبي الله وعلي ولي الله، وقاه الله ميتة السوء ولم يمت إلا - علي الفطرة»⁽⁵⁾.

وعن ابن عباس قال حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لما عرج بي إلى السماء رأيت علي باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، والحسن والحسين سبطا رسول الله، وفاطمة الزهراء صوة الله، ولي ناكلهم وبأغضهم لعنة الله تعالى»⁽⁶⁾.

وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «أما أبواب الجنة، فعلى الباب الأول مكتوب: لا إله إلا الله،

ص: 106

1- بحار الأنوار: ج 27 ص 1 ب 10 ح 1.

2- أى فى قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب» سورة فاطر: 10.

3- تفسير القمى: ج 2 ص 208 سورة فاطر، ومثله تأويل الآيات: ص 469.

4- مكارم الأخلاق: ص 90 فى نقوش الخواتيم.

5- أعلام الدين: ص 392.

6- الفضائل: ص 83.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذى بعثنى بالحق بشيراً ونذيراً ما استقر الكرسى والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرضون إلا كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على ولي الله»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن العبد إذا قال فى أول وضوئه أو غسله من الجنابة: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرک وأتوب إليك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن علياً وليك وخليفتك بعد نبيك على خلفيتك، وان أولياءه وأوصيائه خلفاؤك، تحاتت عنه ذنوبه كلها كما يتحات ورق الشجر، وخلق الله بعدد كل قطرة من قطرات وضوئه أو غسله ملكاً يسبح الله ويقدهه ويهله ويكبره ويصلى على محمد وآله الطيبين وثواب ذلك لهذا المتوضى» الحديث(3).

الشهادة الثالثة فى الأذان

مسألة: ونظراً لهذا الكلى ولروايات عديدة(4) التزمنا تبعاً لعدد من الفقهاء(5) باستحباب الشهادة الثالثة (أشهد أن علياً ولي الله) فى الأذان والإقامة بل وجزيتها أيضاً(6)، وقد ذهب البعض إلى وجوبها - من باب الشعارية - كما لا يخفى.

ص: 107

1- الفضائل: 152.

2- مائة منقبة: ص 49 المنقبة 24.

3- تفسير الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام): ص 522.

4- ومنها: إن سلمان الفارسى (رحمة الله) أذن مع الشهادة الثالثة ولما شكى بعض الصحابة للرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك جبههم (صلى الله عليه وآله) بالتوبيخ والتأنيب وأقر لسلمان هذه الزيادة. ومنها: إن أباذر الغفارى (رحمة الله) أيضاً هتف بها فى الأذان - بعد بيعة الغدير - فرفعوا ذلك للرسول (صلى الله عليه وآله) فقال: (أما وعيتم خطبتي يوم الغدير لعلى بالولاية أما سمعتم قولى فى أبى ذر (رحمة الله): (ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر...)) راجع موسوعة الفقه: ج 19 ص 331 - 332.

5- ومنهم صاحب الحدائق وصاحب المستند والعلامة المجلسى (قدس سرهم) حيث قالوا بالجزئية، ويظهر من صاحب الجواهر (رحمة الله) الميل إليها، كما يظهر من العلامة الطباطبائى (رحمة الله) ذلك أيضاً. وممن قال بالاستحباب - ولو من باب العمومات - الفقيه الهمدانى (رحمة الله) فى مصباح الفقيه والسيد الحكيم (رحمة الله) فى المستمسك (يقصد الاستحباب المطلق) ومن المعاصرين ذهب عديد إلى ذلك « منهم السيد المستنبط » (للتفصيل راجع موسوعة الفقه المجلد 19 ص 333 - 335).

6- يراجع حول هذا المبحث: موسوعة الفقه ج 19 كتاب الصلاة ص 324 - 335 و...

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنا أول أهل بيت نوه الله بأسمائنا، انه لما خلق الله السماوات والأرض أمر منادياً فنادى: أشهد أن لا إله إلا الله ثلاثاً، أشهد أن محمداً رسول الله ثلاثاً، أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً ثلاثاً»⁽¹⁾.

اللهوات

قولها (عليها السلام): (قذف أخاه في لهواتها) أى: قذف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخاه علياً (عليه الصلاة والسلام) فى فم تلك الحرب، فإن اللهوات جمع (لهات) ولهات عبارة عن: اللحمة فى أقصى الفم، فكان على أمير المؤمنين (عليه السلام) يغوص فى عمق الجيش، يقتلهم ويقاثلهم حتى يبدهم.

وفى التاريخ أن صعصعة خاطب الخوارج فى النهروان وقال: «أولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا اشتدت الحرب قدمه - أى علياً (عليه السلام) - فى لهواتها فيطؤ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحده، مكدوداً فى ذات الله، عنه يعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون، فانى تصرفون وأين تذهبون»⁽²⁾.

والحاصل أنه كلما عرضت مشكلة أو داهية أو حرب بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لدفعها وعرض علياً (عليه السلام) للمهالك وكان على (عليه السلام) مقدماً على ذلك ومبادراً إلى كل ذلك.

والإتيان ب- (لهوات) بصيغة الجمع لأن للحرب لهات من اليمين واليسار والخلف والأمام والقلب، ولذا يسمى الجيش بالخميس، لأنه ذو جوانب خمسة، كما كانت العادة فى تنظيم الجيوش سابقاً وهى مستمرة إلى الآن وإن تغيرت وسائل الهجوم أو الدفاع من الوسائل البدائية إلى الوسائل المعقدة كالأسلحة النارية ونحوها.

ص: 108

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 604 المجلس 88 ح 4.

2- الاختصاص: ص 121.

التراجع

مسألة: ينبغي للإنسان أن لا يتراجع من الأمر حتى يكمله، قال تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم»(2) وقد يجب ذلك فيما إذا كان مانعاً عن التقيض.

وفى الحديث الشريف: (رحم الله امرأ عمل عملاً فاتقنه)(3).

فالفهم توطأ والقرن يقطع، وهاتان الجملتان إشارة إلى الجملتين السابقتين وقد قدمت (عليها السلام) ما يرجع إلى الجملة الثانية(4) حيث قالت (عليها السلام): هاهنا (حتى يظاً) وأخرت ما يرجع(5) إلى الجملة السابقة حيث قالت هنالك: (أو نجم) من باب اللف والنشر المشوش، وله جمال خاص، كما أنه فى عكسه أى فى اللف والنشر المرتب جمال من نوع آخر أيضاً.

قولها (عليها السلام): (فلا ينكفى) أى لا يرجع، من (انكفى) بالهمزة بمعنى الرجوع، أى أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان لا يرجع منهزماً وخائباً وخائفاً كما كان بعض الصحابة كذلك(6). ولهذه الجملة إطلاقها الأحوالى والأزمانى البين كما لا يخفى.

هذا وقد سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علياً (عليه السلام): كراراً غير فرار فى حديث خبير وغيره(7)، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فدعا بعلى (عليه السلام) فجاء به وكان أرمداً، فبصق فى عينيه فبرأتا وأعطاه الراية فمضى وكان الفتح»(8).

ص: 109

1- وفى بعض النسخ: (حتى يظاً خماصها).

2- سورة الممتحنة: 8.

3- راجع أمالى الصدوق: ص 384 المجلس 61.

4- الجملة الثانية هناك هى (او فغرت فاغرة من المشركين) وما يرجع إليها هو (حتى يظاً).

5- الذى يرجع للجملة السابقة هو (ويخمد لهبها بسيفه) والجملة السابقة هى (أو نجم).

6- انظر قصة غزوة الخندق حيث رجع العديد من الصحابة منهزمين خائبين خائفين.

7- المناقب: ج 2 ص 84.

8- الصراط المستقيم: ج 2 ص 1 تنمة الباب التاسع.

مسألة: الفتنة وأشباهاها قد تكون بنحو الأقل والأكثر الإرتباطيين وقد تكون بنحو الاستقلاليين.

ويأخذها وإخامادها نهائياً يكون المكلف قد أدى واجبه فيهما.

ويأخذها في الجملة - في بعض مراحلها أو مراتبها - يكون في الاستقلاليين قد امتثل في الجملة، وفي الإرتباطيين لا يكون ممثلاً أصلاً (1)، ولعل ذلك من أوجه (حبط الأعمال) أو شبيهاً به. (2)

وقولها (عليها الصلاة والسلام): (فلا ينكفي حتى يطأ جناحها بأخمصه) يشير بإطلاقه إلى أنه (عليه الصلاة والسلام) كان - في كلا القسمين - دائم الامتثال وكامله، فهو لا يرجع ولا يتراجع حتى ينهي المهمة على أكمل وجه و(حتى يطأ جناحها بأخمصه).

إذلال الكفار

مسألة: هل إذلال الكفار واجب أم حرام؟

أما إذلال أهل الذمة بإيذائهم فمحرم، وقد ورد في الحديث الشريف: (من آذى ذمياً فقد آذاني) (3)، إلا فيما كان جعله كذلك كما في قوله تعالى: «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (4).

ص: 110

1- كما إن من صلى من صلاة الظهر ثلاث ركعات فقط لا يعد ممثلاً أصلاً، وللاقل والأكثر الإرتباطيين في القضايا السياسية والاجتماعية والأمنية وغيرها أمثله كثيرة، منها: ما لو كلفت الدولة شخصاً أو مجموعة بالعثور على الألغام زرعتها جماعة مخربة بتفجير سد أو معمل أو شبه ذلك فلو اكتفى هذا الشخص أو المجموعة بالعثور على معظم الألغام أو كلها ناقصاً واحداً - في فرض أن اللغم الواحد أيضاً يكفي لتدمير السد أو المعمل - فإنه لا يعد ممثلاً أصلاً بل يستحق العقاب.

2- قال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» «سورة الفرقان: 23» وقال سبحانه: «اولئك حبطت أعمالهم» «سورة التوبة: 17 و69» فالمعصية اللاحقة قد تنسف أجر العمل السابق بالكامل.

3- انظر الصراط المستقيم: ج3 ص13، وراجع شرح النهج: ج17 ص147 وفيه: «من آذى ذمياً فكأنما آذاني» عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

4- سورة التوبة: 29.

وأما الكافر الحربى فلا حرمة له فى الحرب، لكن الإذلال له مطلقاً بحيث يدخل تحت عنوان الإيذاء فمشكل، نظراً لعدم القول بحلية مطلق إيذاء الكافر.

وربما قيل بأن مراتب منه(1) محللة كما فى وصفها (عليها السلام) للإمام على (عليه السلام) هاهنا حيث قالت: (فلا ينكفى حتى يطاء جناحها بأخمصه)، ومراتب منه مشكوكة، ومراتب محرمة، فليتأمل. فان الحكم فى الحرب وغيره يختلف..

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن علياً (عليه السلام) صاحب رجلاً ذمياً، فقال له الذمى: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة.

فلما عدل الطريق بالذمى عدل معه على (عليه السلام)، فقال الذمى له: أليس زعمت تريد الكوفة.

قال: بلى.

فقال له الذمى: فقد تركت الطريق.

فقال له: قد علمت.

فقال له: فلم عدلت معى وقد علمت ذلك؟

فقال له على (عليه السلام): هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا.

فقال له: هكذا.

قال: نعم.

فقال له الذمى: لا جرم انما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة وانما انا أشهدك انى على دينك، فرجع الذمى مع على (عليه السلام) فلما عرفه أسلم(2).

ص: 111

1- أى من الإذلال وإن دخل تحت عنوان الإيذاء.

2- قرب الإسناد: ص 7.

مسألة: هل يستفاد من (فلا ينكفى حتى يظأ جناحها بأخمصه) جواز أو رجحان إذلال رؤوس الفتنة وعناصرها(1)؟

ربما يقال باستفاد ذلك عرفاً من هذه الجملة مع لحاظ قوله تعالى: «ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»(2) وما أشبه ذلك.

ويلحظ أن السيرة وبناء العقلاء على ذلك من باب المقدمة(3) أو المقابلة بالمثل أو العقوبة أو مطلقاً أو لأنه (قد أقدم)(4) فتأمل.

قولها (عليها السلام)، حسب بعض النسخ: (حتى يظأ صماخها بأخمصه)، الصماخ بمعنى ثقبه الأذن كما يعبر بالصماخ عن الأذن نفسها، ومعنى ذلك: أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يسحق تلك الفتن والحروب برجله، فإن الأخمص عبارة عما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشى، وهذا التعبير كناية عن غاية تمكنه من الفتنة وسيطرته عليها وإذلال القائمين بها بحيث لا تقوم لهم قائمة بعدها أبداً.

ويخمد لهبها بسيفه

إخماد لهب النيران

مسألة: يجب إخماد لهب نيران الحرب كما سبق، وقولها (سلام الله عليها): (ويخمد لهبها بسيفه) يعنى: أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يخمد لهيب تلك الفتن والحروب بسيفه دفاعاً عن الإسلام.

ص: 112

- 1- كعرض صورهم فى التلفزيون أو القيام بحركة استعراضية عبر سوقهم فى الشوارع والأزقة وغير ذلك مما هو أشد فى الإذلال أو أخف.
- 2- سورة إبراهيم: 4.
- 3- كردعهم عن العود، لإشعال نار الحرب أو الفتنة، وكردع الآخرين عن القيام بمثل ما قاموا به.
- 4- الظاهر أن المراد: انه قد أقدم على هتك حرمة نفسه بنفسه وأسقط حرمة بإقدامه على الدخول فى الفتنة، عرفاً وعقلاً.

وأصل اللهيبي عبارة عن لهيب النار، فشبهت لهيب الحرب بلهيب النار، وشبهت السيف بالماء الذي يصب على النار فتخمد.

وهذه الجمل السابقة واللاحقة إشارة إلى جهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وبلائه بلاءً حسناً مستمراً في كل القضايا الكبرى التي حولها له الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو الذي يستحق أن يكون خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيره، إذ أنه الذي خرج من كل الامتحانات الكبرى ظافراً منتصراً في أدوار شديدة الأهمية، فرآه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده فقط المؤهل للتصدي لها على مر السنين.

هذا ويمكن القول بأن (حتى يطأ جناحها بأخمصه) إشارة للجانب المعنوي والاعتباري للفتنة، و(يخمد لهبها بسيفه) إشارة للجانب المادي والحسي لها، نظراً لأن للفتنة عوامل مادية محسوسة: من عدة وسلاح ورجال وأموال، وعوامل غير مادية: من تفكير وتخطيط ومؤامرات وإشاعات تهدف إضعاف معنوية جند الإسلام، إلى غير ذلك.

علم التاريخ

مسألة: كما يجب تدوين علم الرجال وعلم الحديث وشبههما مما هو مقدمة لتحصيل الأحكام الشرعية، كذلك يجب - وجوباً كفاً في الجملة - تسجيل وقائع التاريخ وتوثيقها ومدارستها وتعليمها وجرحها وتعديلها، لكون الكثير منها يقع أيضاً مقدمة لتحصيل الأحكام (1)، وأكثر من ذلك ما يقع مقدمة ل- (الفقه الأكبر) (2) ولمعرفة الحق من الباطل في الأمور العقائدية.

وقد رد في الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله): (من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه) (3) إذ «لقد كان

ص: 113

1- كوقائع حروبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلحه ومعاهداته وقصص تعامله مع المؤمنين والمنافقين والكفار... وكذلك سائر المعصومين (عليهم السلام)، بل إن الكثير من الوقائع التاريخية مما ينفع في (فهم الأخبار) ومدى اكتنافها بالقرائن المقامية - كالتقية مثلاً - .

2- الذي أشير إليه في الآية الشريفة ب- « ليتفقها في الدين » « سورة التوبة: 122 » وهو يشمل الأحكام الشرعية وأصول الدين والعقائد والأخلاق وغيرها.

3- سفينة البحار: ج2 ص641 ط القديمة مادة (ورخ).

فى قصصهم عبرة»(1) ولأنها تكشف عن (سنة الله) التى لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا(2)..

فالمستقبل هو الوجه الآخر للتاريخ وسيصنع على ضوء ما يعرفه المرء من الماضى وعلى حسب كيفية رؤيته له إجمالا(3).

وذلك هو منهج القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) فى سرد قصص الأنبياء (عليهم السلام) والأمم السابقة وأحوالهم وما لهم وما عليهم.

وكلماتها (عليها السلام) فى هذه الخطبة تعد من أهم المصادر التاريخية التى تكشف جانبا مما جرى يومذاك، وترسم الصورة الدقيقة للوقائع وتضع أدق الأوصاف لأهم الأحداث.

فإذا أردنا وصف مولى الموحدين (عليه السلام) - مثلا- فلا أدق من كلماتها فى وصفه مما تجد بعضا منها فى هذه الصفحات.

وإذا أردنا وصف حال الجاهليين ومعاناة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا تجد أروع وأجمل وأعمق من تعابيرها وكلماتها (عليها الصلاة والسلام)، وهكذا وهلم جراً.

فمن اللازم أن يكتب التاريخ على ضوء كلماتها (عليها السلام) ومستمدًا من هديها، ومقتفياً أثرها، وأن تعتبر كلماتها الحكم فى أى تعارض بين كلمات المؤرخين، وأن تقيم مدى صدق وصحة التواريخ المكتوبة على ميزان كلماتها (صلوات الله عليها وأزكى السلام) فإنها الصديقة الكبرى.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصديقة الكبرى ابنتى»(4).

وقال الصادق (عليه السلام): «لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والرضية والمرضية والمحدثة والزهراء»(5).

ص: 114

1- سورة يوسف: 111.

2- اشارة إلى قوله تعالى: « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » سورة فاطر: 43.

3- راجع (الفقه: المستقبل) للإمام المؤلف (دام ظله).

4- راجع الأمالى للشيخ الصدوق: ص 22 المجلس 6 ح 5.

5- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 592 المجلس 86 ح 18.

وفى الحديث عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) قال: «إن فاطمة (عليها السلام) صديقة شهيدة»⁽¹⁾.

وجاء فى الزيارة: «السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة»⁽²⁾.

و: «السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة»⁽³⁾.

و: «وصل على الصديقة الطاهرة الزهراء فاطمة»⁽⁴⁾.

و: «السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة»⁽⁵⁾.

مكدودا فى ذات الله⁽⁶⁾

الكذ حسن أم قبيح؟

مسألة: الكذ بما هو هو قد لا يكون حسنا ولا قبيحا ولا مما يؤجر عليه الإنسان، بل (الجهة) هى التى تكسبه حسنا أو قبيحا، أو جوبا أو استحبابا أو حرمة أو ما أشبهه.

قال تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون»⁽⁷⁾.

وقال سبحانه: «إنما يتقبل الله من المتقين»⁽⁸⁾.

وقال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا»⁽⁹⁾.

وقال عز وجل: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر»⁽¹⁰⁾.

ص: 115

1- مسائل على بن جعفر (عليه السلام): ص 325 ح 811.

2- المقنعة: ص 459.

3- المقنعة: ص 469.

4- الإقبال: ص 60.

5- الإقبال: ص 624.

6- وفى بعض النسخ: (مكدوداً دؤوباً فى ذات الله).

7- سورة الصافات: 61.

8- سورة المائدة: 27.

9- سورة الفرقان: 23.

10- سورة المائدة: 27.

و: «إنما الأعمال بالنيات»(1).

و: «لكل امرئ ما نوى»(2).

و: (لو أن عبداً أتى بالصالحات...)، إلى غير ذلك.

ولعل ذلك من جهات كون (نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل)(3).

ولذلك لم تطلق (سلام الله عليها) (مكدودا) في وصفه (عليه السلام) بل قيدته بها هو كالفصل للجنس حيث قالت: (في ذات الله) وبما هو قوام قيمته ومحبوبيته.

ومن ذلك يعرف أن (الأصل) ليس هو (العمل) بل هو (كيفية العمل)، وقد ورد في الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم)(4).

وقال (عليه السلام): «ان الله خص محمداً بالنبوة واصطفاه بالرسالة وأنبأه الوحي فأنال الناس وأنال، وعندنا أهل البيت معاقل العلم وأبواب الحكم وضياء الأمر، فمن يحبنا ينفعه إيمانه ويتقبل عمله، ومن لا يحبنا لا ينفعه إيمانه ولا يتقبل عمله وان دأب الليل والنهار»(5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يقل مع التقوى عمل، وكيف يقل ما يتقبل»(6).

وقال (عليه السلام): «افترق الناس كل فرقة واستشيعوا كل شيعة فاستشيعتم مع أهل بيت نبيكم، فذهبتهم حيث ذهب الله واخترتهم ما اختار الله وأحببتهم من أحب الله وأردتم من أراد الله، فابشروا ثم ابشروا، فانتم والله المرحومون، المتقبل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يلق الله بمثل ما أنتم عليه لم يتقبل الله منه حسنة ولم يتجاوز عنه سيئة»(7).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قلت له بمكة أو بمنى: يا بن رسول الله ما أكثر الحاج! قال: ما أقل الحاج، ما يغفر الله إلا لك ولأصحابك ولا يتقبل إلا منك ومن

ص: 116

1- دعائم الإسلام: ج 1 ص 4.

2- مسائل على بن جعفر (عليه السلام): ص 346.

3- مستطرفات السرائر: ص 620.

4- جامع الأخبار: ص 100، الفصل 56.

5- الإرشاد: ج 1 ص 241.

6- الأمل للشيخ المفيد: ص 484 المجلس 26 ح 1.

7- الاختصاص: ص 104 - 105.

وقال ابن عباس: «يا رسول الله، ان توصيني بشيء، قال: يا ابن عباس، اعلم ان الله عزوجل لا يتقبل من أحد حسنة حتى يسأله عن حب على بن أبي طالب، وهو أعلم بذلك، فان كان من أهل ولايته قبل عمله على ما كان فيه...»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «امح الشر من قلبك تتزك نفسك ويتقبل عملك»(3).

وقال (عليه السلام): «انك لن يتقبل من عملك إلا ما أخلصت فيه ولم تشبه بالهوى وأسباب الدنيا»(4).

الكذ في ذات الله

مسألة: يستحب الكذ في ذات الله سبحانه.

ومعنى (في ذات الله) أن يكون لأجل الله عزوجل وحده خالصاً مخلصاً له، لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا شك ولا شرك ولا ما أشبه ذلك، ف- (مكدوداً في ذات الله) في قبال الكسالى وفي قبال العاملين الذين لا يكدون، وفي قبال من يكذب لكنه ليس لذات الله وحده.

وقد ورد في الزيارة: «وصبرت في ذات الله»(5).

وقال (عليه السلام): «ولعمري ما الإمام إلا الحاكم القائم بالقسط الدائن بدين الله، الحابس نفسه على ذات الله»(6).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما ابتلى المؤمن بشيء أشد من المواساة في ذات الله عزوجل والإنصاف من نفسه وذكر الله كثيراً»(7).

ولا يخفى أن كلمة (في) بمعنى النسبة في أمثال هذه المقامات، كما قالوا: (الواجبات الشرعية ألطاف في الواجبات العقلية) وتتصور الظرفية أيضاً بلحاظ التنزيل.

ص: 117

1- بشارة المصطفى: ص 73.

2- الفضائل: ص 168 - 169.

3- غرر الحكم: ص 106 ح 1909.

4- غرر الحكم: ص 155 ح 2913.

5- المزار: ص 109.

6- المناقب: ج 4 ص 90.

7- مشكاة الأنوار: ص 57 الفصل 15.

مسألة: وجه الاستدلال فيما وصفته (صلوات الله عليها) من الصفات على كون أمير المؤمنين على (عليه السلام) هو الأحق بالخلافة:

1: بلحاظ مجموع هذه الصفات من حيث المجموع.

2: بلحاظ كل واحدة واحدة من الصفات من حيث مرتبتها التشكيكية - بلحاظ الإطلاق والسياق والقرينة المقامية- .

3: بلحاظ انتخاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له (عليه السلام) في بعض تلك الصفات من حيث كاشفيتها عن الأصلح أو عن الانحصار فيه، في مراتب لا تصل بأهمية الخلافة فكيف بالأرقى وهو الخلافة، أي فيما لا يرقى الى درجة الخلافة في الخطورة والاهمية.

قولها (عليها السلام): (مكدوداً) أي: أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يكذب نفسه ويتعبد غاية التعب.

(في ذات الله) أي في أمر الله وما يرتبط به جل شأنه، وحده مخلصاً لا يشرك في ذلك أحداً.

وكان (عليه السلام) لا يريد بذلك مالا ولا جاهاً ولا امرأةً كما كان بعض الصحابة يريدون ذلك، ولهذا سمي أحدهم ب- (شهيد الحمار) لما قتل في الحرب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان خروجه لأجل حمار أد المشركين يرد اقتناه، وسمى الآخر ب- (شهيد أم جميل) لأنه كان يريد بحربه أن ينال امرأة جميلة في جيش الأعداء تسمى بأم جميل، وهكذا، فلم يكن أمير المؤمنين على (عليه الصلاة والسلام) يريد شيئاً من ذلك أبداً، وإنما يريد الله وحده وحده، كما ورد في شأنهم (عليهم السلام): «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً»(1).

وربما يقال: إن قولها (عليها السلام): (مكدوداً في ذات الله) بإطلاقه الأحوال والأزمانى (2) يشير

ص: 118

1- سورة الإنسان: 9.

2- أي مكدوداً في كل أحواله وفي كل الأزمنة.

إلى نفس ما صرح به سيد الموحدين (عليه السلام) حيث قال: (ما عبدتك خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) (1).

مجتهداً في أمر الله

أصالة الأسوة

مسألة: الأصل في كل صفة تذكر للمعصومين (عليهم الصلاة والسلام): (الأسوة)، فقولها (عليها السلام): (فلا ينكفى حتى يظأ... ويخمد... مكدوداً في ذات الله... مجتهداً في أمر الله.. الخ) يقتضى لزوم الإتيان في الجملة، ورجحانه مطلقاً، وما خرج خرج بالدليل، ومن ذلك استفاد رجحان الاجتهاد في أمر الله عز وجل.

ثم إن الإتيان في كل بحسبه وعلى درجة تعقله وتحمله، إذ «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» (2) و«إلا ما آتتها» (3).

ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا وأنكم لا تقدررون على ذلك ولكن أعينونى بورع واجتهاد وعفة وسداد» (4) ولهذا المبحث تفصيل نتركه لمجال آخر.

ولعل الفرق بين (الكد) و(الاجتهاد) أن الأول عملى والثانى علمى، حيث قالت (سلام الله عليها): (فى أمر الله)، لأن أمر الله يحتاج إلى الاستنباط والاستخراج فتأمل.

ثم إن الاجتهاد فى كلامها (عليها السلام) لا يراد به الاجتهاد المعروف عند الفقهاء - المصطلح عليه بالوضع التعىنى لاحقاً - فإن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) عالم بكل الأحكام لا عن الاجتهاد، بل بإلهام من الله تعالى وعطاء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعبر النكت فى القلب والنقر فى الأسماع ورؤية عمود النور، وشبه ذلك مما تجد تفصيله فى

ص: 119

-
- 1- غوالى اللئالى: ج2 ص11 ح18.
 - 2- سورة البقرة: 286.
 - 3- سورة الطلاق: 7.
 - 4- إرشاد القلوب: ص214، وفى نهج البلاغة أيضاً، كتابه (عليه السلام) إلى عثمان ابن حنيف الأنصارى.

الأخبار، بل المراد بالاجتهاد بذل غاية الجهد بالنسبة للأحكام الإلهية وأوامره (1).

ويمكن أن يقال في الجملتين، غير هذا الذي ذكرناه، إذ من المحتمل أن يراد ب- (مكدودا ...) الإشارة إلى ما توجه نحوه (عليه السلام) من ضغوط ومتاعب وأذى، وب- (مجتهدا ..) ما حمّل نفسه من جهد وعناء في سبيل الله، وهما كاللازم والملزوم (2).

وبعبارة أخرى: فإن (المتنم في ذات الله) - كما وصف عليه السلام به - يواجه صعوبتين:

الأولى: نابعة من صميم طبيعة الاجتهاد والتنمر كحرمان المرء نفسه من شتى اللذائذ الحسية كالنوم والمأكل والملبس والمركب الفاره وغير ذلك مما يقتضيه الاجتهاد والجهد.

والثانية: نابعة من طبيعة رد فعل المجتمع تجاه ذلك المتنم المجتهد، حيث أنهم يتألبون ضده ويترصون به الدوائر ويحكون ضده المؤامرات ويشير فيهم حسدا وكراهية، لكونه يهدد مصالحهم (وما تقوموا من أبي الحسن إلا شدة تنمره في ذات الله) (3).

وكما قالوا لولده الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء: (نقتلك بغضا منا لأبيك).

فأشارت (عليها السلام) للجهة الأولى بقولها: (مجتهدا في أمر الله)، وللثانية ب-: (مكدودا في ذات الله).

من صفات القائد

مسألة: على القائد أن يكون في كد واجتهاد دائمين، ويدل عليه سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وسائر أهل البيت (عليهم السلام) كما على سائر المؤمنين أيضاً - وجوبا أو استحبابا - تأسيًا ونظراً لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (4).

ص: 120

1- ربما يكون المراد من (بالنسبة للأحكام الإلهية): تعليما وتوضيحا ودفعا للشبهات، أو تفكيراً وتدبرا باعتباره (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أجلي مصداق للعمل بالآيات الداعية للتفكير والتدبر.

2- أي انهما وجهان لعملة واحدة - حسب التعبير المستحدث - وتوضيحه: إن لازم (الاجتهاد في أمر الله) هو شدة التعب والنصب فلأنه (عليه السلام) كان مجتهداً في أمر الله أضحي مكدودا متعباً وتوجهت نحوه الضغوط.

3- بحار الأنوار: ج 43 ص 158 ب 7 ح 8.

4- غوالي اللئالي: ج 1 ص 129.

ولقوله سبحانه: «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك» (1) أى يلزم أن يستر الدح الذى جهه «إلى ربك»، بناء على كونا جملة خبرية فى مقام الإنشاء حتى يل الإنان إلى دار حقه (2) فيموت، ولغير ذلك، إلا أن الأمر فى القائد أكد والحكم له ألزم كما لا يخفى.

والمراد بالكدح فى الآيات: الأعم من الكد والاجتهاد، إذ أنهما إذا ذكر كل واحد منهما منفردا شمل كليهما، وإذا ذكرا معا كان لكل معنى فى قبال الآخر، ذلك أنهما كالظرف والجار والمجرور: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) (3).

وفى الزيارة: «أشهد أنك أديت عن الله وعن رسوله صادقاً وقلت أميناً ونصحت لله ولرسوله مجتهداً» (4).

والاجتهاد كل ما يكون فيه جهد على النفس ومشقة لها.

وفى الحديث عن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «من اجتهد من أمتى بترك شهوة من شهوات الدنيا فتركها من مخافة الله آمنه الله من الفزع الأكبر وأدخله الجنة» (5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من اجهد نفسه فى إصلاحها سعد» (6).

وفى الحديث عنه (عليه السلام) قال: «خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش يسبحه بجميع اللغات المختلفة فإذا كان ليلة الجمعة أمره أن ينزل من السماء إلى الدنيا ويطلع إلى أهل الأرض ويقول: ... يا أبناء الأربعين جدوا واجتهدوا» الحديث (7).

وقال (عليه السلام): «اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى» (8).

وعنهم (عليهم السلام): «جدوا واجتهدوا وان لم تعملوا فلا تعصوا» (9).

ص: 121

1- الانشاق: 6.

2- إشارة إلى قوله تعالى: «واعبد ربك حتى يأتىك اليقين» سورة الحجر: 99.

3- راجع كتب اللغة والنحو.

4- المزار: ص 109.

5- إرشاد القلوب: ص 189 ب 52.

6- غرر الحكم: ص 237 ح 4770.

7- إرشاد القلوب: ص 193 ب 52.

8- أعلام الدين: ص 153 باب صفة المؤمن.

9- عدة الداعى: ص 313.

قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب أو يجب - حسب اختلاف الموارد - أن يسعى الإنسان ليكون قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل شؤونه وفي جميع أموره: في الفكر والعمل، والقلب والقالب، في مأكله ومشربه، وملبسه ومنكحه، ويقظته ومنامه وغير ذلك، كما كان أمير المؤمنين على (عليه الصلاة والسلام) كذلك، حيث وصفته السيدة الزهراء (عليها السلام) ههنا بقولها: (قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله))، وهي إحدى أهم فضائله (عليه السلام).

هذا إذا أريد ب- (قريباً) معنى القرب العملي، أى قريبا (في أعماله) أو (من حيث العمل) منه (صلى الله عليه وآله)، وأما إذا أريد ب- (قريبا): القرب النسبي أى (ذوقرابة) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فو أيضا بيان لإحدى فضائله (عليه الصلاة والسلام) حيث أن القريب يرث - بالمعنى الأعم والأخص (1) أيضا - قريبه إذا كان مؤهلا (2) للإرث ولم يكن ثمة مانع.

وقد ورد في الحديث: (لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته).

ويمكن أن يراد بكلمة (قريبا): الجامع بين كلا المعنيين فهما مصداقان لذلك الكلى.

وهل يستحب طلب القرابة النسبية أو السببية؟

يحتمل ذلك، قال (صلى الله عليه وآله): «كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي» (3).

ويحتمل أن يراد من قولها (عليها السلام): (قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)) أنه كان أمير المؤمنين على (عليه

ص: 122

1- الإرث بالمعنى الأخص: إرث الاموال، وبالمعنى الأعم: ارث العلم والمسؤولية، والاعتبار وما أشبه ذلك، كما قال (صلى الله عليه وآله) و

آله): «على أخى ووزيرى ووارثى ووصيى وخليفتى فى أمتى وولى كل مؤمن بعدى» التحصين لابن طاووس: ص 633.

2- أشار الإمام المصنف بقوله (إذا كان مؤهلا) إلى نكتة دقيقة وهى أن قوام الإرث بالمعنى الأخص: النسب، أما قوام الإرث بالمعنى

الأعم فهو: الأهلية وكما أن عدم توريث ذى النسب على خلاف القاعدة كذلك عدم توريث المؤهل على خلاف الحكمة، وحيث كانت

الأهلية منحصرة فى الإمام على (عليه السلام) كان توريثه هو المحتم لا محالة.

3- شواهد التنزيل: ج 1 ص 530 ح 564، وكشف اليقين: ص 192.

الصلاة والسلام) قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حروبه بل مطلقاً.

أو تعنى (عليها السلام) - كما سبق - أنه (عليه السلام) من أقرب أقرباء الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه ابن عمه بينما العباس لم يكن كذلك، لأن علياً (عليه السلام) أبويني، والعباس أبي فقط (1) وإذا كان المراد (الجامع) بين المعنيين، كان انحصار القرب فيه (عليه السلام) أجلى وأوضح.

قال تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» (2).

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً» (3) قال: «قرباة الرسول (صلى الله عليه وآله) وسيدهم أمير المؤمنين، أمروا بمودتهم فخالفوا ما أمروا به» (4).

وقد اعترفوا بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أول الناس في الإسلام سبقاً وأقرب الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) (5).

وفي حديث احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة قال (عليه السلام): «... فانشدك بالله، أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أنا» (6).

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: «وان القرابة التي أمر الله بصلتها وعظم من حقها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذين أوجب الله حقنا على كل مسلم» (7).

ص: 123

1- المناقب: ج 1 ص 261.

2- سورة الشورى: 23.

3- سورة النساء: 1.

4- المناقب: ج 4 ص 179.

5- راجع الفصول المختارة: ص 265 وفيه: «مر على بن أبي طالب على أبي بكر ومعه أصحابه فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً، وأقرب الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة فليتنظر إلى علي بن أبي طالب».

6- الخصال: ص 552.

7- تأويل الآيات: ص 531.

ذكر الفضائل

مسألة: سبق أن ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) فضيلة وعبادة، وهي من المستحبات النفسية، وبعض مصاديقه من الواجبات النفسية، فيستحب - وقد يجب - ذكر فضائله مطلقاً، فإن ما ذكرته (عليها الصلاة والسلام) إنما هو من باب المصداق لا من باب الحصر أو الخصوصية(2)، كما هو واضح، نعم ما ذكرته كان من المصاديق البارزة جداً في حياته (عليه الصلاة والسلام).

ولا يخفى أن الذكر اعم من اللفظ والكتابة والإشارة وما أشبه ذلك.

و(ولى الله) هو الذى يطيعه ولا يخالفه ويجتهد فى امتثال أوامره.

مقتضى السيادة المطلقة

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام) (سيدا في أولياء الله) أو (سيد أولياء الله) وجوب احترامه (عليه السلام) وتعظيمه والذب عنه واطاعة أوامره، فإن ذلك هو مقتضى (السيادة على الإطلاق)(3) بل مقتضى مطلق (السيادة) - فى الجملة -.

وقد كان (صلوات الله عليه) (سيدا على الإطلاق) واستفاد ذلك على تقدير كون النسخة (سيد أولياء الله) - بناء على قراءته بالنصب - واضحة، أما على تقدير كونها (سيدا فى أولياء الله) فالأمر كذلك بلحاظ السياق والمقام(4)، بل بلحاظ الجملة بذاتها إذ تعنى كان (عليه السلام) (فى أولياء الله سيدهم) كما هو المستفيد عرفاً عند إطلاق هذه الجملة كما فيما لو قلت (رسول الله صلى الله عليه وآله) سيد فى أنبياء الله).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «على سيد الأوصياء ووصى سيد الأنبياء»(5).

ص: 124

- 1- وفى نسخة: (سيد أولياء الله).
- 2- أى (الخصوصية) التى تجعل ذكر هذه الصفات مستحبة أو واجبة، دون غيرها.
- 3- أى (السيادة المطلقة) وهى أرفع أنواع السيادة.
- 4- الظاهر أن المراد به: مقام كونها (عليها السلام) فى صدد إثبات أحقيته بالخلافة، وهو ما ينسجم مع كونه السيد على الإطلاق، لا كونه مجرد أحد السادة، وهذه النقطة الهامة تجرى فى (مستراً ناصحاً..) وسائر الصفات أيضاً.
- 5- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 11 المجلس 3 ح 6.

وقال (صلى الله عليه وآله): «على سيد العرب.. والسيد من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا سيد النبيين وعلى سيد الوصيين وإن أوصيائي بعدى اثنا عشر أولهم على بن أبي طالب وآخرهم القائم»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا على أنت سيد هذه الأمة بعدى وأنت إمامها وخليفتي عليها، من فارقك فارقتى يوم القيامة ومن كان معك كان معى يوم القيامة»(4).

وعن سليم عن سلمان قال: «كان الحسين (عليه السلام) على فخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقبله ويقول: أنت السيد، ابن السيد، أبو السادة، أنت الإمام، ابن الإمام، أبو الأئمة، أنت الحجة، ابن الحجة، أبو الحجج، تسعة من صلبك وتاسعهم قائمهم»(5).

وعن أنس بن مالك قال: «بينما أنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الآن يدخل سيد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وأولى الناس بالنبيين، إذ طلع على بن أبي طالب»(6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أم سلمة اسمعى واشهدى، هذا على بن أبي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»(7).

الإخبار فى مقام الإنشاء

مسألة: ربما يقال: كما أن (يعيد صلاته) إخبار فى مقام الإنشاء، كذلك هذه الصفات المذكورة فى كلامها (عليها السلام) وصفا للإمام (عليه السلام) تعد إخبارا فى مقام الإنشاء، بفارق أن ذلك إنشاء

ص: 125

1- معانى الأخبار: ص 103.

2- الخصال: ص 561.

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 64.

4- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 303.

5- المناقب: ج 4 ص 70 - 71.

6- كشف الغمة: ج 1 ص 343.

7- كشف الغمة: ج 1 ص 400.

الأمر لمن وقع مخبراً عنه وهذا إنشاء الأمر لغير من وقع مخبراً عنه(1).

وربما يقال: باستفادة ذلك عرفاً في كل ما هو أمثال المقام(2) حيث إن قوام الإنشاء بالمقصد والمبرز وهما مما يرى العرف تحققهما في أمثال المقام نظراً للقرائن المقامية وإلا فمن الممكن القول بأن ذلك من البطون، فتأمل.

مشمراً ناصحاً

على أهبة الاستعداد

مسألة: يستحب أن يكون الإنسان مشمراً دائماً لأجل الله سبحانه، وهذا مما يستفاد من كلامها (عليها السلام) كما سبق، ومن الآيات والروايات بالدلالة المطابقة أو الالتزامية أو غيرها كقوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم»(3).

وقوله سبحانه: « فاستبقوا الخيرات»(4).

والتشهير: عبارة عن جمع الثياب من الرجلين واليدين كي لا تكن عائقاً عن الحركة، وهو كناية عن الاستعداد الدائم للتحرك والانطلاق في مختلف الأبعاد لاجل نصرته دين الله، دون عائق ومانع.

ثم إنه هل يعد من مصاديق التشهير ما جاء في بعض الروايات من (تخففوا تلحقوا) (5)؟

ص: 126

1- إذا المخبر عنه ب- (مشمراً ناصحاً..) وهو الإمام على (عليه السلام) والإنشاء هو بالنسبة لعامة الناس، أي يجب عليكم أن تعتقدوا بكونه (عليه السلام) سيّداً، الخ .

2- كما في (إياك اعنى و اسمعى يا جارة) حيث قد يكون الإخبار في مقام إنشاء التهديد مثلاً، كما يخاطب الحاكم جماعة ممن يخاف خروجهم عليه بإخبارهم عن قصص عقوبته لمن خرج عليه سابقاً، وكما تخاطب الكسول بذكر برنامج المجدين كأن تقول له: فلان من زملائك يستيقظ في الخامسة صباحاً ويطالع ويدرس حتى منتصف الليل، أي افعل أنت كذلك..

3- سورة آل عمران: 133.

4- سورة البقرة: 148 والمائدة: 48.

5- خصائص الأئمة: ص 112 وعدة الداعي: ص 115.

الظاهر ذلك، فيشمل إذن كل ما يعوق الإنسان عن الحركة ويسبب أن يكون كما قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل»(1).

ومن ذلك تملك الدور والعقار أكثر من الاحتياج، وكذلك القصور والرفاهية في العيش وشبه ذلك، ولذلك عاتب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أحد أصحابه بالبصرة وهو العلاء بن زياد الحارثي لما دخل عليه يعود، فلما رأى سعة داره قال: «ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة: تقرى فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة»(2).

وهكذا المخلصون لله والمجاهدون في سبيله (مشمرون أبداً) و(متخفون دائماً).

ويؤمى إليه ما ذكره التاريخ من قصة سلمان وأبي ذر ووقوفهما على الصخرة المحممة.

النصيحة لله

مسألة: يستحب النصح لله وقد يجب، فإن النصح واجب في مقام الوجوب ومستحب في مقام الاستحباب، وهو - في أحد معنیه - عبارة عن التوجيه إلى الخير بكل جد وإخلاص(3).

وحيث حُذِفَ (المتعلق) منه، فإنه يفيد كلا معنَي النصح، إذ النصح قد يكون للإنسان وقد يكون لأمر الله سبحانه وتعالى(4).

فيقال (نصحه) في الأول و(نصح له) في الثاني - غالباً -، ويمكن استفادة ذلك(5) بضميمة دليل الأسوة.

ص: 127

1- سورة التوبة: ص 38.

2- نهج البلاغة: الكلام: رقم 209.

3- قال في لسان العرب: (النصيحة كلمة واحدة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، ونصيحة عامة للمسلمين: ارشادهم إلى المصالح، والنصح تقيض الغش، مشتق منه: نصحه ونصح له وهو باللام أفصح).

4- قال في لسان العرب: (واصل النصح: الخلوص) ويقال: (نصحت له: أي أخلصت وصدقت) و(الناصح: الخالص من الغش وغيره).

5- أي وجوب أو استحباب النصح.

قال سبحانه: «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَجٌ إذا نصحوهم لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم»(1).

وقال تعالى: «وأنا لكم ناصح أمين»(2).

ف- (ناصحاً) أى لكم على الاحتمال الأول، أو (ناصحاً) أى لله على الاحتمال الثانى.

والنصح لله، أى خلوص النية والعمل له وخلوها من كل شرك ورياء وسمعة وما أشبه.

والنصح للناس: ارشادهم، وهو مشرب بمعنى الخلوص، أى إرشادهم إرشاداً غير مشوب بمصلحة أو غش أو خداع، أى إرشادهم خالصاً مخلصاً ويقصد الهداية لا غير.

قولها (عليها السلام): (مشمراً ناصحاً) أى أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان مشمراً ثيابه دائماً فى سبيل تقديم الإسلام إلى الأمام، والمراد به الجد والاهتمام والمضى والنفوذ، وكان مع ذلك ناصحاً وليس ككثير من الناس حيث يجدون ويكدحون لكنهم لا يريدون النصح(3) وإنما يريدون لانفسهم جاهاً ومالاً وعزةً ورفاهاً وما أشبه ذلك، أو أنهم يجدون ويكدحون لكن يمزجون ذلك بالغش والخداع، فالتشهير هو المظهر والنصح هو المخبر، وذاك فعل وهذا(4)صفة، وهذا واضح على المعنى الثانى للنصح(5) ومتضمنٌ فى المعنى الاول(6).

قال (عليه السلام): «ثلاثة لا يعذر المرء فيها: مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبب إلى الناس»(7).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اقبلوا نصيحة ناصح متيقظ وقفوا عندما أفادكم من

ص: 128

1- سورة التوبة: 91.

2- سورة الأعراف: 68.

3- كما سبق منه دام ظله قوله: (وهو مشرب بمعنى الخلوص).

4- أى النصح.

5- أى النصح لله.

6- أى النصح للناس و الهداية و الإرشاد لهم.

7- تحف العقول: ص 318.

التعليم»(1).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون إلى الله جميعاً فتعلمون»(2).

وقال (عليه السلام): «فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته»(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الموعظة نصيحة شافية»(4).

وقال (عليه السلام): «من أعرض عن نصيحة الناصح أحرق بمكيدة الكاشح»(5).

وقال (عليه السلام): «اتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله»(6).

وقال (عليه السلام): «ألا أن الفضائل عشرة: صدق الحديث، وصدق المودة، ونصيحة الناس...» الحديث(7).

وقال (عليه السلام): «وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغى إليه بسمعك...»(8).

وفى الزيارة: «السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الولي الناصح»(9).

وفى زيارة الإمام الحجة (عليه السلام): «اللهم صل على حجتك في أرضك... المرتقب الخائف والولي الناصح...»(10).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإياك والخلاف فان في ذلك العطب»(11).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادى الذي لا

ص:129

1- غرر الحكم: ص 225 ح 4573.

2- مشكاة الأنوار: ص 320 الفصل 7.

3- تحف العقول: ص 17.

4- غرر الحكم: ص 224 ح 4519.

5- غرر الحكم: ص 226 ح 4588.

6- إعلام الدين: ص 105.

7- معدن الجواهر: ص 70.

8- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 374 المجلس 59.

9- مصباح المتهجد: ص 723.

10- الاحتجاج: ص 494.

يضل والمحدث الذي لا يكذب»(1).

وقال (عليه السلام): «ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح»(2).

وقال (عليه السلام): «لا شفيق كالودود الناصح»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليك بعلى (عليه السلام) فإنه الهادي المهدي الناصح لأمتي، المحيي لستى وهو إمامكم بعدى»(4).

مجدا كادحا

الجد والكدح

الجد والكدح(5)

مسألة: يستحب التأكيد على الجدّ والكدح، وبيانها (عليها السلام) المطلب بعبارات قد يترانى أنها مترادفة للأهمية، ولكن: لا يخفى الفرق بين الجدّ والاجتهاد والكدّ والكدح، كما يعرف ذلك المتأمل في فقه اللغة، وكما هو شأن لغة العرب حيث إن اللفظ يتضمن دلالة لا توجد في اللفظ المشابه له وإن عبّر عنه بالمرادف.

وقد ألعنا في (الأصول) إلى أنه لا يوجد (ترادف) حقيقى في لغة العرب، فالأسد يطلق عليه: الأسد والهزبر والليث والضرغام وغير ذلك، كل واحد منها بلحاظ حالة من حالاته أو جهة من جهاته، وهكذا وهلمّ جزاً.

قولها (عليها السلام): (مجداً كادحاً) أى أن علياً أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان مجداً في أمر الله تعالى، في جهاده وحروبه وعبادته وسائر شؤونه كلها.

و(كادحاً): الكدح أشدّ التعب(6) قال سبحانه: «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى

ص:130

1- غرر الحكم: ص 111 ح 1973.

2- غرر الحكم: ص 416 ح 9503.

3- غرر الحكم: ص 416 ح 9507.

4- اليقين: ص 452.

5- الكدح: شدة السعى والحركة.

6- قال في لسان العرب: (الكدح: الاكتساب بمشقة) و (الكدح في اللغة: السعى والحرص الدؤوب في العمل في باب الدنيا وباب الآخرة) وقال في الميزان قال الراغب (الكدح: السعى والفناء) وقيل: (الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها)، وقال في تفسير التبيان: (الكدح: السعى الشديد في الأمر، يقال كدح الإنسان في أمره يكدح وفيه كدوح وخدوش: أى آثار من شدة السعى في الأمر).

ربك كدحا فملاقيه»(1).

يعنى: إن الإنسان فى أشد التعب و النصب إلى أن يلاقى ربه.

وفى الخطبة الشقشقية: «ويكدح فيها قلب المؤمن حتى يلقى به»(2).

وعلى أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان هكذا، غير أن الفرق أن الإنسان:

تارة: تحيط به المشاكل والهموم ويقع فى تعب ونصب بدون اختياره(3).

وتارة: يكدُّ ويكدح ويبدل قصارى جهده ويحمّل نفسه قصوى طاقاتها بملاً اختياره، وذلك فى سبيل الله عزوجل.

وثالثة: يكون ذلك كله، لكن لأجل لذة عابرة أو هوى متبع.

والآية الشريفة تشمل الأقسام الثلاثة تفسيراً، و القسم الثانى بلحاظ (إلى ربك)(4) أو أنه أجلى المصاديق وأكملها.

وفى أدعية شهر رمضان: «وارزقنا فى هذا الشهر الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط...»(5).

وفى دعاء كميل: «وهب لى الجد فى خشيتك»(6).

وقال (عليه السلام) «لا يدرك الحق إلا بالصدق والجد»(7).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لقد أخأ العال اللالى وأصاه ذو الاجتاد والجد»(8).

وقال (عليه السلام): «المؤمن يعاف اللهو ويألف الجد»(9).

ص: 131

1- سورة الانشقاق: 6.

2- نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

3- كمن يقع له حادث اصطدام، أو يسرق لص كل ثرواته، ومن قبل: كمشاكل الولادة وشبهها.

4- سورة الانشقاق: 6.

5- المقنعة: ص 336.

6- مصباح الكفعمى: ص 560.

7- دعائم الإسلام: ج 1 ص 391.

8- غرر الحكم: ص 60 ح 677 وص 66 ح 872.

9- غرر الحكم: ص 89 ح 1520.

وقال (عليه السلام): «طاعة الله لا يحوزها إلا من بذل الجهد واستفرغ الجهد»(1).

وقال (عليه السلام): «ان كنتم للنجاة طالبين فارفضوا الغفلة واللهو وألزموا الاجتهاد والجهد»(2).

وقال (عليه السلام): «ما أدرك المجد من فاته الجهد»(3).

وقال (عليه السلام): «اللهم يفسد عزائم الجهد»(4).

وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون

هل الرفاهية مذمومة؟

مسألة: هل يستفاد من كلامها (عليها السلام) أن الرفاهية والدعة والفكاهة والأمن مذمومة بما هي هي؟

الظاهر: لا، إذ من الواضح أن الذم لهذه الصفات بالعرض لا بالذات كما يفيد منحه الكلام ومصبه وسياقه، إذ أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) كان (مكدوداً.. مجتهداً.. مشتمراً...) والحال كنتم (أنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون) فكون الجملة حالية، ولحوقها ب- (تترصبون بنا الدوائر) خير شاهد على ذلك.

وبعبارة أخرى، الإشكال على القوم هو: أنكم مع كون الإسلام في خطر رهيب، والرسول (صلى الله عليه وآله) في صراع مرير، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مواجهة صعبة، لكنكم كنتم تعيشون وادعين فاكهين آمنين!

بل الأدلة العامة والخاصة تدل على مطلوبية الأمن، وعدم كراهة الرفاهية والدعة - ولو في الجملة - قال تعالى: «فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف»(5).

ص: 132

1- غرر الحكم: ص 184 ح 3480.

2- غرر الحكم: ص 266 ح 5749.

3- غرر الحكم: ص 443 ح 10120.

4- غرر الحكم: ص 461 ح 10550.

5- سورة قريش: 3 - 4.

وقال سبحانه: «وليبذلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»(1).

وقال عز وجل: «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق»(2).

مواصلة الشعب للقائد

مسألتان: كما يذم العقلاء ويحكم العقل بقبح أن يعيش الأب في راحة ودعة وهناء وأبناؤه في خوف وقلق ومشاكل وهو لا يمد لهم يد العون ولا يشاركهم جشوبة العيش، كذلك العكس، فإنه أيضاً قبيح ومذموم.

وكما يكره(3) - عقلاً وعرفاً - أن يعيش القائد في بحبوحه من العيش وشعبه يتضور جوعاً، أو يعيش آمناً وشعبه وجيل خائف، كذلك العكس بأن يلقي الشعب كل العبء على كاهل الدولة أو القائد، لينصرف إلى حياته اليومية وملذاته الجسدية.

وربما كان ذلك بين محرّم و مكروه.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»(4).

وكلامها (صلوات الله عليها) إشارة إلى الصورة الثانية كما لا يخفى.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في حث قومه على المسير إلى الشام لقتال معاوية:

«اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فان الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وان الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاغياً في دين الله عز وجل وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس فجتتموني راغبين إلى في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني... فبسطت لكم يدي يا معشر المسلمين وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون يا احسان فأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على النبيين من عهد وميثاق لتقرن لي

ص: 133

1- سورة النور: 55.

2- سورة الأعراف: 32.

3- الكراهة هنا بمعناها اللغوي.

4- ارشاد القلوب: ص 214، وفي نهج البلاغة أيضاً.

ولتسمعن لأمرى ولتطيعونى وتناصحونى وتقاتلون معى كل باغ على أو مارق إن مرق... فاتقوا الله أيها المسلمون وتحاثوا على جهاد معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين الناكثين واسمعوا ما اتلوا عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا فانه والله ابليغ عظة لكم فانفعوا بموعظة الله وازدجروا عن معاصى الله فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه (صلى الله عليه وآله) «ألم تر إلى الملاء من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله، قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين»⁽¹⁾ اتقوا الله عباد الله وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لى منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعونى وإذا استهضتكم نهضوا معى لاستغنيت بهم عن كثير منكم»⁽²⁾.

ومن كلامه (عليه السلام) ما اشتمل على التويخ لأصحابه على تناقلهم عن قتال معاوية: «أيها الناس انى استنفرتكم لجهاد هؤلاء فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تجيوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا شهوداً بالغيب، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها... وأحثكم على جهاد أهل الجور فما أتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين أيادى سبا ترجعون إلى مجالسكم تتربعون حلقة تضربون الأمثال وتشدون الأشعار وتجسسون الأخبار... ونسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالي والأضاليل، فالعجب كل العجب، وكيف لا أعجب عن اجتماع قوم على باطلهم وتخاذلكم عن حقكم... إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصى الله وهم يطيعونه»⁽³⁾.

وبشكل عام فان عدم مشاطرة الشعب للقائد والدولة همومها وغمومها، قد يكون لنقص فى الشعب، وقد يكون لنقص فى القائد (كما فى الحاكم المستبد الجائر) وقد يكون فى الاثنين معاً.

ص: 134

1- سورة البقرة: 246.

2- الاحتجاج: ص 172 - 173.

3- الاحتجاج: ص 174.

ولا ريب إن كلام السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها من الشق الأول كما هو أوضح من أن يخفى (1).

ولهذه الأقسام الثلاثة مباحث كثيرة ذكرناها في الفقه (2).

قولها (عليها السلام): (وأنتم في رفاهية من العيش)، إذ الغالب انهم كانوا لا يعملون عمل أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) من الجد والاجتهاد والكدح ونحو ذلك، بل يعيشون عيشة رفاه حقيقى أو نسى، ولعلّ السيدة الزهراء (عليها السلام) كانت تقصد أولئك الذين سيطروا على الأمور وقد كان همّهم لذات الحياة ورفاهية العيش.

وإلا فلا شك أن كثيرا من المسلمين أيضا كانوا يجتهدون ويجاهدون، وإن كانت النسبة بين جهادهم وجهودهم وجهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجهوده كنسبة الثرى إلى الثرى بل أكثر، وكأن كلامها تعريض بهم في قبال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

فهل يصلح للخلافة من كان (في رفاهية من العيش فكهاً آمناً وادعاً) وهو يرى الأخطار تحيط بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن كل حذب و صوب.

وهل يصلح لرعاية الأمة ودرء الأخطاء عنها من كان في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) كذلك؟

أو ليس الأمر متعينا في الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو الوحيد الذى انطبقت عليه تلك الصفات وفي أعلى الدرجات.

قال تعالى: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» (3).

وقال سبحانه: «وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا

ص: 135

1- فإن عدم مشاطرة الكثيرين للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في تحمل مشاكل الجهاد، يعود الى وساوس الشيطان أو الركون إلى الدنيا أو حب النفس أو الجبن أو الحقد والحسد أو شبه ذلك عند المتخاذلين والمنافقين.

2- راجع (الفقه: السياسة) و(الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: الدولة الإسلامية) وغيرها مما تطرقت لمباحث الدكتاتورية والديمقراطية والتعددية والشورى وما أشبه.

3- سورة التوبة: 81.

الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين»(1).

وقال عز وجل: «لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة...»(2).

قولها (عليها السلام): (وادعون فاكهون)، أى: هم فى دعة وفراغ بال فيتفكهون بالأحاديث وأنواع الأطعمة وغيرها.

(آمنون) من الخطر والخوف، لأن الذى لا يحارب الأعداء يأمن منهم عادة، فإذا غلبه المسلمون فهم مع الغالبين، وإذا غلب المسلمون فالأعداء قد لا يضر ونهم لأنهم لم يكونوا من المحاربين(3) وحتى لو اشتركوا فى الحروب فإن مشاركتهم هامشية ولم تكن عن جد وواقعية، بل كانت لبعضهم صداقات مع الكفار وعلاقات أو عهود ومواثيق كما هو مذكور فى التواريخ.

ص: 136

1- سورة التوبة: 86.

2- سورة التوبة: 42.

3- قال تعالى: « إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون » . سورة التوبة: 50.

أقوى من الملامة

مسألة: الواجب على القائد أن لا يصدّه عن العمل بالحق لوم اللائمين، فلا تأخذه في الله لومة لائم، كما ورد بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) وجدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فإنه إذا كان على العكس من ذلك انحرف عن الطريق، وكل انحراف عن طريق الله سبحانه وتعالى ولو بمقدار شعرة يجزّ إلى مشاكل دنيوية قبل المشاكل الأخروية، فإن الله عزوجل جعل قوانينه في التشريع مثل قوانينه في التكوين، فكما أن كل انحراف عن قوانين الله التكوينية يوجب عطبا وخبالا ويجر إلى مآسى وويلات، كل بقدره، كذلك كل انحراف عن القوانين التشريعية يوجب ذلك، حتى وإن لم يظهر أثره فوراً، فإن الأعمال كالبدور والنوى تظهر نتائجها بعد مدّة قريبة أو بعيدة.

قال تعالى: «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»(1).

وعن محمد بن أبي عمير قال: «ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام (عليه السلام) ... - إلى أن قال: - فإن الله عزوجل قد فرض عليه (أى على الإمام) إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم»(2).

وعن أبي ذر (رحمة الله) قال: «أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبع... وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لا تخف في الله لومة لائم»(4).

وقال على (عليه السلام) في وصيته لابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام): «أوصيكما بتقوى الله... ولا

ص: 137

1- سورة المائدة: 54.

2- الخصال: ص 215، وجوه الذنوب أربعة، ح 35.

3- الخصال: 345، أوصى رسول الله أبا ذر بسبع، ح 12.

4- معاني الأخبار: ص 335.

تأخذكما في الله لومة لائم»(1).

ثم إنه على القائد أن يجعل رضى الله هو المقياس لا- كلام الناس وتقييمهم ولومهم وعتابهم، وعليه أن يكون أقوى من (الملامة) لا مستسلما لها.

قال تعالى: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير»(2).

وقال سبحانه: «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد»(3).

وقال تعالى: «أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير»(4).

وقال سبحانه: «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم»(5).

وعن الإمام الصادق عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال: «ان رجلاً من أهل الكوفة كتب إلى أبى الحسين بن على (عليه السلام) يا سيدى أخبرنى بخير الدنيا والآخرة، فكتب (عليه السلام):

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فان من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام»(6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من طلب رضى مخلوق بسخط الخالق، سلط الله عزوجل عليه ذلك المخلوق»(7).

ص: 138

1- كشف الغمة: ج 1 ص 431.

2- سورة البقرة: 120.

3- سورة البقرة: 207.

4- سورة آل عمران: 162.

5- سورة محمد: 28.

6- الاختصاص: ص 225.

7- تحف العقول: ص 52.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما أعظم وزر من طلب رضى المخلوقين بسخط الخالق»(1).

وقال (عليه السلام): «من أَرْضَى الخالق لم يبال بسخط المخلوق»(2).

وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «إن من اليقين ألا ترضوا الناس بسخط الله عزوجل»(3).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أَرْضَى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله»(4).

وإطلاق كلامها (عليها السلام) يشمل الملامة على الالتزام بالواجبات (كالجهاد والعدل وإنصاف الناس من النفس) وترك المحرمات (كموادة من حارب الله، ومداهنتهم، والرشوة و..).

ثم إن الملامة قد توجه للإنسان لالتزامه بمكارم الأخلاق، كسعة الصدر، والإغضاء عن السيئة، والعفو عند المقدرة، والإيثار، وانهاك البدن في طاعة الله، وفي قضاء حوائج الناس و.. كما لا يخفى.

والقائد - بل مطلق المؤمن - عليه أن لا يصدّه عن كل ذلك لوم اللائمين وعتابهم، فإن إحراز رضى الخالق جل وعلا أولى من إحراز رضى المخلوق، ولوم العاجلة أهون من لوم الآخرة.

ولقد عدّت السيدة الزهراء (عليها السلام) هذه الصفة في طليعة السمات البارزة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه كان الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم بشكل مطلق، وفى كل الازمنة، وبالنسبة لمختلف الأفراد، وفى مختلف الحالات، وفى مؤازرته للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فى أشد الظروف، فى مكة و المدينة، وفى تعامله مع أخيه عقيل (عليه السلام) ومساواته فى العطاء.

وفى قوله (عليه السلام): «أنا فقئت عين الفتنة وما كان أحد ليجتري عليها غيرى»(5) و.. و.. أكبر شاهد ودليل.

ص: 139

1- غرر الحكم: ص 482 ح 11130.

2- التوحيد: ص 60.

3- الأموال للشيخ المفيد: ص 284 المجلس 34 ح 2.

4- تنبيه الخواطر: ج 2 ص 163 وص 210.

5- كتاب سليم بن قيس: ص 156 وراجع أيضاً المناقب: ج 2 ص 144.

والجدير بالذكر أن الذى يسبب (أن لا تأخذ الإنسان فى الله لومة لائم) هو: الإيمان والشجاعة والإخلاص لله، وكلما كانت درجتها أشد كان أقرب إلى المطلق فى عدم الاعتناء بالملامة، وقد كانت القمة فى الإمام (عليه السلام) .

تربصون بنا الدوائر

تربص الدوائر بالمؤمنين

مسألة: تربص الدوائر بالمؤمن - فكيف بأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) - محرّم إن اقترن بالفعل الخارجى، وإن اقتصر على الحالة النفسية، فإن استلزم سلب الإيمان والاعتقاد، كان حراماً طريقياً بالنسبة إلى غير المعصومين (عليهم السلام)، ومحرّم نفسى بالنسبة لهم (عليهم السلام) .

وقد يقال: بحرمة مطلق تربص دائرة السوء بالنسبة لمطلق المؤمنين، بل سيأتى إن (الرضى) بظلم المؤمن حرام فكيف بتربص ذلك به.

من الواضح أن خطابها (عليها السلام) فى هذه الجملة وأشباهاها موجّه إلى جماعة من الصحابة لا إلى جميعهم لوجود بعضهم المخلصين فى أصحاب النبى (صلى الله عليه وآله) وكأنها ذكرت هذا الجمل تمهيداً لما تريد أن تقوله من انفضاضهم عن أهل البيت (عليهم السلام) بعد ذلك وغضبهم الخلافة والسلطة وفدك وغير ذلك.

فعن أبى جعفر (عليه السلام) قال فى تفسير قوله تعالى: «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرکم باللّه الغرور»(1).

قال: «أما انها نزلت فىنا وفى شيعتنا وفى الكفار، أما انه إذا كان يوم القيامة وحبس الخلائق فى طريق المحشر ضرب الله سوراً من ظلمة فيه باب باطنه فيه الرحمة يعنى النور، وظاهره من قبله العذاب، يعنى الظلمة، فيصيرنا الله وشيعتنا فى باطن السور الذى فيه الرحمة والنور ويصير عدونا والكفار فى ظاهر السور الذى فيه الظلمة، فيناديكم عدونا وعدوكم من

ص:140

الباب الذى فى السور من ظاهره: ألم تكن معكم فى الدنيا، نبينا ونبىكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجنا وحجكم واحد، قال: فيناديهم الملك من عند الله: بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم بعد نبىكم ثم توليتم وتركتم اتباع من أمركم به نبىكم وتربصتم به الدوائر وارتبتم فيما قال فيه نبىكم وغرتمكم الأمانى...»(1).

قولها (عليها السلام): (تربصون بنا الدوائر) التربص: بمعنى الانتظار(2).

والدوائر عبارة عن صروف الزمان وحوادث الأيام والشدائد، لأن الزمان له حالة دورانية أخذاً من دوران الفلك(3).

والتاريخ أيضاً له حالة دورانية ولو فى الجملة(4).

أى: كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا وزوال النعمة عنا، وأن ينتصر الكفار وينهزم المسلمون، لأن كثيراً منهم كانوا كذلك حقداً على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وحسداً، أو لأن ثقل الجهاد - بما يستلزم من تضحيات وهجرة وقلق وخوف وعدم استقرار نفسى واقتصادى و.. - يؤذيهم.

وهكذا حال كثير من المجاهدين على مرّ العصور حيث إنهم فى الظاهر يجاهدون، ولكنهم فى الباطن يريدون التخلص من الجهاد وتبعاته، كما يرجعوا إلى حالتهم العادية ويعيشوا هادئين مطمئنين فى بلدتهم وفى أحضان أسرهم.

ص: 141

1- تأويل الآيات: ص 636 سورة الحديد.

2- قال فى لسان العرب (التربص: الانتظار) و(تربص به أى انتظر به خيراً أو شراً).

3- الزمان - حسب أحد الأقوال - هو مقدار حركة الفلك، فالليل والنهار ينجمان عن حركة الأرض حول نفسها، والشهر من حركة القمر حول الأرض، والسنة من حركة الأرض حول الشمس.

4- راجع (الفقه: الاجتماع) و(الفقه: المستقبل) للإمام المؤلف.

التجسس والتحسس والتوكف

مسائل: هنالك ثلاثة عناوين: التجسس و التحسس وتوكف الأخبار.

فالتجسس على الرعية - من قبل الدولة - حرام.

وتجسس المؤمن على المؤمن حرام.

نعم يجوز التجسس على الكفار الحريين لأجل صدّ تعديهم وبغيهم، كما يجوز التجسس على المسؤولين من قبل الدولة كي لا يظلموا الرعية كذلك (2).

قال تعالى: «ولا تجسسوا» (3).

وقال في كشف الريبة: «ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان اسلم لقلبك ودينك» (4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا معشر من آمن بلسانه ولم يصل الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المؤمنين ولا تذموا المسلمين، فانه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته، فضحه في جوف بيته» (5).

أما التحسس بشكل مطلق (6)، فقد يكون راجحاً كما هو في قوله تعالى عن لسان يعقوب (عليه السلام): «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» (7).

ص: 142

1- وفي بعض النسخ: (تتواكفون الأخبار).

2- راجع (الفقه: الدولة الإسلامية) و(إذا قام الإسلام في العراق) للإمام المؤلف.

3- سورة الحجرات: 12.

4- كشف الريبة: 23.

5- الأمالى للشيخ المفيد: ص 141 المجلس 17 ح 8.

6- أى في غير هذا المقام.

7- سورة يوسف: 87.

وأما توكلف الأخبار، والمراد به فى أشباه المقام: انتظار وتوقع الأخبار السلبية ضد المؤمنين، فإنه مذموم وقد يكون حراماً كما لا يخفى، وفى غير أشباه المقام جائز بالمعنى الأعم.

ولو اقترن التوكف والتوقع والترصد للأخبار السلبية ضد المؤمنين بما يقترن به عادة، من العمل بمجرد سماع الخبر على إشاعته ونشره، مما يسبب ضعف جبهة المؤمنين وإضعاف معنوياتهم والشد من أزر الكافرين والأعداء، فإنه بهذه الجهة محرم.

قولها (عليها السلام): (وتتوكفون الأخبار) التوكف عبارة عن التوقع، والمراد: أنهم كانوا يجلسون فى بيوتهم⁽¹⁾ ويتوقعون وصول أنباء وأخبار المحن والفتن والمصائب على النبى وآل النبى (صلوات الله عليهم أجمعين) والمؤمنين المخلصين، كما تشير إلى ذلك جملة من آيات سورة التوبة⁽²⁾ والسور الأخرى أيضاً، والتواريخ مليئة بالقصص والشواهد على ذلك.

وكلامها (عليها السلام) يكشف عن أنهم كانوا بعيدين عن التصدى والانسياق مع حركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن العمل والجهاد والاجتهاد بل كانوا بمعزل عن كل ذلك، وهم - إلى جوار كل ذلك - (يتوكفون الأخبار) وينتظرون ويتوقعون ويتصيدون الأخبار السلبية.

والجدير بالذكر أن سورة التوبة هى من تلك السور السياسية التى تبين نوعاً ما، ما عاناه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) والمخلصون من أيدى ضعفاء الإيمان ومن أيدى المنافقين.

وتتكصون عند الزال

الإحجام عن المعركة

مسألة: يحرم النكوص عند النزال، وقد كان كثير من ضعفاء الإيمان والمنافقين يتشاقلون عن الجهاد ويتراجعون عن الحرب.

ص: 143

1- كناية عن مطلق عدم مشاركتهم فى المعامع.

2- كقوله تعالى: « قل هل تریصون بنا إلا إحدی الحسنین ونحن نتریص بكم ان یصیبکم الله بعذاب من عنده أو بأیدینا فتریصوا انا معكم متریصون ». سورة التوبة: 52.

قولها (عليها السلام): (وتتكصون عند النزال) أى تحجمون عن الإقدام فى الحروب، ونكص بمعنى أحجم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا لقيتم عدوكم فى الحرب فاقلوا الكلام واكثروا ذكر الله عزوجل ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله ربكم وتستوجبوا غضبه»(1).

وقال (عليه السلام): «أيها الناس إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا... نسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالي والأبطال»(2).

وقال (عليه السلام): «معالجة النزال تظهر شجاعة الأبطال»(3).

و(النزال) المصطلح من باب المصداق، إذ إن كل نكوص وتراجع وإحجام عن أى (نزال) بين جبهة الحق وجبهة الباطل فى أى بعد من الأبعاد السياسية والثقافية وما أشبه - كالعسكرية - مذموم ومحرم فيما إذا لم يقم به من فيه الكفاية، فى غير ما يعلم عدم حرمة ولو من باب العنوان والمحصل، فليدقق.

قال تعالى: «قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون»(4).

من حقوق المعارضة

مسألة: استنادا إلى قولها (عليها السلام) وفعلها، وكلاهما حجة، يجوز - بالمعنى الأعم - للمعارضة فضح الأكثرية أو شبهها فيما إذا جارت فى الحكم أو عدلت عن الصواب، كما يجوز فضح المتصدين للحكومة والرئاسة، بذكر دوافعهم الحقيقية للقرار المتخذ، والتنويه إلى مواقفهم وضلالاتهم الماضية، باعتبار أنها تكشف مخطئهم الحالى والمستقبلى.

بل بما هى هى، كى لا يتخذوا أسوة وقدوة - وهى على هذين من طرق النهى عن المنكر -.

بل لمجرد أن يتحقق تميز الحق من الباطل، والخبيث من الصالح كما قال عزوجل: «ليميز

ص:144

1- الخصال: ص 617.

2- الإرشاد: ج 1 ص 278.

3- غرر الحكم: ص 445 ح 10176.

4- سورة المؤمنون: 66.

الله الخبيث من الطيب»(1).

أو لمجرد التظلم حيث قال تعالى: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم»(2).

ويجوز - بالمعنى الأعم - (فضحهم) عبر شتى وسائل الإعلام من الصحف والجرائد والراديو والتلفزيون وعلى رؤوس الأشهاد.

ولذلك نجدها (عليها الصلاة والسلام) تستعرض مواقفهم السابقة، وحالاتهم الماضية وأسلوبهم على رؤوس الأشهاد والى يوم القيامة: (وانتم فى رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتكصون عند النزال..).

وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدى فاطهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية، وناهبوهم كيلا يطمعوا فى الفساد فى الإسلام وتحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات فى الآخرة»(3).

وقد قال (عليه السلام): «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»(4).

وتقرون من القتال

الفرار من الزحف

مسألة: يحرم الفرار من القتال، فإن الفرار من الزحف من أشد الكبائر ومن الموبقات كما ورد فى مستفيض الروايات.

وذلك غير الفرار لأجل إقامة الحق، أما فيه فقد يكون واجباً - على ما سيأتى - كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى موسى (عليه الصلاة والسلام): «ففررت منكم لَمَّا

ص: 145

1- سورة الأنفال: 37.

2- سورة النساء: 148.

3- تنبيه الخواطر: ج 2 ص 162.

4- غرر الحكم: ص 483 ح 11144.

خفتكم»(1).

وكما فى فرار الرسول الأعمظم (صلى الله عليه وآله) من محاولة اغتياله ليلة المبيت وهجرته إلى المدينة، قال أمير المؤمنين على (عليه السلام): «ولى بمحمد (صلى الله عليه وآله) أسوة حين فر من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامنى على فراشه...»(2).

وقال (عليه السلام): «الفرار فى وقته ظفر»(3).

وقال (عليه السلام): «فروا كل الفرار من اللئيم الأحمق»(4).

وقال (عليه السلام): «فروا كل الفرار من الفاجر الفاسق»(5).

وقال (عليه السلام): «الفرار فى أوانه يعدل الظفر فى زمانه»(6).

وكما فى قول الشاعر:

(خرج الحسين من المدينة خائفا كخرج موسى خائفا يترقب)

فالفرار قد يكون من الزحف وهو حرام «إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة»(7).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الكبائر سبع فىنا نزلت ومنا استحلت فأولها الشرك بالله العظيم وقتل النفس التى حرم الله قتلها وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين وقذف المحصنة والفرار من الزحف وإنكار حقنا...» الحديث (8).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الفرار أحد الذلین»(9).

وقال (عليه السلام): «استحيوا من الفرار فانه عار فى الأعقاب ونار يوم الحساب»(10).

ص: 146

1- سورة الشعراء: 21.

2- علل الشرائع: ص 149 ح 7 ب 121.

3- غوالى اللئالى: ج 1 ص 290.

4- غرر الحكم: ص 261 ح 5598.

5- غرر الحكم: ص 462 ح 10601.

6- غرر الحكم: ص 333 ح 7679.

7- سورة الأنفال: 16.

8- علل الشرائع: ص 474 ب 223 ح 1 باب العلة التى من أجلها أوجب الله على أهل الكبائر النار.

9- غرر الحكم: ص 333 ح 7675.

10- غرر الحكم: ص 333 ح 7676.

وقال الأشر في حرب صفين: «فان الفرار من الزحف فيه سلب العز والغلبة على الفيء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة»(1).

وقد يكون الفرار في غيره، كما في التآمر على المصلح لقتله غدرا وغيلة فيجب عليه هنا الفرار.

والجامع أن (الفرار) قد يكون خوفاً وجبنا، وقد يكون حكمة ومصلحة، فإن انسحاب أى قائد من المعركة إذا رآها غير متكافئة حفاظاً على جيشه كى يعد العدة لمعركة أخرى بشرايط افضل، هو من الحكمة ويشمله ملاك «إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة»(2).

مع وضوح أن الآية الكريمة تشير إلى الفارين من المعركة رغم قرار القيادة بالاستمرار فيها، ولا يحق للفرد هنا أن يعلل انسحابه بالمصلحة مع وجود الأمر من القيادة بالمواصلة وإلا لزم الهرج والمرج وغير ذلك من المحاذير وتفصيل البحث في محله(3).

وفى تبكيته (عليها السلام) المسلمين بفرارهم من القتال - (وهو أسوأ أنواع الفرار إذ كان فرارا من الزحف جبنا، أو لعدم الاعتقاد بها أولاً، وكان على خلاف أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) الصريح بالاستمرار ثانياً، وكان يشكل خطراً على حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بنفسه ثالثاً، وعلى الإسلام ككل رابعاً، لذلك كان فرارهم من اعظم الكبائر) - إشارة لطيفة ودقيقة إلى انه كيف يصلح هكذا أناس للخلافة(4)؟ أو لترشيح شخص للخلافة؟ حتى مع قطع النظر عن وجود نص الهى بتعيين الخليفة فرضاً؟، ثم كيف يؤمن عليها من كان دأبه التفريط بها؟

قولها (عليها السلام): (وتفرون عند القتال) والفرق بين هذا وبين سابقه: أن (النوص) معاه الرجوع من منتصف الطريق، كما حدث فى خيبر، وغزوة ذات السلاسل وغيرهما(5).

ص: 147

1- وقعة صفين: ص 255.

2- سورة الأنفال: 16.

3- راجع موسوعة الفقه: ج 47 - 48 كتاب الجهاد، وقد تطرق الإمام الشيرازى إلى مسألة إطاعة القائد ولزوم الهرج والمرج فى عدم طاعته فى كتاب (الفقه: المرور) فراجع.

4- انظر الفصول المختارة: ص 121.

5- راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم ج 12) للإمام المؤلف.

والنزول وإن كان يطلق على الحرب توسعا لكنه - دقة - قد يكون مرحلة ما قبل الحرب لان هذا ينزل إلى الميدان وذلك ينزل أيضا (1) فتأمل.

الإرشاد للنواقص

مسألة: يستحب بيان نواقص الفرد والأمة لهدف الإصلاح... مع حفظ الموازين الإسلامية، سواء كانت نواقص قصورية أو نقصية، وقد يجب ذلك لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الضال وتنبية الغافل، كل حسب الموازين الفقهية المذكورة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبهه.

وفي الصحيفة السجادية: «وامنحني حسن الإرشاد» (2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا عبيد الدنيا والعاملين لها، إذا كنتم في النهار تبيعون وتشترون، وفي الليل على فروشكم تتقلبون وتسامون، وفيما بين ذلك عن الآخرة تغفلون وبالعامل تسوفون، فمتى تفكرون في الإرشاد، ومتى تقدمون الزاد ومتى تهتمون بأمر المعاد» (3).

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام): «ثم حق رعيتهك بالعلم فان الجاهل رعية العالم» (4).

ووجوب بيان النقص القصورى - والحيلولة دون تحققه - في بعض أقسامه، إما لانطباق عنوان (المنكر) عليه عرفا ولبا (5)، وأما لكونه مما علم من الشرع إرادة عدم تحققه في الخارج، فكما أن الطبيب عليه أن يبين للمريض مرضه وعلاجه، وكما على المريض أن يستجيب، كذلك على كل واحد من المصلحين - بل على الكل ممن اجتمعت فيه الشرائط - أن يبين للناس مرضهم وعلاجهم، وعليهم التقبل والاستجابة لا العناد والمقاطعة.

معاينة القائد والامة

ص: 148

- 1- فكان كل طرف ينزل عن ابله أو فرسه ليتقاتلا.
- 2- الصحيفة السجادية: ص 108 ومن دعائه في مكارم الأخلاق.
- 3- غرر الحكم: ص 145 ح 2630.
- 4- الخصال: ص 564.
- 5- فلو شاهدنا شخصا يحاول قتل نفس محترمة جهلا منه بذلك حيث تصور أنه كافر حربى مثلا، وجب علينا إلفاته إليه أو الحيلولة دون ذلك، وهذا القتل (منكر) عرفاً وحقيقةً وإن لم يلتفت الفاعل على ذلك.

مسألة: يجوز للقائد أن يعاتب الأمة، وللأمة أيضاً معاتبة القائد، وكذلك عتاب الفرد أو الجماعة كالحزب والجمعية والهيئة وما أشبه ذلك.

والجواز هنا بالمعنى الأعم، من الوجوب والاستحباب، كل في مورده، وإن استلزم ذلك إيذاء بعضهم أو جلهم أو كلهم - مراعيًا الموازين الشرعية -، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وإن استلزم ذلك في الجملة (1).

هذا إذا كان العتاب من مصاديقهما، وإن لم يكن كذلك فإنه جائز إن كان مما بنى عليه الطرفان - ولو ارتكازا - كما في كثير من الحقوق التي يسقطها أصحابها من باب التواضع (2) والتقابل، وإن لم يكن كذلك أيضا فلا دليل على حرمة مطلقا إذ لا دليل على حرمة حتى هذه المرتبة من الإيذاء في هكذا موارد، نعم البالغ منه لا يجوز.

ثم (العتاب) قد يكون مستحبا وإن لم يكن من مصاديق الأمر والنهي المستحبين (3) لوقوعه مقدمة وطريقا إلى أشباه ما ذكرته الرواية الشريفة: (العتاب حياة المودة) (4).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «العتاب مفتاح المقال والعتاب خير من الحق» (5).

وقد يكون العتاب أو كثرته مكروها، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا تكثرن العتاب فإنه يورث الضغينة» (6).

وقال (عليه السلام): «كثرة العقاب تؤذن بالارتباب» (7).

وقال (عليه السلام): «لا تعاتب الجاهل فيمقتك وعاتب العاقل يحبك» (8).

وأما الفرار فهو فرارهم عند القتال كما حصل في (أحد) وكما حصل في (حنين) وفي

ص: 149

1- كما أن الجهاد واجب وإن استلزم إيذاء عوائل المحاربين البغاة مثلاً، ممن لم يكنّ على رأى أزواجهن، وذلك لحكومة أدلة الجهاد والأمر والنهي على أدلة النهي عن الإيذاء، وللأهم والمهم، ولورودها في موردها.

2- المراد ب- (التواضع) التبانى.

3- وهما المتعلقان بالمستحب والمكروه، كأن يعاتبه على النوم بين الطلوعين أو على ترك صلاة الليل.

4- غرر الحكم: ص 414 ح 9465.

5- أعلام الدين: ص 311.

6- غرر الحكم: ص 479 ح 11007.

7- غرر الحكم: ص 479 ح 11005.

8- غرر الحكم: ص 74 ح 1131.

غيرهما(1).

فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفياه

تكاملية الدنيا والآخرة

مسألة: يلزم النظر إلى معادلة الدنيا والآخرة بلحاظ أنها مراحل في مسار التكامل، فكما أن الدنيا بالنسبة لمرحلة (الكون في الأرحام) مرحلة متقدمة ومسيرة تكاملية، كذلك الآخرة بالنسبة للدنيا(2)، قال تعالى: «وإن الدار الآخرة لهى الحيوان»(3).

وهذا بالنسبة لأولياء الله الصالحين، فكيف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو سيد الخلائق أجمعين.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تشير بقولها (اختار الله لنبيه..)(4) إلى حقيقة هامة هي ان قبضه (صلى الله عليه وآله) إلى ربه كان خيرا له، فانه سير له (صلى الله عليه وآله) إلى ربه، وتكامل، وراحة (فمحمد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة قد حف بالملائكة الأبرار رضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار)(5).

وإن كان ذلك بالقياس إلى الأمة خسارة وضررا كبيرا.

ففى تعبيرها (عليها السلام) ب- (اختار) إلفات إلى هذا الأمر، فقد استخلصه الله لنفسه، واصطفاه لرحمته، وأنقذه من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن سجن المادة إلى عالم الملكوت، ومن أمواج الفتن واثقال الرزايا والمحن إلى فسيح جنانه، وانقذه (منكم) بما أضمرتم وأظهرتم من

ص: 150

1- راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم ج12) للإمام المؤلف.

2- لهذا المبحث ذيل عريض فى المباحث الفلسفية وشبهها فى (قوس الصعود و النزول) وكيف تكون التكاملية التكوينية حتى بالنسبة لغير المؤمن، وقد تطرق الإمام المؤلف إلى جوانب من هذا المبحث فى كتابه (العقائد) و(شرح منظومة السبزواري) وفى الفقه بالمناسبة.

3- سورة العنكبوت: 64.

4- اختار إما بمعنى خار (افتعل بمعنى فعل) وعلى هذا ف-: خار الله له فى الأمر: جعل له فيه الخير، وأما بمعنى الطلب: فاختر له كذا أى طلب له الخير فى كذا. ويأتى بمعنى الانتقاء والاصطفاء والذخر أيضاً.

5- انظر ما سبق من خطبتها (عليها السلام) .

تخاذل وتواكل وعداء، وبقينا نحن أهل بيته نواجه فيكم كل أحقادكم و ضغائنكم.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى حقيقة إيدائهم للرسول (صلى الله عليه وآله) في آيات كثيرة، منها:

وقوله تعالى: «لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور»(1).

وقوله سبحانه: «ومنهم من يلزمك في الصدقات»(2).

وقوله تعالى: «ومنهم الذين يؤذون النبي»(3).

وقوله سبحانه: «ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم»(4).

وقوله تعالى: «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله»(5).

وقوله عز وجل: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»(6).

الإحياء والإماتة بيد الله

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الإحياء والإماتة بيد الله تعالى لا غيره، فإن الإماتة والإحياء انما هما باختيار الله سبحانه وتعالى، من غير مدخلة اختيار الإنسان إلا بالنسبة إلى بعض المقدمات في الجملة، واختيارية تلك المقدمات أيضاً إنما هي بلطفه سبحانه وجعله كما لا يخفى، وذلك كالاتجار الذي يؤدي إلى سعة الرزق، وكالاتحار المؤدى إلى الهلاك، وكالمقاربة المؤدية إلى تكون الجنين، وغير ذلك.

قال تعالى: «والله يحيى ويميت»(7).

ص: 151

- 1- سورة التوبة: 48.
- 2- سورة التوبة: 58.
- 3- سورة التوبة: 61.
- 4- سورة التوبة: 63.
- 5- سورة التوبة: 107.
- 6- سورة الأحزاب: 57.
- 7- سورة آل عمران: 156.

وقال سبحانه: «وهو الذى يحيى ويميت» (1).

وقال عزوجل: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون» (2).

وقال تعالى: «لا إله إلا هو، يحيى ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين» (3).

نعم كان اختيار الله سبحانه و تعالى لموت الرسول (صلى الله عليه وآله) برضاه (صلى الله عليه وآله) وإذنه تكريماً له، كما ورد فى الأحاديث.

ظهر فيكم حسيكة النفاق (4)

أقسام النفاق

مسألة: إطلاق كلامها (عليها السلام) يشمل الأقسام الأربعة للنفاق.

فان النفاق قد يكون فى أصول الدين، وقد يكون فى الفروع، اعتقاداً (5) أو أداءً (6).

والأول كفر.

والثانى قد يستلزمه (7).

والثالث من المحرمات.

وهناك نفاق رابع بالنسبة للأشخاص (8) فانه رذيلة خلقية وقد يكون بعض أقسامه

ص: 152

1- سورة المؤمنون: 80.

2- سورة الروم: 19.

3- سورة الدخان: 8.

4- وفى بعض النسخ: (حسيكة النفاق).

5- كالنفاق فى الاعتقاد بالصلاة، بأن يظهر الاعتقاد بوجوبها ويبطن الإنكار.

6- بأن يصلى متى كان بمرأى من الناس ومسمع دون إنكار لوجوبها، وهو المعبر عنه بالرياء.

7- كما لو أنكر الاعتقاد بوجوب الصلاة وكان ذلك مستلزمًا لإنكار أصل الرسالة.

8- بأن يظهر لك المحبة ويسر البغض ويظهر الصداقة ويضمّر العداوة، إما لجهة شخصية كحسد أو بغض، أو لجهة نوعية، أو لجهة عقائدية

وقد كان بعض أعداء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من مصاديق «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». سورة النساء:

54.

وقد كان فى أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) منافقون من الأقسام الأربعة.

ومن الأول: ما أشار إليه تعالى بقوله: «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون» (1).

وكأمثال من قال للإمام (عليه السلام): «بخ بخ لك يا بن أبى طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن و مؤمنة» (2).

ومن الثانى: ما أشار إليه سبحانه بقوله: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس» (3).

وقوله عز وجل: «وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم إلا- أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا- يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون» (4).

وقد اجتمعت هذه الأنواع الأربعة من النفاق فى عدد من أعداء الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) واتّصف بعضهم ببعضها فقط، والتفصيل فى كتب التاريخ (5).

هذا وقد جعل الله عز وجل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) علماً بين الإيمان والنفاق وميزاناً لذلك وجعل حبه علامة للإيمان وبغضه علامة للنفاق، وفى الحديث عن أبى عبد الله (عليه السلام)، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم لأصحابه: معاشر أصحابى إن الله جل جلاله يأمركم بولاية على بن أبى طالب (عليه السلام) والاقْتداء به فهو وليكم وإمامكم من بعدى لا تخالفوه فتكفروا ولا تفارقوه فتضلوا، إن الله جل جلاله جعل علماً بين الإيمان والنفاق

ص: 153

1- سورة المنافقون: 1.

2- راجع الإرشاد: ج 1 ص 177، والأمالى للشيخ الصدوق: ص 2 المجلس 1 ح 2، وكشف الغمة: ج 1 ص 237 والعمدة: ص 106.

3- سورة النساء: 142.

4- سورة التوبة: 54.

5- راجع كتاب (الغدير) للعلامة الأمينى (رحمة الله).

فمن أحبه كان مؤمناً ومن أبغضه كان منافقاً»(1).

إظهار النفاق محرم

مسألة: يحرم إظهار النفاق (2) كما يحرم اصل النفاق، ولهذا قالت (عليها السلام): (ظهر)، فان بعض الصفات إظهاره حرام دون إبطانه وإضماره كالحسد، وبعض الصفات يحرم إبطانه وإظهاره كالكفر والنفاق والرضا بما يحل بأنبياء الله وأوليائه من المشاكل والمحن.

ولا يخفى ان الرضا هاهنا ليس بنية السوء موضوعاً وحكماً، إذ قد ورد أنّ نيّة السوء لا تكتب، وقد ورد في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): «ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به»(3).

وقال (عليه السلام): (الراضى يفعل قوم كالدخل فيه معهم)(4).

ويدل على ذلك (5) جملة من الأحاديث، ذكرنا بعضها في باب التجري.

وقد فصله الشيخ المرتضى (قدس سره) في التقريرات، وكلامها (عليها السلام) هنا يعد أحد الأدلة على حرمة النفاق(6).

لا يقال: إذا اظهر النفاق لم يعد نفاقاً.

فانه يقال: أولاً: قد يظهر النفاق لغير من نافقه، كما في قوله تعالى: «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مسهتزون»(7).

وثانياً: قد يتجلى النفاق في مصاديق أخرى - رغم تكتمه عليه - (8) كما سيأتي بعد قليل.

ص: 154

1- الامالى للشيخ الصدوق: ص 284 - 285 المجلس 47 ح 19.

2- كما في « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزون » سورة البقرة: 14.

3- الاقبال: ص 589 فصل في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العشرين من صفر.

4- غرر الحكم: ص 331 ح 7633 وص 433 ح 9885، وخصائص الأئمة: ص 107.

5- أى على حرمة الرضا بسوء فعل قوم، أو بما يحل بأنبياء الله وأوليائه من المحن، ويحتمل إرادة: حرمة إظهار النفاق.

6- وجهه ما سيأتي منه (دام ظله) في (سمل جلباب الدين)، إضافة إلى ما سبق منه من كونه إخباراً يتضمن إنشاء لكونها (عليها السلام) في مقام التوبيخ والردع والزجر، أو بطنه الإنشاء، أو لدلالة الاقتضاء.

7- سورة البقرة: 14.

8- أى أن واقع النفاق قد يتسرب ويظهر عبر بعض (النوافذ) و(المظاهر).

وثالثاً: الإضافة فى قولها (عليها السلام): (حسيكة النفاق) أما بيانية أو لامية.

وعلى الأول: فيجاب أيضا بالظهور بعد الخفاء(1).

وعلى الثانى: لا مانعة جمع بين خفاء النفاق وظهور عداوته.

وهناك روايات عديدة فى النفاق وأبوابه وأسبابه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق فى القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيد»(2)، أى كما كان عادة الملوك.

وفى الدعاء: «اللهم طهر لسانى من الكذب وقلبى من النفاق»(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الايمن يبدو فى القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله، وان النفاق ليبدو فى القلب لمعة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الكذب باب من أبواب النفاق»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «اياكم وتخشع النفاق وهو ان يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع»(6).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بالكذب يتزين أهل النفاق»(7).

وقال (عليه السلام): «شر الأخلاق والكذب والنفاق»(8).

وقال (عليه السلام): «الكذب يؤدى إلى النفاق»(9).

ص: 155

1- أى إن ظهر فيكم حسيكة النفاق فعلى الإضافة البيانية يكون المعنى: (حسيكة هى النفاق) وقد ظهر هذا النفاق بعد أن كان خفياً فلا تناقض إذ كان نفاقاً والآن ظهر فأصبح ظاهره مطابقاً لباطنه.

2- الخصال: ص 227 ح 63.

3- مصباح الكفعمى: ص 96 الفصل 17.

4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 94.

5- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 113 باب الكذب.

6- تحف العقول: ص 60.

7- غرر الحكم: ص 219 ح 4371.

8- غرر الحكم: ص 219 ح 4373.

9- غرر الحكم: ص 220 ح 4408.

وقال (عليه السلام): «النفاق يفسد الإيمان»(1).

وقال (عليه السلام): «إياك والنفاق فان ذا الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله»(2).

وقال (عليه السلام): «النفاق أخو الشرك»(3).

وقال (عليه السلام): «النفاق توأم الكفر»(4).

وقال (عليه السلام): «الخيانة رأس النفاق»(5).

قولها (عليها السلام): (الحسيكة) هي: الضغينة والعداوة.

وفى بعض النسخ: (حسكة النفاق) وهو على الاستعارة يعنى: انهم كانوا يضمرون النفاق فى زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويظهرون النفاق من خلال بعض أعمالهم مثل: النكوص، ومثل: الفرار، ومثل: ما سجل التاريخ من بعض كلماتهم وقد تقدم بعضها، إذ (ما اضمروا أحد شيئاً إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه)(6)، وقال (عليه السلام): «من أستر لأخيه غشاً أظهره الله على صفحات وجهه»(7)..

فلما فارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحياة ظهر نفاقهم وتجلي فى مصاديق جديدة كمنع أهل البيت (عليهم السلام) عن خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) والهجوم على بيت فاطمة (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وغصب فدك، وما أشبه ذلك كما جاء فى مختلف التواريخ.

وأصل الحسك: الشوك، يقال: حسك السعدان، والواحدة حسكة، ثم استعير للنفاق الكامن فى الباطن الذى يسبب وخز الآخرين بالأعمال والأقوال وحتى بالنظرات والإشارات، بل حتى بتموجات الفكر وإشعاعات القلب.

ص: 156

1- غرر الحكم: ص 458 ح 10475.

2- غرر الحكم: ص 458 ح 10480.

3- غرر الحكم: ص 458 ح 10483.

4- غرر الحكم: ص 458 ح 10484.

5- غرر الحكم: ص 460 ح 10519.

6- شرح النهج: ج 18 ص 137.

7- ارشاد القلوب: ص 84.

المحافظة على نضارة الدين

مسائل: يحرم أن يقوم الإنسان بما يؤدي إلى فقدان الدين نضارته وطراوته، ليتحول خَلْقًا بالياً(2) وهذا في مرحلة الثبوت.

ويحرم أن يقوم بما يسبب أن يظهر الدين بمظهر الخَلْق البالي الذي لا يستطيع حل مشاكل الحياة أو أن يتَّهم ب- (الرجعية)(3)، وهذا في مرحلة الإثبات.

كما يحرم أن يتَّهم أحد (الدين) بالرجعية والسَّمَل أو ان يتَّهم الدعاة إليه بذلك.

والوجه في قولها (عليها السلام): (سمل جلباب الدين) أن القوم بتنحيتهم من نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) خليفة له، ود كان أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وأقواهم على الحق وأتقاهم وأكثرهم حكمة وعقلا ودراية، كانوا السبب في فقدان الدين نضارته وطراوته وتحوله خَلْقًا بالياً:

ثبوتاً، وذلك بجهل كثير من الأحكام في كل أبعاد الحياة، وبوضع الشيء في غير موضعه - كنصب من لا أهلية له أميراً ووالياً وقاضياً وشبه ذلك.

وإثباتاً، حيث ظهر بذلك المظهر قديماً وحديثاً، وحيث اتَّهم بالكثير من التَّهم(4).

ص:157

1- وفي بعض النسخ: (وسمل جلباب الإسلام) راجع كشف الغمة: ج1 ص487.

2- فعدم ممارسة عملية الاجتهاد والاستنباط في المسائل المستحدثة التي ابتلى بها عالم اليوم كمسائل التأمين والتأمين و البنوك والقوة الشرائية وحجم النقد، وكذلك عدم استخراج الحكم الإسلامى في أبواب: الحقوق، القانون، الأحزاب، السياسة، الإقتصاد، علم النفس والاجتماع و...، يؤدي الى فقدان الدين نضارته وطراوته.

3- فعدم استخدام الوسائل الحديثة في التبليغ: كالأدب الحديث، والكمبيوتر والانترنت والأقمار الصناعية، والاقْتصار على أسلوب القدماء في التعبير والاستدلال والوسائل، يؤدي الى أن يظهر الدين بمظهر الخلق البالي فتفرّ منه جموع الشباب لتقع في فخ الأحزاب الشرقية والغربية.

4- كاتهامه بأنه دين السيف بسبب بعض الفتوحات غير المدروسة، واتهامه بالاستبداد والاثرة والظلم بسبب تصرفات الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن شاكلهم.

ولذلك نرى أن الحق عندما يعود إلى نصابه بظهور الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) يعود الدين على يديه غضاً جديداً..

وإننا وإن لم نقدر على ذلك كما هو المفروض وفي جميع المجالات لكن يجب علينا قدر الاستطاعة قال تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»⁽¹⁾. ولعموم أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبهه.

وقولها (عليها السلام): (سمل جلباب الدين) وإن كان إخباراً عن قضية تاريخية إلا أنه يستنتج منه بدلالة الاقتضاء وغيرها حرمة كل ما يؤدي إلى أن يسمل ثوب الدين، بل يدل على شدة حرمة حيث اعتبرته (عليها السلام) في عداد تلك الكبائر⁽²⁾ وعدته إحدى النتائج المؤلمة لإعراضهم عن خليفة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

وسمل جلباب الدين: كناية عن التفرق عن الدين حتى صار كالجلباب الخلق ليست له تلك الطراوة التي كانت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذلك في كل زمان ومكان وجماعة.

(وسمل) على وزن نصر، أى صار خلقاً، وجلباب الدين: تشبيهه بالجلباب الواسع الذى تغطى المرأة به جسمها، فكأن الدين - فى أحد محتملات المعنى⁽³⁾ - كان جلباباً على هؤلاء يغطى عيوبهم وتفاقهم، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانقلبوا على أعقابهم صار ثوباً خلقاً وظهر من خلاله ما كانوا ينوونه ويضمرونه من النفاق والشقاق.

ص:158

1- سورة البقرة: 286.

2- أى (ظهر فيكم حسكة النفاق) و(نطق كاظم الغاوين..).

3- والمعنى الآخر: هو ما بنى عليه المبحث السابق. فليدقق.

ونطق (1) كاظم الغاوين

تستر أهل الضلالة

مسألة: يحرم (2) أن يكظم الغاوى (3) غيه ويكتم غوايته بقصد التستر والمحافظة على ذاته وغيبه كي تسنح له الفرصة المناسبة فيفسد، أما إذا كان بقصد ضده (4) ولئلا تشيع الفاحشة فلا.

ونطقه وإفصاحه عند تهيأ الفرصة وسنوحها، عما كظمه وستره من الغي - نطقاً قولياً أو عملياً - محرم أيضاً.

وفى أمثال المقام الذى كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) بصدده، من أكبر الكبائر، فإنها محاربة لله ولرسوله ولأهل بيته (عليهم السلام)

قال تعالى: «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين» (5).

وقال سبحانه: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» (6).

لزوم الحذر

مسألة: يجب أن لا يغتر المرء بسكوت أهل الضلالة، إذ رب يوم له ما بعده، وسكوتهم هذا قد يخفى ما خلفه، وقد يكون من مصاديق (ومكروا..)، فإن (كاظم الغاوين) قد

ص: 159

1- وفى بعض النسخ: (فنطق).

2- من باب المقدمة، ولأنه لفاعل مكر، وقد قال تعالى: «ومكروا ومكر الله» سورة آل عمران: 54، أو ما أشبهه.

3- الغاوى: الضال، والكاظم: الساكت، وكظمه: حبسه وأمسك على ما فى نفسه منه.

4- أى بقصد أن يعالج نفسه كي يطهر من ذلك.

5- سورة الأعراف: 175.

6- سورة الحجر: 42.

يتربص الفرص لينطق يوماً ما.

وقد ورد: «المؤمن كَيْس فطن حذر»(1).

وقال (عليه السلام): «اعلم إن للأمر أواخر فاحذر العواقب، وإن للأمر بغتات فكن على حذر»(2).

وقال (عليه السلام): «المؤمن إذا وعظ ازدجر وإذا حذر حذر»(3).

وقال (عليه السلام): «من اعتبر حذر»(4).

الفاعل والساكت الراضى

مسألة: الحرمة تكون بالنسبة إلى تلك الصفات الأربع: الناطق، النابغ، الهادر، الخاطر.

وبالنسبة إلى من يظهر فيهم مثل هؤلاء الغاوين والأقلين والمبطلين وهم يقدرون على رده فلم يردوه، ككل منكر يظهر في جماعة وهم قادرين على ردعه والمنع عنه فلا يفعلون.

وبالنسبة للراضى بفعلهم، وذلك لأن (الساكت عن الحق شيطان أخرس)، ولما ورد في تكثير السواد(5) ولأدلة النهى عن المنكر(6) وقوله (عليه السلام): (الراضى بفعل قوم كالداخل فيه

ص: 160

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 297.

2- تحف العقول: 367.

3- غرر الحكم: ص 90 ح 1540.

4- غرر الحكم: ص 472 ح 10792.

5- راجع المناقب: ج 4 ص 59 فصل في آياته بعد وفاته (عليه السلام)، ومثير الأحزان: ص 80، واللّهوف: ص 136-137، واللفظ للّهوف: «وروى ابن رباح قال: رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين (عليه السلام) فسئل عن ذهاب بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أنى لم أضرب ولم أرم، فلما قتل (عليه السلام) رجعت إلى منزلى وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتاني آت في منامى فقال أجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانه يدعوك، فقلت: ما لى وله، فأخذ بتلييبى وجرنى إليه، فإذا النبى (صلى الله عليه وآله) جالس فى صحراء، حاسر عن ذراعيه، أخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفى يده سيف من نار، فقتل أصحابى التسعة، فكلما ضرب ضربة التهب أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد على، ومكث طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: يا عدو الله، انتهكت حرمتى وقتلت عترتى ولم ترع حقى وفعلت ما فعلت، فقلت: والله يا رسول الله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، قال: صدقت ولكنك كثرت السواد، ادن منى، فدنوت منه فإذا طست مملوء دماً، فقال لى هذا دم ولدى الحسين (عليه السلام) فكلنى من ذلك الدم، فانتبهت حتى الساعة لا أبصر شيئاً».

6- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

معهم(1).

قولها (عليها السلام): (ونطق كاظم الغاوين) المراد بكواظم الغاوين: الذى كان ساكتا ويكظم غيظه عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والدين، كما كان كذلك المنافقون وضعفاء الإيمان الذين يقولون فى أنفسهم «نؤمن ببعض ونكر ببعض»(2)، ويريدون التخلص من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله حتى يستريحوا - بزعمهم(3) - ويتركوا الجهاد فى سبيل الله والتقدم عبر العمل بأمر الله عز وجل.

ونبع حامل(4) الاقلين(5)

قولها (عليها السلام): (ونبع) أى ظهر وخرج (خامل الاقلين)، والمراد بالاقلين: الذين كانوا فى جيش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه فى جماعة المؤمنين، ولكنهم كانوا يضمرون النفاق والشقاق، فإنهم ظهروا بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد خمولهم فى زمانه (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفاً منه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا محرم كما لا يخفى.

وهدر فنيق المبطلين

قولها (عليها السلام): (وهدر فنيق المبطلين) الفنيق: هو البعير، والمراد بهدره: صوته، لأن الهدر هو صوت البعير الذى يخرج من حنجرتة، والراد: أن زعماء أهل الباطل من المسلمين المنافقين أخذوا يرفعون أصواتهم ويكررونها ويرددونها(6) ضد قيادات الإسلام ومناهجه وهذا من المحرمات الكبيرة.

من أساليب المبطلين

مسألة: يلزم معرفة أساليب المبطلين لمواجهتها، وقد أشارت (صلوات الله عليها)

ص: 161

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 331 ح 7633، وفى نهج البلاغة أيضاً، الكلمات القصار.

2- سورة النساء: 150.

3- فى قوله (بزعمهم) إشارة دقيقة إلى أن الراحة فى الحقيقة هى فى اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) دنيا وآخرة، وإن بدى لمن يجهل كل الأبعاد والغايات إن فى اتباعه ضدها.

4- الخامل: الساقط الذى لا نباهة له.

5- وفى بعض النسخ: (الأولين).

6- إذ هدر البعير: ردد صوته فى حنجرتة.

باختيارها كلمة (هدر) فى التعبير عن أسلوب زعماء المبطلين(1) إلى حقيقة هامة، وهى انهم لا يكتفون لاثبات باطلهم بمجرد ذكره، بل انهم يعتمدون منهج (غسيل الدماغ) عبر التكرار والترديد وإعادة القول مرة بعد مرة (كما يردد البعير صوته فى حنجرتة)، وهى نفس القاعدة التى اعتمدها لينين(2) حيث قال: «أكذب ثم أكذب ثم أكذب حتى يصدقك الناس».

وفى المقابل، على جبهة الحق أن تعتمد أسلوب الإرشاد بعد الإرشاد، والتكرار بعد التكرار، كما قال تعالى: «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»(3).

وقال سبحانه: «فذكر إن نفعت الذكرى»(4).

وقال عز وجل: «فذكر إنما أنت مذكر»(5).

دراسة سنن الحياة

مسائل: تجب دراسة سنن الحياة وحركة التاريخ وكيفية حدوث التطورات وردود الأفعال، والاعتبار بذلك، واتخاذ الموقف المناسب لنصرة الحق وإبطال الباطل.

فإن كلامها (عليها الصلاة والسلام): أبعد غورا فى شرح ما جرى وإدانتهم عليه، إذ يستفاد منه التحليل الدقيق للظواهر الاجتماعية وكيفية تحرك قوى الضلال، للاعتبار على ضوء «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب»(6)، وللحيلة والحذر للناقد البصير الذى ينظر إلى كلامها (عليها السلام) بلحاظ كونه إنشاءً أيضاً بالنظر للمستقبل كما هو إخبار عن الماضى.

فكما حدث مع الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) سيحدث مع الإمام الحسين (عليه السلام)، وهكذا

ص: 162

1- عبر الإمام المؤلف ب- (زعماء المبطلين) نظراً لأن (الفنيق) من الإبل هو: الفحل المكرم الذى لا يؤذى ولا يركب لكرامته، فاستعارت (عليه السلام) الفنيق لهم كناية عن كبارهم وزعمائهم.

2- فلاديمير لينين (1870-1924) زعيم الثورة الاحادية فى روسيا ومؤسس الحزب الشيوعى، من كبار منظرى الماركسية.

3- سورة الذاريات: 55.

4- سورة الأعلى: 9.

5- سورة الغاشية: 21.

6- سورة يوسف: 111.

وهلم جرا، ولو اعتبرت الأمة بكلامها لما تكرر الخطأ ولما حدثت المآسى اللاحقة.

وفى الحال الحاضر علينا أيضاً أن نضع كلامها (عليها السلام) نصب أعيننا فى تقييم حركة القوى الضالة، ورصدها، واتخاذ التدابير اللازمة قبل حدوث أى منعطف يستغله الضالون (لينطقوا)، والخاملون المغمورون (ليظهروا) ويصلوا ويجولوا، ورؤوس الفتن (ليهدروا)، ثم بعد ذلك (ليخطروا).

فخطر فى عرصاتكم

الشیطان فى مسرح القلوب

مسألة: يحرم أن يجعل الإنسان من نفسه ما يخطر الشيطان فى عرصاته.

وعبر أدب تصويرى رائع تعبر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقولها: (فخطر فى عرصاتكم) عن طريقة الشيطان التى يرسمها وحالته، إذ يقال خطر البعير بذنبه خطراً: إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذه.

والمراد: أنه صال وجال فى محالكم، فقد هدر بصوته وحرك عقبه فرحاً وتبختراً كما يفعل البعير ذلك، ومنه قول الحجاج (1) - لما نصب المنجنيق على الكعبة ورمى الكعبة وأهلها (2) - قال:

خطارة كالجمل الفنيق

أعددتها للمسجد العتيق (3)

وقد شبه رمى الكعبة بخطر الفنيق، يقصد بذلك أن اليوم لنا والقوة لنا فى قبال الكعبة، ومن اعتصم بها.

ص: 163

1- الحجاج بن يوسف الثقفى (- 95هـ) ولد فى الطائف، ولاءه عبد الملك بن مروان ثم تولى مكة والمدينة والطائف والعراق، كان سفاحاً وسفاحاً وقمة فى الاستبداد والطغيان.

2- راجع علل الشرائع: ص 89، والخرائج والجرائح: ص 268، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 6 ص 108 وج 15 ص 242 وج 16 ص 126، وبلاغات النساء: ص 173.

3- عوالم العلوم، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) خطبتها فى المسجد (الحاشية) طبع وتحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج) قم المقدسة.

وفى كلامها (عليها السلام) هنا إشارة دقيقة، إذ عبرت ب- (عرصاتكم) مشيرة إلى قابلية القابل ووجود الأرضية عندهم لتقبل وساوس الشيطان والاستجابة ل- (خَطْرُه)، فإن (العرص): هو اللعب والمرح، و(العرصة) و(العرصات): هي ساحة الدار، وقد سميت بذلك لاعتراض (أى لعب ومرح) الصبيان فيها، وقد قال تعالى: «فاستخف قومه فأطاعوه» (1).

فقد (خطر) الشيطان، ولكن أين؟، فى ساحات قلوبهم وأفكارهم التى جعلوها مسرحاً للأهواء والشهوات، قال تعالى: «أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون* إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» (2).

ومن ذلك نعرف أن الشيطان لا- (يتمكن) من ابن آدم، إلا- لو (مكَّنه) هو منه، حيث لا- جبر كما مر، وقد فصلنا الحديث عنه فى بعض كتبنا (3).

مواصفات المعارضين للإمام (عليه السلام)

مسألة: يلزم فضح المتآمرين على أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيان صفاتهم، وقد تضمنت الجمل السابقة من كلماتها (صلوات الله عليها) إشارة رائعة ودقيقة لصفات المتآمرين فهم كانوا يتصفون ب-:

1- الغى والضلالة.

2- المكر والحيلة، لكظم غيظهم استعداداً للمستقبل.

3- الجهر بالباطل عند سنوح الفرصة (ونطق).

4- أنهم كانوا أقلية ولا تعبر فى حقيقتها عن رأى الأكثرية، بل تسلحت بالإرهاب لإسكات جبهة الحق والأكثرية.

5- أنهم مجموعة ساقطة لا مستوى لها.

6- أنها برزت وظهرت عند منعطف استراتيجى، وهو وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وذلك لسرقة الثورة والنهضة والدولة والقوة، والحكومة التى أرسى دعائمها الرسول (صلى الله عليه وآله).

7- انها تستخدم أسلوب (غسيل الدماغ): (هدر) - كما سبق -.

ص: 164

1- سورة الزخرف: 54.

2- سورة النحل: 99 - 100.

3- راجع موسوعة الفقه (المدخل): كتاب العقائد.

8- أن ظاهرها أنيق مكرم (فنيق) رغم أن الواقع تعيس مهشم.

9- انها قطعة من الباطل والضلالة.

10- انها تتبع الخطة بالخطة (هدر.. فخطر).

11- انها تتخذ قواعد المؤمنين مسرحاً لمخططاتها ومؤامراتها.

12- انها فى سبيل الشيطان وتابعة له.

وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم

فسح المجال لقوى الشر

مسألة: يحرم تهيئة الأرضية وفسح المجال لقوى الشر والشياطين، لكى تنطلق من مكائنها وتخرج رؤوسها من مغرزهها، هاتفة بالبشرية، مستدرجة للجماهير، مضللة لها.

قال تعالى: «ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»(1).

ومن المعلوم أن للحرمة فى هذا الباب درجات مختلفة، وما حدث بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) كان من أشد المحرمات، لأنه غير مجرى التاريخ وحرف مسيرة الأمة، وقد ورد أن:

(من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجره شىء، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من وزره شىء)(2).

وذلك لأن (الدال على الخير كفاعله)(3) والدال على الشر كذلك، فإنه السبب وهو (سعيه).

فلا يقال: إن هذا ينافى قوله سبحانه: «وإن ليس للإنسان إلا ما سعى»(4) حيث أن سعيه خاص بعمله هو، وبسعيه المباشر، ولا يشمل عمل الآخرين الذين يقتدون به،

ص: 165

1- سورة المائدة: 2.

2- راجع ثواب الأعمال: ص 132 باب ثواب من سن سنة هدى، والصراط المستقيم: ج 3 ص 80، ومكارم الأخلاق: ص 454.

3- الخصال: ص 134، والاختصاص: ص 240، وثواب الأعمال: ص 1.

4- سورة النجم: 39.

وأيضاً: ينافى قوله تعالى: «كل امرئ بما كسب رهين»(1) وما أشبه كقوله سبحانه: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»(2).

لأنه يقال: إن سن السنة السيئة فعله هو ووزر نفسه، ففعله هو الذى سبب وزر الآخرين، فهو وزرهم وفي نفس الوقت وزره أيضاً.

و(السعى) و(الكسب) أعم من (السعى) و(الكسب) المباشر، إذ يصح الإسناد إليهما(3) وهو كذلك عقلاً ولُبّاً وكتاباً وسنة(4)، كما فى «وما رميت إذ رميت»(5).

ثم (التسبب) من مصاديق السعى والكسب(6) وقد تطرقنا إلى ذلك فى (الفقه: الاقتصاد)(7) وغيره.

مكامن الشيطان

مسألة: يجب التعرف على مكامن الشياطين، وقواعد رؤوس الضلالة، ومغاوير الفتن، ومن ثم إقامة السدود والحواجز دونهم، بل السعى لاستئصال شأفتهم فإن (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)(8).

ومن مصاديق ذلك ما طلبوه من ذى القرنين حيث «قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً»(9).

ص: 166

- 1- سورة الطور: 21.
- 2- سورة الأنعام: 164.
- 3- أى يصح إسناد الفعل للفاعل المباشر وللسبب المرشد والمعرض، كما تقول: يزيد قاتل الامام الحسين (عليه السلام)، وعمر بن سعد قاتله، وشمر كذلك.
- 4- إذ من الواضح أن «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها» «سورة البقرة: 114» يشمل قرار الحكومة بالمنع، وعمل الشرطة المباشر بالمنع، و«سعى فى خرابها» يشمل المخططين لخرابها والمحرضين والمنفذين.
- 5- سورة الأنفال: 17.
- 6- فيستحق العقوبة عليه، من باب المقدمة.
- 7- موسوعة الفقه: ج 107-108 كتاب الاقتصاد.
- 8- تحف العقول: ص 356.
- 9- سورة الكهف: 94.

ولا يخفى عظيم هذه المسؤولية في زمن الغيبة الكبرى على العلماء، فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: «فقيه واحد، ينقذ يتيماً من ايتامنا، المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف عابد وألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه نفسه وذات عباد الله وامائه ينقذهم من إبليس ومردته»(1).

وعن الإمام الحسن (عليه السلام): «فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في تيه الجهل يخرج من جهل ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس إلى السها»(2).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده بهداه وهداه قال له الله عزوجل: يا أيها العبد الكريم المواسى انى أولى بهذا الكرم، اجعلوا له يا ملائكتى فى الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم»(3).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «علماء شيعتنا مرابطون فى الثغر الذى يلى إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان افضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محيينا وذلك يدفع عن أبدانهم»(4).

وقال الإمام محمد بن على الجواد (عليه السلام): «إن من تكفل بإيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين فى جهلهم، الأسراء فى أيادى شياطينهم وفى أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم، ليفضلوا عند الله على العابد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض، والعرش على الكرسي، والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب فى السماء»(5).

والمراد بالشيطان فى قولها (صلوات الله عليها) إما المعنى الحقيقى، كما هو الظاهر.

ص: 167

1- الصراط المستقيم: ج 3 ص 56.

2- منية المرید: ص 116.

3- منية المرید: ص 116.

4- منية المرید: ص 117.

5- منية المرید: ص 118.

أو المعنى المجازى، أى: أخرج زعماء الشرك والنفاق رؤوسهم من مغارزها، كما فى قوله تعالى: «وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون»(1).

ويمكن إرادة كلا المعنيين، بناء على إمكان ذلك عبر (الجامع) أو (فى المجموع) أو (على سبيل القول) والتفصيل فى الأصول(2).

ثم هل للشيطان (مغرز) حقيقى، أم ان التعبير كناية عن الظهور بعد الخمول؟

لا يبعد الأول، وربما يدل عليه بعض الروايات.

هذا ولا فرق - من حيث الحرمة والأثر الوضعى - بين أن يقصد من (سنّ سنة حسنة) أو من (سن سنة سيئة) أن يعمل بالسنة غيره أم لا، إذ هو (السبب) على كلا- التقديرين، وإن كان ربما يقال بالدرجات والمراتب، وهل هناك فرق بين أن يعلم أو لا يعلم، أو الجاهل القاصر والمقصر ذكرناه فى محله فى باب التجرى وما أشبه(3).

قولها (عليها السلام): (مغرزها) المراد بالمغرز: محل اختفاء الرأس، ولعله تشبيه بالقنفذ وما أشبه حيث يخفى رأسه عند الخوف ويخرج رأسه عند زوال الخوف، وإن المنافقين ومن إليهم كانوا فى زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يختفون ويتسللون لواداً، فلما توفى (صلى الله عليه وآله) أظهروا أمرهم، وهذا كناية عن تلك الحالة على ذلك الاحتمال.

وقد قال عبد الله بن الزبير، لما قيل له: لماذا لم تذكر اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى خطبة الجمعة؟: إن له أهيل سوء إذا ذكر اسمه إشرأبت أعناقهم(4).

أقول: لكن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يشرأبون للحق، وهؤلاء المنافقون كانوا يشرأبون لإظهار الباطل بعد اختفاء الحق بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فألفاكم لدعوته مستجيبين

ص: 168

1- سورة البقرة: 14.

2- راجع (الأصول) للإمام المؤلف ج 1 ص 112 مبحث (استعمال اللفظ فى أكثر من معنى).

3- راجع (الفقه: المرور) للإمام المؤلف.

4- راجع الصوارم المهركة: ص 97 وفيه: «إذا ذكرته اشروا وشمخوا بأنوفهم». وفى شرح النهج ج 2 ص 127: «إذا ذكرته اتلعوا أعناقهم».

مسألة: إجابة الشيطان - بما هي هي - محرمة في المحرمات ومكروهة في المكروهات، وربما يقال بلحاظ كونها استجابة له - بما هي استجابة - محرمة في الجملة حتى في غير المحرمات فتأمل، فلو تَعَنُّون المكروه - عرفاً - بكونه استجابة لدعوة الشيطان كان من هذا الباب، وكذلك المباح في الجملة، ولو قام به مسندا ذلك إليها ففيه الإشكال، وربما استلزم ما يخرج به عن الإيمان.

وقد يكون نظير ذلك التشبه بالكفار، والتفصيل في (الفقه).

وعلى هذا فإن قولها (عليها السلام): (فألفاكم لدعوته مستجيبين) يستفاد منه الإشارة إلى محرمين: المدعو إليه، والاستجابة معنونة بذلك (1)، أو مسندة إليها (2)، ولا بذلك: محرمة طريقيا، أو مكروهة كذلك (3).

وفي القرآن الكريم: «وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب اليم» (4).

وقال تعالى: «ولا تتبعوا خطوات الشيطان» (5).

هذا وقد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان مخالفة على أمير المؤمنين (عليه السلام) استجابة للشيطان واتباع لخطواته والدخول فى حزبه، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «يا على أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى، يا على أنت

ص: 169

1- أى معنونة بكونها استجابة.

2- أى مسندة إلى دعوة الشيطان.

3- والفرق بينهما: أن الثانى قصدى، دون الأول، فتارة يقوم بالعمل لانه قد دعاه إليه الشيطان أو من يجب، وتارة يقوم بالعمل لا لذلك بل لرغبة فيه لكنه عرفا يتأطر بإطار الاستجابة وينطبق عليه عنوانها (كما أن التشبه بالكفار أيضاً كذلك فتارة يلبس ملابسهم لأنهم كذلك يلبسونها وتارة لا يقصد ذلك بل لأجل التوقى من البرد مثلا بهذا المصداق من الملابس مكنه عندما يراه الناس يصدق عليه عندهم عرفا أنه تشبه بالكفار). فيشملة الحرمة أو الكراهة حسب ما هو المذكور فى الفقه.

4- سورة إبراهيم: 22.

5- سورة البقرة: 208.

إمام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين، يا على أنت الفاروق الأعم وأنت الصديق الأكبر، يا على أنت خليفتي على أمتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز عدااتي، يا على أنت المظلوم بعدى يا على، أنت المفارق بعدى، يا على أنت المحجور بعدى، أشهد الله تعالى ومن حضر من أمتي حزبك حزبي وحزبي حزب الله، وإن حزب أعدائك حزب الشيطان»(1).

الثبات على العقيدة

مسألة: يجب الثبات على العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، وعدم التهاون في ذلك.

وقد قال سبحانه بالنسبة إلى فرعون: « فاستخف قومه فأطاعوه »(2) وبالنتيجة أدخلهم النار في الآخرة كما أغرقهم في الدنيا، وصار مثلاً للظغاة الذين خسروا أنفسهم وأهليهم وشعوبهم أيضاً.

ولقد كان هؤلاء المنافقون في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) كما كان قوم فرعون في زمنه، وكان شيطانهم كفرعون أولئك، فكما (استخف قومه فأطاعوه) كذلك (أفاكم لدعوته مستجيبين) أي: وجدكم الشيطان لدعوته للباطل مستجيبين.

أرضية الاستجابة

مسألة(3): لعل الإتيان بباب الاستفعال من قبيل قوله سبحانه «استجيبوا لله وللرسول»(4)، وقوله تعالى: «استجيبوا لربكم»(5)، فإن الإنسان الذي يجيب يتطلب الإجابة أولاً نفسياً أو ما أشبه ثم يظهره عملياً.

وهذه (الأرضية النفسية للاستجابة إلى الشيطان) في جانبها الاختياري، تعد من رذائل الاخلاق، وقد تكون محرمة.

فالمفروض أن يجاهد الإنسان نفسه كي (تكره) أية تلبية لنداء الشهوات والشياطين، وأية

ص:170

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 6.

2- سورة الزخرف: 54.

3- قوله دام ظله (مسألة) بلحاظ الحكم الشرعي الذي سيذكره بعد اسطر.

4- سورة الأنفال: 24.

5- سورة الشورى: 47.

(رغبة) في ما تدعو إليه الأبالسة، وكما يكره الإنسان بطبعه أكل القاذورات يمكن له بالمجاهدة والرياضة أن (يكره) ارتكاب المحرمات.

وقد كتب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية: «ولا تمكن الشيطان من بغيته فيك»⁽¹⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا يتمكن الشيطان الوسوسة من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله واستهان وسكن إلى نهيه ونسى إطلاعه على سره»⁽²⁾.

وقال رجل للإمام الرضا (عليه السلام): «أوصني، قال: احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الشيطان من قيادك فتذل»⁽³⁾.

وللغرة فيه ملاحظين⁽⁴⁾.

الاغترار الفكري والعاطفي

مسألة: الاغترار بالشيطان قد يكون فكرياً أو عاطفياً أو عملياً، والأقسام الثلاثة تتراوح بين الحرمة والكراهة.

والظاهر من إطلاق⁽⁵⁾ كلامها (صلوات الله عليها) ان القوم كانوا للاغترار بالشيطان في كل الأقسام الثلاثة ملاحظين، كما ان التاريخ يشهد بذلك أيضاً.

والاغترار الفكري من مصاديقه: تبرير الانحراف والتمسك بالتشكيك حجة على عدم الدفاع عن الحق وعلى التعاون مع أئمة الكفر ودعاة الضلال وحكام الجور.

والاغترار العاطفي من مصاديقه: الميل والركون إلى الأعداء، وقد قال تعالى: « لا يتخذ

ص: 171

1- وقعة صفين: ص 109.

2- مصباح الشريعة: ص 79.

3- إرشاد القلوب: ص 103.

4- وفي بعض النسخ: (وللعزة ملاحظين).

5- حيث ان المفرد المحلى بأن يفيد الشمول، كما في قوله تعالى: « وأحل الله البيع » « سورة البقرة: 275 » و(الغرة) كذلك.

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين»(1).

وقال عزوجل: «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً»(2).

وقال سبحانه: «ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون»(3).

أما الاغترار العملي: فواضح.

ومن البين أن ذلك يسبقه عادة النوعان الآخران، وذلك مما قد يتجه الإنسان نحوه للتخلص من عذاب الوجدان، ووخز الضمير، وللحفاظ على ماء وجهه وكرامته أمام الآخرين، ولكن مع كل ذلك «بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره»(4).

وقد قال سبحانه: «إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»(5)، والمراد بالغرور الشيطان، إذ يكتر منه غر الإنسان وغشه وخداعه.

وقد خطب الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء حينما رأى صفوف الأعداء كالسيل فقال: «الحمد لله الذى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقى من فتنته، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغركم بالله الغرور... فنعم الرب ربنا وبئس العباد أنتم، أقررتم بالطاعة وأمنتتم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ثم أنتم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ولقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون، انا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين»(6).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أيها الناس أحذركم الدنيا والاعترار بها»(7).

ص: 172

1- سورة آل عمران: 28.

2- سورة النساء: 139.

3- سورة هود: 113.

4- سورة القيامة: 14 - 15.

5- سورة لقمان: 33، فاطر: 5.

6- المناقب: ج 4 ص 100 فصل فى مقتله (عليه السلام).

7- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 150.

وقال (عليه السلام): «أكبر الحمق الاغترار»(1).

وقال (عليه السلام): «الدنيا حلم والاعترار بها ندم»(2).

وقال (عليه السلام): «الغفلة تكسب الاغترار وتدنى من البوار»(3).

وقال (عليه السلام): «خذ بالثقة فى العمل وإياك والاعترار بالأمل»(4).

التراجع عن الدين

مسألة: يحرم التراجع عن الدين وأن ينقلب المسلمون على أعقابهم.

فإنه اشد حرمة من عدم الدخول فى الدين، لأنه ارتداد، والارتداد أشد من الكفر فى بعض الأحكام، كما ذر فى موضعه، ولما فيه من إضعاف جبهة المؤمنين، وإيجاد التشكيك فى صفوفهم، والبلبلة فى أوساطهم، وذلك كان من مخططات المشركين المنافقين زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) فى المعارك وغيرها.

قال سبحانه: «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون»(5).

وقال تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(6).

وهذا إخبار من الله عزوجل عن ردتهم بعد نبيه (صلى الله عليه وآله).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى خطبته يوم الغدير بعد ما قرأ هذه الآية المباركة(7): «معاشر الناس انه سيكون من بعدى أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، معاشر الناس إن الله وأنا بريثان منهم، معاشر الناس انهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم فى الدرك الأسفل من النار ولبس مثنى المتكبرين...»(8).

ص: 173

1- غرر الحكم: ص 52 ح 374.

2- غرر الحكم: ص 135 ح 2348.

3- غرر الحكم: ص 266 ح 5759.

4- التحصين لابن فهد: ص 16.

5- سورة آل عمران: 72.

6- سورة آل عمران: 144.

7- سورة آل عمران: 144.

8- الاحتجاج: ص 62 احتجاج النبى (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير على الخلق كلهم.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن النبي لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثاً سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري»(1).

وعنه (عليه السلام): «إن الذين ارتدوا على أديبارهم عن الإيمان بتركهم ولاية على أمير المؤمنين»(2).

وقد ورد في أخبار غيبة الإمام المنتظر (عج) أن «له غيبة يرتد فيها أقوام»(3).

وفي الدعاء: «اللهم إنى أسألك إيماناً لا يرتد»(4).

قولها (عليها السلام): (وللغرة فيه ملاحظين) المراد بالغرة: الاغترار والانخداع، يعنى: انهم اغتروا بالشيطان، ولا حظوا أمره واستمعوا إلى صوته وهتافه، ولهذا رجعوا على أديبارهم القهقري.

ولا يخفى اللطف في تعبيرها (عليها السلام) ب- (فى) بدل (الباء) (5) نظراً لأفادتها الظرفية، وهو أوقع من باء السببية فى المقام، إذ يتضمن معنى تصويرياً يكون المظروف فيه (الغرة) والظرف (دائرة الشيطان).

هل الأصحاب كالنجوم؟

مسألة: هذه الفقرات من كلماتها (عليها السلام) وما سبقها وسيلحقها تكشف النقاب عن عدم صحة التمسك بعموم ما ذكر فى كتب العامة من أمثال: (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

فإذا كان أصحابه (صلى الله عليه وآله) كما ذكرت (عليها السلام): (فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً.. فوسمتم غير إيلكم.. ألا فى الفتنة سقطوا.. وكتاب الله بين أظهركم.. وقد خلفتموه وراء ظهوركم.. وتستجيبون لهتاف الشيان الوى.. والموعود القياة وعند الساعة يخسر المبطلون... وسرعان ما أحدثتم.. حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.. فأنى حزتم بعد البيان.. وأشركتم بعد الإيمان.. الخ).

ص: 174

1- الاختصاص: ص 6.

2- تفسير القمى: ج 2 ص 308 سورة محمد.

3- كمال الدين: ص 317.

4- البلد الأمين: ص 109 من أدعية الإمام الكاظم (عليه السلام).

5- أى قولها (عليها السلام): (وللغرة فيه) ولم تقل (وللغرة به).

فكيف يمكن أن يكونوا كالنجوم وكيف يجوز أن يقال: (بأيهم اقتديتم اهتديتم)؟ وكيف يكون هنالك (عشرة مبشرة بالجنة)؟

وما كلامها (عليها السلام) إلا إيضاح وتفصيل، لقوله تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»⁽¹⁾.

بل إن كلماتها (عليها السلام) هاهنا تكشف عن أن كثيراً من المهاجرين والأنصار في المدينة انصرفوا عن جادة الصواب ولذا كان خطابها وعتابها شاملاً- للكثير من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله). هذا وفي الروايات الصحيحة: (أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)⁽²⁾.

وفي تفسير العياشى عن الحسين بن المنذر قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» القتل أم الموت، قال: يعنى أصحابه فعلوا ما فعلوا»⁽³⁾.

وفي تأويل الآيات عن علي بن إبراهيم قال: «إن المخاطبة لقوله عز وجل «من يرد منكم عن دينه»⁽⁴⁾ لأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الذين ارتدوا بعد وفاته وغضبوا آل محمد حقوقهم»⁽⁵⁾.

ص: 175

1- سورة آل عمران: 144.

2- غوالي اللئالى: ج 4 ص 86 ح 100.

3- تفسير العياشى: ج 1 ص 200 سورة آل عمران.

4- سورة المائدة: 54.

5- تأويل الآيات: ص 155 سورة المائدة: 54.

وقور عند الهزاهز

مسألة: يحرم على الإنسان أن يكون (العبوة) بيد الشيطان و(أداة طيعة) بيده، أو بيد سائر قوى الشر والضلال، بحيث يجده (خفيفاً) عند الاستشارة (غضوباً) عند التهيج. بل على الإنسان أن يكون وقوراً عند الهزاهز، ملازماً للحق، بحيث لا يميل إلى هذا الجانب وذاك، فان البعض (تستفزه) الأحداث فينفجر ضد الحق أو يتخذ قرارات مرتجلة.

وعلى الإنسان أيضاً أن لا يكون مستسلماً للعواطف السيئة أو مهيباً لها، كالغضب والشهوة والجبن والخوف والشرر وما أشبه ذلك، بل يجب عليه أن يكون ثقيلاً في الحق، كما قال أمير المؤمنين على (عليه الصلاة والسلام) لولده: «تزول الجبال ولا تزل» (1).

وقال (عليه السلام): «كن في الشدائد صبوراً وفي الزلازل وقوراً» (2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة» (3).

وعنه (عليه السلام) قال: «صفة المؤمن: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبر في استقامة، واغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجميل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور..» الحديث (4).

ولا يكون كما قال الشاعر:

كريشة في مهب الريح طائشة

لا تستقر على حال من القلق

ص: 176

1- نهج البلاغة: الخطبة 11.

2- غرر الحكم: ص 282 ح 6290.

3- الأمل للشيخ الصدوق: ص 592 المجلس 86 ح 17.

4- الخصال: ص 571 خمسون خصلة من صفات المؤمن ج 2.

قولها (عليها السلام): (ثم استنهضكم) يعنى: أن الشيطان أولاً هتف بكم فلما رآكم قد استجبتم له طلب نهوضكم بالأمر، فإن كل مبطل أو محق يدعو الناس أولاً بالقول، فإذا رأى فيهم الاستجابة النفسية وما أشبه وعلى صعيد الكلمات والشعارات أيضاً، دعاه ذلك إلى دعوتهم للعمل ووضع المخطط العملى لهم.

(فوجدكم خفافاً) أى فى الحركة، سراعاً فيها، مبادرين إلى ما دعاكم إليه ولستم بثقالٍ تلزمون الحق، كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى فرعون «فاستخف قومه فأطاعوه»(1).

الأصل: النهضة أم التحفظ؟

مسألة: هل الأصل (النهضة) و(التحرك)؟

أم الأصل (الاحتياط) و(التحفظ)؟

أم الأصل (إحقاق الحق)؟

الظاهر انه ليست النهضة أصلاً ولا الثورة ولا الحركة، إذ قد يستنهض الشيطان الناس للثورة على وضع قائم، كما قالت (صلوات الله عليها): (ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً) وكما فى الثورات الشيوعية والانتقالات العسكرية، ثم انه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الحسن والحسين إمامان قاما وإن قعدا»(2).

وليس الأصل السكون والتحفظ أيضاً، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض»(3).

وفى الحديث: «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

و: «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام ظالم»(4).

وفى بعض الأحاديث: «عند سلطان جائر»(5) و..

بل (إحقاق الحق) هو الأصل، فقد تكون النهضة والثورة طريقاً إليه، وقد يكون السكون

ص: 177

1- سورة الزخرف: 54.

2- علل الشرائع: ص 211، الإرشاد: ج 2 ص 30، الفصول المختارة: ص 303، المسائل الجارودية: ص 35، النكت فى مقدمات الأصول: ص 48، متشابه القرآن: ج 2 ص 46، كفاية الأثر: ص 36.

3- سورة التوبة: 38.

4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 200.

5- غوالى اللئالى: ج 1 ص 432 ح 131.

والتحفظ كذلك، قال (عليه السلام): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب»⁽¹⁾.

وقد يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر أسلوب المقاومة السلبية: من عدم التدريس، الجلوس في الدار، وعدم الذهاب للعمل، وسائر ما يسمى اليوم بالعصيان المدني.

وكان أمير المؤمنين (عليه صلوات الله وسلامه) هو أول من استخدم أسلوب المقاومة السلبية ضد الحكومة الجائرة، وكانت السيدة الزهراء (عليها السلام) هي أول من استخدمت ذلك الأسلوب كذلك. ومن هذا الباب نرى أن الإمام الحسن (عليه السلام) صالح معاوية والإمام الحسين (عليه السلام) حارب يزيد والتفصيل في محله.

ومثل ما ذكرناه ما جاء في السكوت وما أشبهه، فقد سئل (عليه السلام) عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال (عليه السلام): «لكل واحد منها آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل وكيف ذاك يا بن رسول الله، قال لأن الله عزوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»⁽²⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «السكوت عند الضرورة بدعة»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «لا خير في السكوت عن الحق كما انه لا خير في القول بالجهل»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق»⁽⁵⁾.

وقال (عليه السلام): «خير الأمور ما أسفر عن الحق»⁽⁶⁾.

وقال (عليه السلام): «الحق أحق أن يتبع»⁽⁷⁾.

ص: 178

1- نهج البلاغة: قصار الحكم 1، وغرر الحكم: ص 464 ح 10675 الفصل التاسع في الفتنة.

2- الاحتجاج: ص 315.

3- غوالي اللئالي: ص 293 ح 175.

4- غرر الحكم: ص 70 ح 991.

5- غرر الحكم: ص 59 ح 632.

6- غرر الحكم: ص 68 ح 925.

7- غرر الحكم: ص 69 ح 959.

وقال (عليه السلام): «الزموا الحق تلتزمكم النجاة»(1).

وقال (عليه السلام): «من نصر الحق أفلح» وفي رواية (غنم)(2).

وقال (عليه السلام): «قولوا الحق تغنموا، واسكتوا عن الباطل تسلموا»(3).

وأحشمكم (4) فأفلكم غضابا (5)

من أسلحة الشيطان

مسألة: يلزم التعرف على (أسلحة الشيطان)، فإن التعرف على أسلحة العدو من أهم عوامل المقدرة على التصدي لها ومواجهتها، ومن أهمها القوة الغضبية والعصبية الجاهلية والقومية والعائلية وغيرها.

كما قالت (صلوات الله عليها): (وأحشمكم) فقد أثار فيهم الشيطان العصبية والحسد ضد وصي الرسول الإمام علي (عليه السلام) فقد كان قتل منهم بأمر من الله ورسوله - كثيراً وذلك إبان مواجهتهم للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في المعارك والغزوات؟

فقالوا: كيف تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد؟

وكيف يتأمر عليهم من عرفوه ب- (شدة تمره في ذات الله)، ولو حكم لحملهم على الحق مره وحلوه.

فالعصبية العائلية كانت سبباً، والأضغان الشخصية كانت سبباً آخر، والحسد كان عاملاً ثالثاً كما قال تعالى: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»(6).

وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين والأئمة أهل البيت (عليهم السلام) حيث حسدهم

ص: 179

1- غرر الحكم: ص 69 ح 966.

2- غرر الحكم: ص 69 ح 975 و976.

3- غرر الحكم: ص 70 ح 986.

4- وفي بعض النسخ: (وأحشمكم).

5- وفي بعض النسخ: (عطافاً).

6- سورة النساء: 54.

والخوف على المصالح الشخصية كان العامل الرابع.. إلى غير ذلك.

قولها (عليها السلام): (واحمشكم) أى: أغضبكم الشيطان، (فألفاكم غضابا): أى وجدكم تغضبون لغضبه.

ولا يخفى أن (حمش) و(حشم) كلاهما ورد بمعنى: أَعْضَبَ .

وفى بعض النسخ: (واحمشكم فألفاكم عطافا) من العطف بمعنى الميل، وهذا يصح على كل معنى حمش (2): (أغضبكم فوجدكم مائلين إليه) أو (جمعكم فوجدكم منعطفين إلى ما جمعكم عليه).

وعلى إرادة معنى (الجمع) تكون هذه الفقرة مشيرة إلى معنى جديد زائد على (استنهضكم) كما كانت على ذلك المعنى مشيرة إلى معنى آخر.

الشيطان وسياسة الخطوة خطوة

مسألة: يتضمن كلامها (صلوات الله عليها) الإشارة إلى أسلوب ماكر يستخدمه إبليس وشياطينه، فإن من أقوى أسلحة الشيطان الرجيم فى اصطلياد المؤمنين هو (التدرج) فى استدراجهم، فهو يزين للإنسان النظرة، ثم الابتسامة، ثم الحديث، ثم اللقاء، ثم الزنا بالأجنبية، وهو يزين للإنسان السكوت عن الظالم، ثم فتح حوار معه، ثم زيارته، ثم الذوبان فى بحر عطاءاته حتى النخاع..

وهكذا وهلم جرا.

فقد (اطلع الشيطان رأسه من مغرزه)، (هاتفا بكم)، (فألفاكم)، (ثم استنهضكم)، (واحمشكم)...

وذلك من أسرار ما ورد من قوله (عليه السلام) (اشد الذنوب ما استهان به صاحبها) (3).

وفى الحديث أن: (السيئات بعضها آخذ بعنق بعض).

ص: 180

1- راجع كمال الدين: ص 680، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 7 ص 220 وفيه: «أنها نزلت فى على (عليه السلام) وما خص به من علم».

2- حمشه: اغضبه وهيجه، وحمشه: جمعه.

3- نهج البلاغة: قصار الحكم 348، 477.

وفى الآية الشريفة: «سنستدرجهم»(1).

فيجب الحذر والاحتياط عند أول خطوة، وان كانت في حد ذاتها غير محرمة، فان (لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه)(2) و(أخوك دينك فاحتط لدينك)(3).

وهذا الاسلوب يستخدمه الشيطان مع من له بعض القوة والحصانة، أما هش الإيمان فانه يستجيب له بمجرد إشارة واحدة فقط، وقد كان البعض كذلك.

ولعل كلامها (عليها السلام) منصرف إلى القسم الأول، أما القسم الثاني فكانوا على وفاق مسبق معه، وكانوا يخططون للأمر قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) بل منذ إسلامهم الظاهري(4).

فوسمتم غير ابلکم، ووردتم (5) غير شریکم(6).

التصرف في ملك الغير

مسألة: يحرم - حرمة نفسية ومقدمية - أن يسم الإنسان غير ابله وأن يرد غير مشربه،

ص: 181

1- سورة الأعراف: 182، وسورة القلم: 44.

2- غوالي اللئالي: ج 2 ص 83.

3- الأمالى للشيخ المفيد: ص 283 المجلس 33 ح 9.

4- إشارة إلى حديث الإمام الصادق (عليه السلام) إجابة على سؤال: كيف اسلما ولم اسلما طوعاً أو كرهاً؟ فقال (عليه السلام): بل طمعاً، راجع الخرائج ص 483 وفيه: «قال (عليه السلام): ما اسلما طوعاً ولا كرهاً، وانما اسلما طمعاً، فقد كانا يسمعان من أهل الكتاب منهم من يقول: هو نبي يملك المشرق والمغرب وتبقى نبوته إلى يوم القيامة، ومنهم من يقول: يملك الدنيا كلها ملكاً عظيماً وينقاد له أهل الأرض، فدخلا كلاهما في الإسلام طمعاً في أن يجعل محمد (صلى الله عليه وآله) كل واحد منهما والى ولاية، فلما أيسا من ذلك، دبرا مع جماعة قتل محمد (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة فكمنوا له وجاء جبرائيل وأخبر محمد (صلى الله عليه وآله) بذلك، فوقف على العقبة وقال: يا فلان، يا فلان، يا فلان، أخرجوا فاني لا أمر حتى أراكم كلکم قد خرجتم، وقد سمع ذلك حذيفة، ومثلها طلحة والزبير فهما بايعا علياً (عليه السلام) بعد قتل عثمان طمعاً في أن يجعلهما كليهما على بن أبي طالب (عليه السلام) والياً على ولاية، لا طوعاً ولا رغبة، ولا إكراهاً ولا اجباراً، فلما أيسا من ذلك من على (عليه السلام) نكثا العهد وخرجا عليه وفعلا ما فعلا».

5- وفي بعض النسخ: (أوردتم).

6- وفي بعض النسخ: (مشریکم).

فان التصرف فى ملك الغير أو حقه لا يجوز إلا بإذنه، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض»(1).

وقال (عليه السلام): «لئلا يتوى حق امرئ مسلم»(2).

وجهان للقضية

قولها (عليها السلام): (فوسمتم غير ابلکم) الوسم عبارة عن: الكى، ووضع علامة على الشىء يعرف بها انه ملك لهذا الشخص أو لذاك، وهذا تشبيه لاخذهم الخلافة وغصبهم فدک بمن يستولى على ابل غيره فيجعلها لنفسه غصبا ونهباً، کمن يسم ابل الناس بسمة نفسه حتى يستولى عليه ويستملكه متذرعا بالعلامة، وکمن يدخل ويرد على غير مشربه فانه غاصب للمشرب.

ولكلامها (عليها السلام): هنا (عقدان) عقد سلب وعقد إيجاب: فما ليس لهم قد وسموه، وما هو لغيرهم لم يسمحو له بوسمه والتصرف فيه.

وبعبارة أخرى: الخلافة ليست لكم بل هى لغيركم، والتصرف فيها كان لغيركم فاتخذتموه لأنفسكم.

قولها (عليها السلام): (ووردتم غير شربکم) وفى بعض النسخ (أوردتم) وفى بعضها (وأوردتموها شرباً ليس لكم) وفى بعضها (مشربکم)(3) والکل بمعنى واحد تقريباً.

(الورد)(4): عبارة عن الحضور على الماء والصيرورة إليه.

كما قال سبحانه فى قصة موسى (عليه السلام): «ولما ورد ماء مدين»(5).

فانهم أوردوا آبآلهم على ماء غيرهم.

و(الشرب) بالكسر عبارة عن: الحظ من الماء، لان الجماعة التى لها البئر أو النهر، يكون لكل واحد منهم حظ فيه، من ساعة أو ساعتين أو أكثر أو اقل، وهاتان الجملتان كنايةتان

ص: 182

1- سورة النساء: 29.

2- غوالى اللئالى: ج 1 ص 315.

3- المشرب: موضع الشرب، ويطلق على نفس الماء أيضاً، كما هو الشأن فى المصدر الميمى.

4- الورد: هو الاسم من ورد، والمصدر: الورد.

5- سورة القصص: 23.

عن اخذ القوم ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وفدك وغير ذلك كما وضحناه.

ثم إن الحرمة تترتب على كلا المعنيين: الحقيقي والمجازى الكنائى (1) كما لا يخفى.

وان وسم ابل الغير محرم نفسى بما هو تصرف فى ملك الغير، وطريقى باعتبار كونه مقدمة للاستيلاء والتملك وتثبيت ذلك.

وادعاء الخلافة أيضاً لغير وصيه (صلى الله عليه وآله) محرم نفسى ومقدمى، فان نفس هذا الادعاء - من غير أهله - بما هو محرم نفسى، وبما هو طريق إلى فعالية الغصب للخلافة محرم مقدمى.

مصادرة الحقوق

مسائل: تحرم مصادرة حقوق الآخرين، وانتهاك حرمتهم، كما يحرم (تبرير) ذلك و(التعليل) له و(تغطيته) تحت عنوان (المصلحة العامة) أو ما أشبه ذلك، فانه إغراء وتليبس وخداع وتضليل كما هو شأن كل طاغ وجبار وجائر، ويحرم تبرير الآخرين متحلقين وغيرهم عمل الجائر أيضاً.

وقد علل القوم مصادرتهم الخلافة وغضبهم حق الإمام على (عليه السلام) ب- (لأن فيه دعابة) (2)، ولأن كلمة العرب لا تجمع عليه لكثرة من قتل منهم إبان مواجهتهم للرسول (صلى الله عليه وآله)، ولانه حدث السن، وكما قالت (عليها السلام) (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة) وشبه ذلك.

وحقيقة الأمر غير ذلك كما صرحت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إذ السبب الحقيقى كان (ظهر فيكم حسكة النفاق.. وهدر فنيق المبطلين.. واطلع الشيطان رأسه من مغرزه.. هاتفا بكم.. ثم استنهضكم.. واحمشكم..) (ف-) والفاء للتفريع (وسمتم غير ابلكم..).

وعلى ضوء كلامها (عليه السلام) نعرف السبب الحقيقى وراء مصادرة الحكومات الجائرة أملاك الناس وثرواتهم وتأميم بعضها للشركات الكبرى والمعادن والصناعات الأم وغيرها.

ثم إنه تشمل التكنية ب- (وسمتم غير ابلكم ووردتم غير مشربكم): سرقة (الاعتبار)، كما

ص: 183

1- المعنى الحقيقى هو وسم الإبل وورود مشرب الغير، والمجازى هو غصب الخلافة كما هو المقصود من كلامها (عليها السلام) .
2- راجع شرح نهج البلاغة: ج 1 ص 25 وص 185، وج 12 ص 142، وراجع المناقب: ج 3 ص 213 فصل فى حساده (عليه السلام)، هذا وقد ورد أن أصل الدعابة من صفات المؤمن قال (عليه السلام): «ما من مؤمن إلا وفيه دعابة» معانى الأخبار: ص 164 باب معنى الدعابة، ومشكاة الأنوار: ص 190 ومستطرفات السرائر: ص 579.

كان صفة القوم يومذاك، وهو مشمول لاطلاق كلامها (عليها السلام)، وكما يصنعه (سراق الثورة) والذين يتخذون سياسة ركوب الموج وأشباههم.

وكان من ذلك سرقة ألقاب أمير المؤمنين ومولى الموحدين على ابن ابى طالب (عليه السلام) (1).

ومنه سرقة الفضائل والأمجاد والبطولات والتاريخ المشرق أيضاً (2).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خذوا بحجة على (عليه السلام) فانه الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله ومن أبغضه أبغضه الله، ومن تخلف عنه محقه الله» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا على أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين... يا على أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر» (4).

وورد في زيارته (عليه السلام): «السلام عليك أيها الصديق الأكبر، السلام عليك أيها الفاروق الأعظم» (5).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «على سيف الله على أعدائه» (6).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا سيف الله على أعدائه ورحمته على أوليائه» (7).

جواز الكناية

مسألة: الكناية في الخطاب جائزة، بل هي مما قد يحسن ويرجح، وليست الكناية كذباً كما سبقت الإشارة إليه، والكتاب والسنة مليئان بذلك، ومنه كلامها (عليها السلام) ها هنا: (فوسمتم غير ابلکم ووردتم غير مشربکم).

فان الميزان في الكذب ليس حجم الكلام ولا هيكله وشكله، ولذا قالوا خرج عن

ص: 184

1- من ألقابه (الصديق) و(الفاروق) و(سيف الله) و(أمير المؤمنين).. الخ.

2- كوضع حديث الخوخة في قبال حديث سد الأبواب راجع (الغدیر) للعلامة الأمينی (رحمة الله).

3- راجع الأمالی للشيخ الصدوق: ص 673 المجلس 96 ح 8.

4- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 6 ح 13.

5- المزمار: ص 78.

6- الأمالی للشيخ الصدوق: ص 11 المجلس 3 ح 6.

7- المناقب: ج 3 ص 113.

والفرق بين المبالغة والإغراق: إن المبالغة فوق الواقع بقليل، أما الإغراق فهو فوق الواقع بكثير، فقد يقول: استقبله من أهل المدينة مائة، وقد يقول: استقبله كل أهل المدينة، بينما في الأول لم يستقبله مثلاً إلا ثمانون وفي الثاني لم يستقبله إلا نصف أهل المدينة.

وهكذا خرج عن الكذب مثل الاستهزاء وما أشبهه، لأن الاستهزاء ليس من مقولة الخبر، بل من مقولة الإنشاء، والإنشاء لا مسرح للكذب والصدق فيه.

نعم قد يكذب الإنشاء باعتبار كونه طريقاً إلى الخبر، مثلاً يقول: تفضل إلى دارنا، فانه انشاء، لكنه يجاب بأنك تكذب، ويراد تكذيب قصده الواقعي، أي ما أراده أن يفهمنا بالكلام، يعني انك لا- تقصد (الدعوة) عن جدّ، وانما تقصده خداعاً أو هزلاً كما ذكرناه في حاشية المنطق(2).

هذا والعهد قريب

حرمة نقض العهد

مسألة: يحرم نقض العهد، وأشد منه حرمة بل هو من أشد الكبائر: نقض عهد الله ورسوله، ومثل نقض عهد بيعة الغدير يعد من الكبائر الموبقة.

وذلك بدلالة العقل والنقل.

وهذا بخلاف الوعد، فان المشهور بين الفقهاء عدم حرمة خلفه، وان كان الوفاء بالوعد من الصفات الحسنة.

والفرق بين العهد والوعد، ان العهد ما يقع في العهدة، وأما الوعد فهو ما يتلفظ به مع القصد من دون أن يكون كذلك، فالعهد أكد من الوعد، ومن هذه الجهة يقال: (العهد بين الدول)، و(المعاهدات الدولية)، ولا يقال الوعود بين الدول، إلى غير ذلك.

ومن تلك الفروق: أن العهد عقد وليس الوعد عقداً.

وإذا علمنا بأن العهد واجب الوفاء فما بالك بعهد يعهده رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) إلى

ص: 185

1- للتفصيل راجع موسوعة الفقه، كتاب المكاسب المحرمة: ج2 ص33.

2- مخطوط... وللتفصيل راجع أيضاً كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

الأمة؟ - وهي خلافة أمير المؤمنين على (عليه السلام) - خاصة مع تأكيدات المتكررة بأنه عهد عهد الله إليه ليلبغ الأمة؟! كما في القرآن الحكيم: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (1).

وقال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» (2).

وقال سبحانه: «الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل» (3).

وقال تعالى: «ويعهد الله أوفوا» (4).

وقال سبحانه: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً» (5).

وقال تعالى: «وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم» (6).

وقد ورد في العديد من الروايات تفسير العهد بولاية أمير المؤمنين وإمامته وخلافته.

ففي تفسير القمى في الآية المباركة: «الذين يتقضون عهد الله» (7) قال: «نزلت هذه الآية في آل محمد وما عاهدهم عليه وما أخذ عليهم من الميثاق في الذر من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده، وهو قوله: «الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه» يعنى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الذى أخذ الله عليهم فى الذر، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير خم» (8).

ص: 186

1- سورة المائدة: 67.

2- سورة النحل: 91.

3- سورة البقرة: 27.

4- سورة الأنعام: 152.

5- سورة الإسراء: 34.

6- سورة البقرة: 40.

7- سورة الرعد: 25.

8- تفسير القمى: ج 1 ص 363 سورة الرعد.

وروى أيضاً في تفسير قوله تعالى: «واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها»(1) عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنها نزلت في ولاية أمير المؤمنين(2).

إلى غيرها(3).

والكلم رحيب

قولها (عليها السلام): (والكلم رحيب) أى الجرح، فإن الكلم عبارة عن الجرح، والرحيب بمعنى وسيع، لأن موت الإنسان يحدث جرحاً عميقاً واسعاً فى نفوس أقربائه وأودائه ثم يتجمع الجرح حتى يندمل، وفى هذا إلفات إلى انه لم يمض على وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله) سوى ساعات حتى اجتمعوا فى السقيفة، وكلامها (عليها السلام) هذا يدل على شدة حرمة ما فعله القوم.

والجرح لما يندمل

وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)

مسألة: يمكن التمسك بكلامها (عليها السلام) هنا - وبدلالة الاقتضاء(4) - دليلاً آخر على وجوب إبقاء مصاب الرسول (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام)، حياً فى القلوب، طرباً على الألسن، ظاهراً على الجوارح كشعيرة من شعائر الله.

فان عدم اندمال الجرح حقيقة - أو تنزيلاً عبر ما يقوم به مقامه(5) - هو من اكبر أسباب إدانتهم، ومن اكبر عوامل فضح الظلمة والجائرين، ومن مقومات ردع من تسول له

ص: 187

1- سورة النحل: 91.

2- تفسير القمى: ج 1 ص 389.

3- راجع تفسير القمى: ج 2 ص 301 سورة محمد.

4- وهى ما يتوقف صحة أو صدق الكلام أو بعضه عليه، فان صحة اعتراضها (عليها السلام) عليهم ب- (والجرح لما يندمل) موقوف على كون عدم اندمال الجرح سبباً لمزيد القبح فى فعلهم، وسبباً لصحة الاعتراض والفضح، واذا كان ذلك كذلك وكان ما يقوم مكانه كذلك، اشتركا فى الحكم.

5- كالتذكير، والتصدير، والتمثيل وغير ذلك.

نفسه اتخاذ منهجهم والسير على دربهم، وهو (إنذار) و(إرشاد) و(تنبيه) كما لا يخفى.

وقد كان من علل بكائها (عليها السلام) تذكير الناس بمصاب الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وإبقائه حيا طريا، إحياءً لذكراه (صلى الله عليه وآله) ولكلماته ومنهجه ومدرسته، إضافة إلى فضحهم كما كان ذلك من علل بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) عشرين أو أربعين سنة(1).

وكلامها (عليها السلام) في خطبتها في المسجد وغيرها كات ولا تزال من أهم العلل لتحول تلك المصائب والرزايا الكبرى إلى صور حية متجسدة أمام النواظر، متجذرة في النفوس، حارة في القلوب إلى يوم القيامة، فهي تذكرنا دائماً بالمؤامرة على منهج الرسول (صلى الله عليه وآله) والصراط المستقيم، وتدعونا للعودة إلى ما أكد (صلى الله عليه وآله) عليه مكررا بقوله: (كتاب الله وعترتي أهل بيتي)(2).

فان موت الرسول (صلى الله عليه وآله) خلف في القلوب جرحاً، ولم يطل الزمان حتى يندمل الجرح وينسى الناس وفاته، أى كيف فعلتم هذه الفعلة مع أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يدفن بعد، فقد اجتمعوا في السقيفة قبل دفن الرسول (صلى الله عليه وآله) وفعلوا ما فعلوا.

وذكر بعض العلماء أن حكمة إبقاء الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) جسد الرسول (صلى الله عليه وآله) ثلاثة أيام يصلى عليه، بالإضافة إلى إرادة صلاة الناس عليه، انه أراد أن لا يترك لهم عذراً يدفعهم إلى نبش القبر بحجة الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا عذرا يدفعهم حتى إلى مجرد طرح هذا الأمر في المجالس وتردده على الألسنة، فانه هتك حرمة بنفس هذا المقدار، كما حدث بالنسبة للسيدة الزهراء (عليها السلام) حيث أرادوا نبش القبر والصلاة عليها، ولكنها (عليها السلام) كانت قد أوصلت بتجهيزها ليلاً حتى تثبت مظلوميتها للعالمين ولكي تسلب الشرعية ممن آذوها وغضبوا حقها وحق بعلمها (صلوات الله عليهما).

ص: 188

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 140.

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 100 ب 14 ح 59.

التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام)

مسألة: يحرم عدم التفاعل مع ما ورد على الزهراء (عليها السلام) من المصائب، وعدم الاهتمام بما ورد عليها (صلوات الله عليها).

وقد ورد في مستفيض الأحاديث بل متواترها - ولو تواترا معنوياً أو إجمالياً - (شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)(1).

وقد صح عن الفريقين غضبها (صلوات الله عليها) على الشيخين(2) وايدئهما لها (عليها السلام)(3)، كما ثبت عند الفريقين قوله (صلى الله عليه وآله): «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»(4)، وقوله (صلى الله عليه وآله): «من آذاها فقد آذاني فقد آذى الله»(5).

هذا وقد قال سبحانه: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»(6).

وكيف لا يتفاعل المؤمن مع من بغضبها يغضب الرب الجليل؟(7).

ص: 189

1- راجع الخصال: ص 635، وغرر الحكم: ص 117 ح 2050، وجامع الأخبار: ص 179، وفضائل الأشهر الثلاثة: ص 105 فضائل شهر رمضان ح 95، وصفات الشيعة: ص 3 ح 5، وارشاد القلوب: ص 144 وص 257 وص 423، وبشارة المصطفى: ص 18 وص 162 وص 196.

2- بحار الأنوار: ج 28 ص 322 ب 4 ح 52. وانظر أيضاً: صحيح البخارى: ج 3 ص 1126 ح 2926، وج 4 ص 1594 ج 3998، وج 6 ص 2474 ح 6346، وصحيح مسلم: ج 4 ص 29-30 ح 1759، وسنن الترمذى: ج 4 ص 135، ح 1609، والسنن الكبرى للبيهقى: ج 6 ص 300، ومسند أحمد: ج 1 ص 18 ح 56.

3- انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 20.

4- بحار الأنوار: ج 27 ص 62 ب 1 ح 16. وانظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج 3 ص 167 ح 4730، وميزان الاعتدال: ج 1 ص 535 ح 2002، وأسد الغابة: ج 7 ص 224، والإصابة: ج 4 ص 378، وتهذيب التهذيب: ج 12 ص 469 ح 2860، ومجمع الزوائد: ج 9 ص 203، وذخائر العقبى: ص 39، وتذكرة الخواص: ص 310، وكفاية الطالب للكنجى: ص 364، والشرف المؤبد: ص 125.

5- المناقب: ج 3 ص 332، فص في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إياها، وشرح النهج لابن أبى الحديد: ج 16 ص 273.

6- سورة الأحزاب: 57.

7- إذ ان تلك الجرائم الكبرى بحق ابنة الرسول ووصيه أوجبت سخطها وغضبها الشديد وغضب الله سبحانه وتعالى، فكيف لا يغضب المؤمن لغضب الرب.

ثم إن المراد بـ(الجرح لما يندمل) قد يكون: الأعم من جرح موت الرسول (صلى الله عليه وآله) ومما ورد عليها من الجراح، وفي قصة حرق الدار وعصرها بين الحائط والباب وكسر الضلع وإسقاط الجنين وغير ذلك مما هو مذكور في التواريخ.

وقد يكون المراد من (والجرح لما يندمل) جرحها فقط.

وكلا الأمرين جائز فان الجرح مادي ومعنوي، والجامع أنه جرح، ولذا قال الشاعر:

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

ولعل الآية المباركة أيضاً يراد بها الاثنان، قال سبحانه: «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله»⁽¹⁾.

ومن المعلوم انه أصابتهم في الحرب قروح نفسية وقروح بدنية، لان الحرب لها أهوال ومخاوف، كما ان لها جروحا ومعاطب.

ولا يخفى أن كل واحد من القرح والجرح يطلق على الآخر مع انفراده، أما مع اجتماعه فالجرح ما يجرح والقرح يراد به الدميل ونحوه.

والرسول (صلى الله عليه وآله) لما يقبر

عدم دفن الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: من المحرمات ترك الرسول (صلى الله عليه وآله) دون تكفين وغسل ودفن والاشتغال بما اشتغلوا، ووجه الحرمة فيه إضافة إلى كونه مخالفه لواجب مسلم⁽²⁾ أنه⁽³⁾ إهانة بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) كما هو إهانة بالنسبة إلى كل ميت له شيء من الاحترام، والإهانة محرمة مطلقا خصوصا بالنسبة إلى عظماء الدين فكيف بالرسول (صلى الله عليه وآله) الذي هو اعظم من كل عظيم، مضافاً إلى أن القضية كانت مؤامرة ضد وصي الرسول (صلى الله عليه وآله) وخليفته المنصوص عليه.

ص: 190

1- سورة آل عمران: 140.

2- واجب المسلم هو دفن المسلم وكفنه وتغسيله وهو واجب شبه فوري ولا يجوز تأخيره أكثر من المقدار المتعارف.

3- أى تركه (صلى الله عليه وآله) دون غسل وكفن ودفن والانشغال بالدنيا.

ووجه احتجاجها (عليها السلام) ب- (الرسول لما يقبر) هو: الجوانب النفسية والطريقية وما أشبه مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، لذلك الترك.

ويدل عليه أيضاً قولها (عليها السلام) بعد قليل: (ألا فى الفتنة سقطوا) فان (السقوط) امتد بامتداد الزمن وفى شتى الجهات.

توضيح ذلك: ان تركه (صلى الله عليه وآله) دون غسل وكفن ودفن محرم نفسى كما كان حراماً من جهة طريقيته إلى الانشغال بغضب الخلافة، ومن جهة طريقيته أيضاً باعتبار كونه فتح باب لأمثال ذلك، - متعللين بعدر أو بآخر - كما جرى بالنسبة إلى سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) حيث تركه القوم هو وأصحابه دون غسل وكفن ودفن، وكما فعلوا مع زيد بن علي (عليه السلام) بعد صلبه، إلى غير ذلك، وهذه السنة السيئة قد سنّوها من ذلك اليوم فعليهم وزرّها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

إشارات

المراد من (والعهد قريب) أى عهدكم بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أمير المؤمنين على (عليه السلام)، وفى تعيينه خليفة من بعده، وذلك يوم الغدير وغيرها.

ويحتمل إرادة العهد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا أيضاً بذلك اللحاظ، بقرينة ما سبقه من الجمل (1).

فانهم فى حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يكن بمقدورهم المخالفة العلنية بهذا النحو وبهذه الدرجة وان خالفوا بانحاء آخر، لكنهم بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) بادروا إلى الانقلاب على الأعقاب بسرعة قياسية.

(وقريب) إشارة إلى الامتداد الزمنى، وهو الكم المتصل غير القار.

(ورحيب) إشارة إلى السعة، هو كم متصل قار.

(ولما يندمل) إشارة إلى العمق، وهو من لوازم السعة أيضاً.

(ولما يقبر) إشارة إلى طرف آخر للإضافة، فان نقضهم لبيعة الغدير له إضافتان:

أولهما: إلى العهد والميثاق نفسه.

ص: 191

1- فوسمتم غير ابلکم ووردتم غير مشربکم.

وثانيهما: إلى صاحبه ومن عقده(1).

ومن الواضح أن الجريمة تكون أقيح وأسوأ بلحاظ الإسناد، ومتعاكسة في الجهة، ومساوية في القوة مع درجة من أجرم بحقه.

وله إضافة ثالثة أيضاً: إلى (من عقد له)(2).

ورابعة: إلى (الامة).

وخامسة: إلى (الأجيال القادمة)، فان نقضهم لبيعة الغدير كان جريمة بحق الأمة وبحق كل الأجيال اللاحقة، إذ شرعوا بذلك طريق الفساد والاستبداد والضلال والإضلال إلى يومنا هذا.

وهناك إضافة سادسة أيضاً: إلى (أنفسهم) إذ بذلك النقض، خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

قولها (عليها السلام): (هذا) أى الانقلاب على الأعقاب والاعتصاب للحق البديهي ووسم غير ابلهم وورود غير مشربهم، (و) الحال أن (العهد) برسول الله (صلى الله عليه وآله) (قريب) إلى درجة كبيرة بل مذهلة، فان (الرسول لما يقبر) وهذا يتضمن مزيد إدانة لهم عقليا وعقلانيا وإنسانيا وعاطفيا...

ثم إنه يمكن أن يعد ذلك دفعا لدخل مقدر وإجابة على سؤال مفترض، اذ قد يتعلل بمخالفة القرار الصادر عن القيادة ب- (النسيان) أو ب- (بتغير الظروف)، وطرو مستجدات غيرت المعادلة، لكن (هذا والعهد قريب، والرسول لما يقبر) فأى عذر بعدها لكم؟ مع قطع النظر عن الجواب باستحالة كون هذا العهد مما يقبل التغير على كل الظروف.

وأما التعلل بخوف الفتنة فهو ما استشير إليه (عليها السلام) في ما سيأتي.

ثم إن نقض العهد والحال انه قريب، يكشف عن مزيد من خبث الباطن وعن مدى انقيادهم للشيطان الرجيم، كما أن في الجانب الآخر المسارعة إلى مغفرة من الرب تكشف عن سمو النفس وقوة العبودية له جل وعلا.

ص:192

1- وهو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

2- وهو الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) .

المسارعة للشر

مسألة: ربما يستفاد من قولها (عليها السلام): (ابتداراً) حرمة المبادرة للغضب ولمطلق المعصية، فقد يقال: بأن (الاغتصاب) محرم و(المبادرة إليه) محرم آخر.

وذلك بلحاظ أن (المبادرة) إلى الشر مذمومة عقلاً، كما ان فعله مذموم، كما أن (المسارعة) إلى الخير حسنة وممدوحة كفعله، ولذلك قال تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» (2)، وقال سبحانه: «فاستبقوا الخيرات» (3).

بضميمة (4) مثل: (العجلة من الشيطان) و«إياك والعجلة بالأمر قبل أوانها والتساقط فيها عند زمانها» (5).

ولأنها أكثر زماناً (6) وأوسع تأثيراً وأكبر آثاراً، ولما فيها (من سن سنة سيئة) (7)، فتأمل.

وقد يكون السر في الردع عنها عقلاً، أن في التأخير - إضافة إلى ما سبق - احتمال ارتداعه، وان العجلة فيها تسد الطريق - عادة - على التراجع.

ثم إن المبادرة للشر تكشف عن شدة التجري على الله سبحانه، والاستخفاف بنواهيه، وشدة الحرص على الدنيا، وخبث السريرة، وسوء الباطن، وقد قال الله سبحانه في حكم الاغتصاب لأموال اليتامى: «وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف

ص: 193

1- وفي بعض النسخ: (بداراً).

2- سورة آل عمران: 133.

3- سورة البقرة: 148، وسورة المائدة: 48.

4- ربما يكون التمهيد بذكر مذمومية المبادرة عقلاً، لدفع دخل كون مثل (العجلة من الشيطان) ملحوظة طريقياً محضاً.

5- تحف العقول: ص 147، ودعائم الإسلام: ج 1 ص 368.

6- إذ انه يبتدأ من اللحظة الأولى، بينما غير الابتدار يبتدأ من لحظات لاحقة.

7- وهي سرعة المبادرة للشر والمعصية، وتجد الحديث في مكارم الأخلاق: ص 454.

ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»(1).

أما المبادرة للخير فحسن وقد يجب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى وصيته لأمير المؤمنين (عليه السلام): «يا على، بادر بأربع قبل أربع، بشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «دوام الطاعات وفعل الخيرات والمبادرة إلى المكرمات من كمال الإيمان وأفضل الإحسان»(3).

وقال (عليه السلام): «المبادرة إلى العفو من أخلاق الكرام»(4).

وقال (عليه السلام): «للكرام فضيلة المبادرة إلى فعل المعروف واسداد الصنائع»(5).

وقال (عليه السلام): «بادر الفرصة قبل أن تكون غصة»(6).

وفى وصية لقمان (عليه السلام): «يا بنى بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك وقبل أن تسير الجبال سيراً»(7).

وقال (عليه السلام): «اغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل»(8).

وفى الحديث: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحسنات وسلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار بادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه..»(9).

وقال (عليه السلام): «بادر الخير ترشداً»(10).

وقال (عليه السلام): «طوبى لمن بادر صالح العمل قبل أن تنقطع أسبابه»(11).

ص: 194

1- سورة النساء: 6.

2- الخصال: ص 239 ح 86.

3- غرر الحكم: ص 184 ح 3478.

4- غرر الحكم: ص 245 ح 5005.

5- غرر الحكم: ص 383 ح 8719.

6- تحف العقول: ص 80.

7- الاختصاص: ص 340.

8- كنز الفوائد: ج 1 ص 349.

9- تحف العقول: ص 281.

10- غرر الحكم: ص 104 ح 1855.

11- غرر الحكم: ص 154 ح 2878.

وقال (عليه السلام): «بادر الطاعة تسعد»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «بادر البر فان اعمال البر فرصة»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام) فى الشعر المنسوب إليه:

تزود من الدنيا فانك راحل

وبادر فان الموت لا شك نازل

ومن المبادرة المذمومة ما قاله (عليه السلام): «المبادرة إلى الانتقام من شيم اللئام»⁽³⁾

قولها (عليها السلام): (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة)، الظاهر أن (ابتدارا) مفعول له⁽⁴⁾ مقدم لزعمتم، أى زعمتم خوف الفتنة، وهذا الزعم كان لأجل الابتدار الى أخذ الخلافة، وإلا لم تكن هنالك فتنة لان الخليفة معين من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)⁽⁵⁾.

ثم انه بلحاظ وقوع الابتدار فى موقع الذم الأكد والتقرير الشديد بل فى موقع اشد أنواع الذم والتألم والاحتجاج والردع، فى كلامها (عليها السلام) يستفاد ما ذكر من الحكم⁽⁶⁾.

تبرير المعصية

مسألة: يحرم تبرير المعصية فى الجملة، فان (التبرير) إضلال ومكر وخديعة.

وقد أشارت (عليها السلام) فى قولها (زعمتم خوف الفتنة) إلى الأسلوب الذى يستخدمه المنحرفون والطغاة عادة لإخماد صوت المعارضة، ولإقناع البسطاء والسذج، ولتكريس الواقع المنحرف، وهو (أسلوب التبرير).

وكثيرا ما نرى قادة انقلاب عسكرى يعللون انقلابهم بدكتاتورية الحكم السابق، مع انهم جاءوا بدكتاتورية اشد، ويخططون لظلم اكبر، أو يعللون بأنهم جاءوا للدفاع عن حقوق المستضعفين وشبه ذلك ثم يدوسونهم تحت أرجلهم.

ص: 195

1- غرر الحكم: ص 183 ح 3454.

2- غرر الحكم: ص 449 ح 10321.

3- غرر الحكم: ص 346 ح 7953.

4- كما فى قولك (ضربته تأديبا)، ف- (زعمتم خوف الفتنة ابتدارا).

5- كما يحتمل أن يكون (ابتداراً) مفعول له للأفعال السابقة.

6- أى الحرمة التى ذكرت فى أول المسألة.

وكان مما علل به القوم غضب الخلافة من الإمام على (عليه السلام) انهم قالوا إذا لم نبادر الى جعل الخليفة، تقع فتنة بين المسلمين، رغم ان الذين اعتذروا بمثل هذا كانوا يعلمون بأنه عذر غير صحيح، فان الفتنة بين المسلمين صارت بسببهم، وإلا فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عيّن الإمام على (عليه السلام) خليفة من بعده وأخذ البيعة له من المسلمين يوم غدير خم(1)، لكن «بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره»(2).

بل كان السبب هو حب الرئاسة والسلطة... كما قال على أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية: «أما والله لقد تمصها ابن أبي قحافة وانه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير»(3).

مثلث المعصية

مسألة: أشارت (صلوات الله عليها) في هذه الجملة القصيرة الى مثلث المعصية الذي وقعوا فيه، فانهم لم يرتكبوا محرماً واحداً بل كانت الجريمة مزدوجة، بل كان عملهم (مجمع المعاصي)، فقد (كذبوا) و(مكروا) و(خانوا).

فب- (ابتدأهم) إلى غضب الخلافة (خانوا) الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، و(خانوا) العهد والبيعة، و(خانوا) الإمامة والأمة.

وقد (كذبوا) في زعمهم إن ذلك كان (خوف الفتنة)، إذ كان السبب غير ذلك، بل هو حب الدنيا والرئاسة وما أشبه حيث حليت الدنيا في أعينهم.

وقد (مكروا) حيث حاولوا التغطية على واقع الجريمة باختلاق عذر أرادوا به إقناع الأمة وإغفال الناس «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»(4).

وبذلك كشفوا عن خبث باطنهم وسوء سريرتهم.

وحيث أنها (عليها السلام) في مقام اشد أنواع التقريع، ربما استفيد من ذلك - إلى جوار سائر الأدلة العامة والخاصة - مضافاً إلى حرمة الكذب والمكر والخيانة، كونها من اشد

ص: 196

1- للتفصيل راجع موسوعة (الغدیر) للعلامة الأمينی (رحمة الله) .

2- سورة القيامة: 14 - 15.

3- نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

4- سورة آل عمران: 54.

المصاديق حرمة، فان كل واحد منها تكون حرمة اعظم في الأمور العظيمة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فاني سمعت جبرئيل يول إن المكر والخديعة في النار، ثم قال (صلى الله عليه وآله): ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا سوء أسوء من الكذب»(2).

وقال (عليه السلام): «الكذب في العاجلة عار، وفي الآجلة عذاب النار»(3).

وقال (عليه السلام): «الكذب فساد كل شيء»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ثلاثة يرجعن على صاحبهن: النكث والبغى والمكر»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «واياك والمكر فان الله قضى أن لا يحقيق المكر السيئ إلا بأهله»(6).

وقال (عليه السلام): «المكر لؤم والخديعة شؤم»(7).

وقال (عليه السلام): «المكر سجية اللئام»(8).

وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الخيانة(9) وقال: «من خان أمانة في الدنيا ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت، مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه غضبان»(10).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الخيانة رأس النفاق»(11).

ص: 197

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 270 المجلس 46 ح 5.

2- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 321 المجلس 52 ح 8.

3- غرر الحكم: ص 220 ح 4399.

4- غرر الحكم: ص 220 ح 4406.

5- تفسير العياشى: ج 2 ص 121 سورة يونس.

6- تحف العقول: ص 35.

7- غرر الحكم: ص 291 ح 6478.

8- غرر الحكم: ص 291 ح 6481.

9- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 430 المجلس 66.

10- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 430 المجلس 66.

11- غرر الحكم: ص 460 ح 10519.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب»⁽¹⁾.

ألا فى الفتنة سقطوا

السقوط فى الفتن

مسألة: قولها (عليها السلام) يدل على أن القوم سقطوا فى الفتنة، ويلزم الاعتقاد بذلك، وهذا اقتباس من الآية المباركة: «ومنهم من يقول انذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين»⁽²⁾.

وقد ذكرنا فيما تقدم إن الدنيا لها اوجه: وجه دنيوى ملموس، ووجه أخروى نارى، ووجه أخروى نورى، ولا حاجة إلى تكرار ما سبق، وستأتى إشارة إليها ولكننا نضيف هنا:

إن التعبير ب-«فى الفتنة»، وفى للظرفية، بلحاظ إن الفتنة ليست أمرا مفردا وجزئيا واحدا عادة، بل هى ظرف محيط يطوق الإنسان فكريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغير ذلك، إذ هى منظومة متكاملة من الجزئيات والأقوال والأفراد والأحداث التى تحيط بالمرء من كل حذب وصوب، ف- (يسقط) فيها الناس.

والتعبير ب- (سقطوا) أيضا لنكتة دقيقة، فإن الفتنة هى مهوى سحيق، وبئر عميقة موحشة يسقط فيها الإنسان، وليس الأمر مجرد منظومة تحيط بإنسان من كل صوب.

وكذلك كانت (فتنة السقيفة) فلم تكن مفردة واحدة، بل كانت سلسلة متعاضدة من التخطيط والضغط والقهر والقسر والإرهاب:

أحد أطرافها إنكار وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتهديد من يقول بذلك⁽³⁾..

ص: 198

1- الاختصاص: ص 231.

2- سورة التوبة: 49.

3- قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة: «وروى جميع أصحاب السيرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما توفى كان أبو بكر فى منزله بالسنع... فقال عمر بن الخطاب: ما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرفج بموته، لا اسمع رجلاً يقول مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ضربته بسيفي!» وراجع الطرائف: ص 451.

1- من أراد التفصيل فى هذا الباب فليراجع كتاب (الهجوم على بيت فاطمة) لمؤلفه عبدالزهراء مهدي، ولا بأس هنا بالإشارة السريعة إلى بعض ما ورد فى هذا الكتاب من قصة حرق الدار أو كسر الضلع وإسقاط الجنين وذكر بعض رواها من مصادر الشيعة والسنة، تميمياً للفائدة: فمن مصادر الشيعة: 1. أبو الصلاح الحلبي (ت 447): راجع تقريب المعارف: ص 233. 2. أبو الفتح بن مخدوم العريشاهي الجرجاني (ت 976): انظر مفتاح الباب: ص 199 المطبوع مع الباب الحادى عشر. 3. أبو الفتح محمد بن على الكراچكى (ت 449): كنز الفوائد: ص 63-64. 4. أبو القاسم جعفر بن محمد قولويه (ت 367): كامل الزيارات: ص 332-334. وص 326-327. 5. أبو جعفر الطبرى: بشارة المصطفى: ص 198. 6. أبو محمد طلحة بن عبد الله العونى (ق 4): مثالب النواصب: ص 420-422. 7. أبو مخنف لوط بن يحيى (ت 158): (ترجمة بحر الأنساب) ص 12، عنه (الهجوم على بيت فاطمة ص 224). 8. أبو هاشم اسماعيل بن محمد الحميرى (ت 173): الصراط المستقيم: ج 3 ص 13. 9. العلامة المولى مهدي النراقى (ت 1209): أنيس الموحدين: ص 180. 10. المحقق الثانى الكركى العاملى (ت 940): نفحات اللاهوت: ص 78 و 130. 11. ابن أبى الجمهور الأحسانى (ت ق 10): مناظرات فى الإمامة: ص 378. والمجلى: ص 417 وص 437. 12. ابن بابويه القمى (ت 329): مثالب النواصب: ص 26. 13. ابن حمزة الزيدى (ت 614): الشافى: ج 4 ص 174. 14. ابن شهر آشوب (ت 588): مثالب النواصب: ص 419 و 420. 15. ابو اسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى (ت 283): الهجوم على بيت فاطمة: ص 231. 16. الإمامى الخاتون آبادى (ت 1128): جنات الخلود: ص 19. 17. الأمير على بن مقرب الإحسانى (ت 629): ادب الطف: ج 4 ص 31. 18. الجرمقى البسطامى الخراسانى (ق 13): خزائن المصائب: ب 2 ص 11. 19. الحاج محمد حسن القزوينى (ت 1240): رياض الشهادة فى مصائب السادة: ج 1 ص 122. 20. الحاج ملا اسماعيل السبزوارى (ت 1312): جامع التورين: ص 206 و 244. 21. الحسن بن بدر الدين الحسينى الزيدى (ت 670): أنوار اليقين: ص 378-379. 22. الحسن علاء الدين الحلبي (ق 8): عنه الغدير: ج 6 ص 391-392. 23. الحسين العقيلى الرستمدارى (ق 10): رياض الأبرار: ص 33. 24. السروجى: مثالب النواصب: ص 423. 25. السيد الحسنى الرازى (ق 6): تبصرة العوام: ص 49. 26. السيد بن طاووس (ت 664): الطرائف: ص 238. 27. السيد حيدر العلوى الحسينى الآملى (ت 787): الكشكول: ص 83-84. 28. السيد رضى الدين على بن رضى الدين على بن طاووس (ق 7): زوائد الفوائد، عنه البحار ج 98 ص 353. 29. السيد محمد التقوى الهندى (ت 1284): طعن الرماح المسمى بالفوائد الحيدرية: ص 93. 30. السيد محمد باقر المجتهد الكنجوى: (مرقات الإيقان): ج 1 ص 125 و 112. 31. السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائى (ت 1212): مستدركات أعيان الشيعة: ج 2 ص 332. 32. السيد ناصر الهندى (ت 1361): إفحام الاعداء والخصوم: ج 1 ص 93. 33. السيد هادى بن إبراهيم الوزير (ت 822): نهاية التنويه فى إزهاق التمويه: ص 122. 34. الشريف أبو الحسن بن محمد طاهر النباطى العاملى (ت 1138): ضياء العالمين: ج 1 ص 546 و 557. 35. الشريف المرتضى (ت 436): الشافى: ج 3 ص 241. 36. الشيخ أبو السعادات اسعد بن عبد القاهر الاصفهانى (ق 7): رشح الولاء فى شرح الدعاء، عنه البحار: ج 85 ص 264-266. 37. الشيخ أبو زينب النعمانى (ق 3): الغيبة: ص 47. 38. الشيخ احمد الطبرسى (ق 6): الاحتجاج: ص 80 و 278. 39. الشيخ البحرانى فى عوالم العلوم: ج 11 ص 391. 40. الشيخ الديلمى (ت 771): إرشاد القلوب: ص 295. 41. الشيخ الصدوق (ت 381): أمالى الصدوق: ص 114 و 134. ومعانى الأخبار: ص 206. 42. الشيخ الطوسى (ت 460): تلخيص الشافى: ج 3 ص 76. 43. الشيخ الكلينى (ت 329): الكافى: ج 1 ص 458. 44. الشيخ المفيد (ت 413): الاختصاص: ص 185-187. والأمالى: ص 49-50. والجمل: ص 117-118. 45. الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت 1228): كشف الغطاء: ص 18. 46. الشيخ حسن بن سليمان الحلبي (ق 8): المحتضر: ص 61. 47. الشيخ حسن بن سليمان الحلبي: المحتضر: ص 109. 48. الشيخ حسين بن عبد الرزاق التبريزى (ق 13): بشارة

الباكين: ص 26. 49. الشيخ زين الدين العاملي البياضى (ت 877): الصراط المستقيم: ج 2 ص 301 وج 3 ص 94 وص 239. 50. الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزى البحرانى (ت 1121): ذخيرة يوم المحشر: ص 98. 51. الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس (ت 840): الصوارم الحاسمة، عنه الجنة العاصمة ص 252. 52. الشيخ عبد الجليل القزوينى الرازى (560): كتاب النقض: ص 317. 53. الشيخ عبد الخالق بن عبدالرحيم اليزدى (ت 1268): مصائب المعصومين: ص 127. 54. الشيخ على أكبر النهاوندى (ت 1369): أنوار المواهب: ص 97-98. 55. الشيخ محمد باقر الفشاركى (ت 1314): عنوان الكلام: ص 142، المجلس 25. 56. الشيخ محمد باقر القاينى البيرجندى (ت 1352): الكبريت الأحمر: ص 277. 57. الشيخ محمد تقى المعروف بأغا نجفى (ت 1332): اسرار الزيارة بهامش حقائق الأسرار: زيارة فاطمة (عليها السلام). 58. الشيخ محمد جواد اليزدى المشهدى الشيبانى: شعشة الحسينية: ص 144. 59. الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت 1373): جنة المأوى: ص 133. 60. الشيخ محمد على الكاظمى (ت 1281): حزن المؤمنين: ص 61. 61. الشيخ مغماس الحلى (ق 9): المنتخب: ج 2 ص 69. 62. الشيخ مفلح الصيمرى (ت 900): المنتخب: ج 1 ص 137. 63. الشيخ مفلح بن صلاح البحرانى (ق 9): الزام النواصب: ص 153-154. 64. العلامة الأمينى (ت 1390): الغدير: ج 7 ص 74-77. 65. العلامة البياضى (ت 877): الصراط المستقيم: ج 2 ص 92. 66. العلامة الحلى (ت 726): شرح التجريد: ص 376-377. وراجع نهج الحق أيضا. 67. العلامة الخواجونى المازندرانى (ت 1173): الرسائل الاعتقادية: ج 1 ص 444. 68. العلامة السيد عبد الله الشبر (ت 1242): حق اليقين: ج 1 ص 188. وجملاء العيون: ج 1 ص 193. 69. العلامة السيد محمد قلى الموسوى الهندى والد صاحب العباقت (ت 1268): تشييد المطاعن: ج 1 ص 434. 70. العلامة الشيخ محمد تقى المجلسى (ت 1070): روضة المتقين: ج 5 ص 342. 71. العلامة الشيخ محمد حسين المظفر: دلائل الصدق: ج 3 ص 52 و 53. 72. العلامة المجلسى (ت 1111): حق اليقين: ص 189. ومراة العقول: ج 5 ص 318. وجملاء العيون: ص 144. وانظر بحار الأنوار: ج 43 ص 172 و 197 وج 28 ص 38 وص 297-300. 73. العلامة شرف الدين: المراجعات: ص 266. 74. الفاضل المقداد السيورى (ت 826): اللوامع الالهية: ص 301. 75. الفيض الكاشانى (ت 1091): علم اليقين: ج 2 ص 700. 76. القاضى نعمان المغربى (ت 363): الأرجوزة المختارة: ص 89-90. 77. القاضى نور الله التستري (ت 1019): مصائب النواصب: ص 129. 78. المحدث الجليل الشيخ عباس القمى (ت 1359): بيت الأحزان: ص 102-103. 79. المحدث الجليل الشيخ يوسف البحرانى (ت 1186): الحدائق الناضرة: ج 5 ص 180. 80. المحقق الأردبيلى (ت 993): الحاشية على إلهيات شرح الجديد للتجريد: ص 258. وحديقة الشيعة: ص 30. وص 265-266. 81. المحقق الحلى صاحب الشرائع (ت 676): المسلك فى أصول الدين: ص 260. 82. المحقق نصير الدين الطوسى (ت 672): شرح تجريد الاعتقاد ص 376-377. 83. المنزورن السلماسى (ت 1223): مصائب الأبرار: ص 27-28. 84. الملا محمد باقر اللاهيجى (ق 11): تذكرة الأئمة: ص 63. 85. المولى محمد صالح المازندرانى (ت 1081): شرح الكافى: ج 7 ص 207. 86. حسن بن حمدان الخصيبى (ت 334): الهداية الكبرى: ص 138-139. وص 178-179. وص 408. 87. حسن بن على اليزدى (ت 1297): أنوار الشهادة فى مصائب العترة الطاهرة: ص 207. 88. حيدر على بن ميرزا محمد الشروانى (ق 12): رسالة فيما ورد فى صدر هذه الأمة: ص 121. 89. رضى الدين على بن يوسف الحلى (ق 7): العدد القوية: ص 225. 90. سبهر صاحب ناسخ التواريخ (ت 1297): ناسخ التواريخ، الخلفاء: ج 1 ص 51. 91. سليم بن قيس الهاللى (ت 76 أو 90): كتاب سليم بن قيس. 92. شاذان القمى: الفضائل: ص 9. 93. صدر الواعظين القزوينى (ت 1330): رياض القدس ج 2 المسمى بحدائق الأنس: ص 255. 94. ضياء الدين بن سديد الدين الجرجانى (ق 9): رساله عقائد مذهب شيعة، رسائل فارسى جرجانى: ص 210. 95. ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسنى اليمنى الصنعانى (ت 1121): نسمة السحر: ج 2 ص 472. 96. عز الدين محمد بن احمد بن الحسن الديلمى (ت 711): قواعد عقائد آل محمد: ص 239 وص 270. 97. على بن الحسين المسعودى (ت 346): اثبات الوصية: ص 153-155. 98. على بن حماد (ق 4): مجالس المؤمنين: ج 2 ص 565. ومثالب النواصب: ص 86. 99. على بن داود الخادم الاسترآبادى (ق 11): أنساب التواصب: ص 45 وص 95. 100. على بن عيسى الإيربلى (ت 693): كشف الغمة: ج 1

ص 497. 101. علي بن محمد العمري النسابة (ت 490): المجدى فى انساب الطالبين: ص 19. 102. علي بن محمد الوليد الداعى الاسماعيلى اليمنى (ت 612): تاج العقائد ومعدن الفوائد: ص 80. 103. علي بن محمد بن عمار البرقى (ت 245): الصراط المستقيم: ج 3 ص 13 ومثالب النواصب: ص 423. 104. عماد الدين القرشى (ت 872): عيون الأخبار: ص 6. 105. عماد الدين حسن بن علي الطبرى الأملى (ق 7): تحفة الأبرار: ص 249. 106. كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرانى (ت 679): شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج 1 ص 252. 107. محمد باقر الشريف الحسينى الاصفهانى (ق 12): نور العيون: ج 2 المجلس 3. 108. محمد بن اسحاق الحموى (ق 10): انس المؤمنين: ص 52. 109. محمد بن جرير الطبرى الإمامى (ق 5): دلائل الإمامة ص 26-27 وص 45. 110. محمد بن جمال الدين مكى العاملى الشهيد الأول (ت 786): بحار الأنوار: ج 101 ص 44. 111. محمد بن علي أكبر الخراسانى (ت بعد 1261): ماتمكده: المجلس 13. 112. محمد بن علي الطرازى (ت 450): الاقبال: ص 625. 113. محمد بن مسعود العياشى (ت 320): تفسير العياشى: ج 2 ص 66-68. 114. محمد تقى سبهر الكاشانى (ت 1321): ناسخ التواريخ، ترجمة فاطمة الزهراء ص 97. 115. محمد هادى الميلانى (ت 1242): لسان الذاكرين: ج 1 ص 94. 116. يحيى بن الحسين الزيدى اليمنى (ت 298): تثبيت الإمامة ص 15-17. إلى غيرهم من المتقدمين والمتأخرين.. وإليك بعض النصوص فى هذا الباب: قال سليم بن قيس الهلالي فى كتابه: ج 2 ص 907 ط الحديثة: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابنته فاطمة (عليها السلام): «إنك أول من يلحقنى من أهل بيتى وأنت سيدة نساء أهل الجنة وسترين بعدى ظلما وغيظا حتى تضربى ويكسر ضلع من أضلاعك، لعن الله قاتلك ولعن الله الأمر والراضى والمعين والمظاهر عليك وظالم بعلك وابنيك». وسليم أيضا فى كتابه: ج 2 ص 673-675 ط الحديثة: «فلقيت عليا صلوات الله عليه فسألته عما صنع عمر، فقال: هل تدري لم كف عن قنفذ ولم يغرمه شيئا؟ قلت: لا، قال: لأنه هو الذى ضرب فاطمة بالسوط حين جاءت لتحول بينى وبينهم فماتت صلوات الله عليها وإن أثر السوط لفى عضدها مثل الدمليج». وفى حديث آخر: «فنظر على (عليه السلام) إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: شكر له ضربها فاطمة بالسوط فماتت وفى عضدها أثره كأنه الدمليج». وقال أيضا: «... ثم عاد عمر بالنار فأضرمها فى الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله، فرفع السيف وهو فى غمده فوجأ به جنبها فصرخت فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه...» المصدر: ج 2 ص 763-865. وقال أيضا: «... وقد كان قنفذ... ضرب فاطمة بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها وأرسل إليه عمر: إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها، فألجأها قنفذ إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعا من جنبها، فألقت جنينا من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت (عليها السلام) من ذلك شهيدة». المصدر: ج 2 ص 584-588. وقال الخصيبى (ت 334) فى حديث عن فاطمة الزهراء (عليها السلام): «فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت، فأخذت بعضادتي الباب وقلت: ناشدتكُم الله وبأبي رسول الله أن تكفوا عنا وتنصرفوا، فأخذ عمر السوط من قنفذ مولى أبى بكر فضرب به عضدى فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدمليج، وركل الباب برجله فرده على وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر، وصفق وجهي بيده حتى انتثر قرطى من أذنى، وجاءنى المخاض فأسقطت محسنا قتيلا بغير جرم...». الهداية الكبرى: ص 178-179. والخصيبى عن الإمام الصادق (عليه السلام): «... وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين لإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط ورفس بطنها واسقاطها محسنا...». وأيضا عنه (عليه السلام): «... فقال لها عمر: دعى عنك يا فاطمة حمقات الناء، فلم ين الله ليجمع لم النبوة والخلافة، وأخذت الار فى خشب الباب وإدخال قنفذ يده.. يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها حتى صار كالدمليج الأسود، وركل الباب برجله حتى أصاب بطنها وهى حامله بالمحسن لسته أشهر وإسقاطها اياه، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد وصفقة خدها حتى بدا قرطها تحت خمارها وهى تجهر بالبكاء وتقول: وأبتاه، وارسل الله، ابنتك فاطمة تكذب وتضرب ويقتل جنين فى بطنها... وصاح أمير المؤمنين بفضة: يا فضة مولانك فأقبلى منها ما تقبله النساء فقد جاءها المخاض من الرفسة ورد الباب، فأسقطت محسنا... إلى أن قال: فبكى الصادق (عليه السلام) حتى اخضلت لحيته بالدموع ثم قال: لا قرت عين لا تبكى عند هذا الذكر». الهداية الكبرى: ص 401-408. وقال الشيخ الطوسى (ت 460): «ومما أنكر عليه ضربهم لفاطمة وقد روى أنهم ضربوها بالسياط

والمشهور الذى لا خلاف فيه بين الشيعة أن عمر ضرب بطنها حتى أسقطت فسمى السقط محسناً والرواية بذلك مشهورة عندهم». تلخيص الشافى: ج3 ص156. ومن مصادر العامة: البلاذرى فى (انساب الأشراف): ج1 ص586 ط مصر (ج2 ص268 ط دار الفكر): «ان ابابكر أرسل إلى على يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فلقتة فاطمة على الباب، فقالت فاطمة يابن الخطاب، أتراك محرقاً على بابى؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك...». والبلاذرى أيضاً فى (انساب الأشراف) ج1 ص587 (ج2 ص269 ط دار الفكر) بسنده عن ابن عباس قال: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى على حين قعد عن بيعته وقال: انتنى به بأعنف العنف...». والنوفلى فى كتاب (الأخبار) عنه مروج الذهب ج3 ص77 ط دار الهجرة: «كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بنى هاشم وحصره إياهم فى الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا فى طاعته كما أرب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحتراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف». وابن أبى الحديد عن المسعودى: «كما فعل عمر بن الخطاب بينى هاشم، لما تأخروا عن بيعة أبى بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار» شرح نهج البلاغة: ج20 ص147. وابن أبى الحديد فى شرح النهج عن أبى بكر احمد بن عبد العزيز البغدادى فى كتابه (السقيفة وفدك): (سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند على وقد تقلد سيفه، فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتيا نى بهما، فانطلقا... ثم قال (عمر) لعلى: قم فبايع لأبى بكر، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحملة ودفعه كما دفع الزبير وأخرجه، ورأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجره وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله» شرح النهج: ج2 ص57. وأيضاً ابن أبى الحديد عن كتاب (السقيفة وفدك): (ثم دخل عمر فقال لعلى قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحملة ودفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون وامتلأت شوارع المدينة بالرجال...» شرح نهج البلاغة: ج6 ص11. وابن أبى الحديد فى شرح النهج: ج6 ص11: «جاء عمر إلى بيت فاطمة فى رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذى نفسى بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم... ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبابكر». وأيضاً فى شرح النهج: ج2 ص56: «فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف وخرجت فاطمة تبكى وتصيح فنهت من الناس». وابن أبى الحديد عن أستاذه أبى جعفر النقيب أنه قال: «إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال انه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها، فقلت: اروى عنك ما يقوله قوم ان فاطمة روعت فألقت المحسن؟ فقال: لا تروه عنى ولا تروه عنى بطلانه، فإنى متوقف فى هذا الموضوع، لتعارض الأخبار عندى فيه» شرح نهج البلاغة: ج14 ص193. واليعقوبى فى (تاريخه): ج2 ص126: «وبلغ أبابكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع على بن أبى طالب فى منزل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتوا فى جماعة حتى هجموا الدار وخرج على ومعه السيف، فلقيه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعرى ولأعجن إلى الله...». والطبرى فى (تاريخه): ج3 ص101 ط بيروت (وج2 ص203 ط مصر): «أتى عمر بن الخطاب منزل على وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة». والمتقى الهندى فى (كنز العمال) ج5 ص651 ح14138: «عن أسلم انه حين بويع لأبى بكر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان على والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويشاورونها ويرجعون فى أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما من الخلق أحد أحب إلى من أيبك وما من أحد أحب إلينا بعد أيبك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعى إن اجتمع هؤلاء نفر عندك أن أمرهم أن يحرق عليهم الباب، فلما خرج عليهم عمر جاؤوا، قالت: تعلمون أن عمر قد جاءنى وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم الباب وأيم الله ليمضين لما حلف عليه». وهذا رواه السيوطى أيضاً فى (مسند فاطمة): ص36. وقريباً منه رواه ابن عبد البر فى (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب): ج3 ص975 ط القاهرة. والنويرى فى (نهاية الارب فى فنون الأدب): ج19 ص40. والشاه ولى الله الدهلوى فى كتابه (ازالة الخفاء) ج2 ص29 وص179، وأيضاً فى كتابه (قرة العينين) ص78. وابن أبى شيبه فى كتاب (المصنف): ج7 ص432 ح37045. وابن عبد ربه فى العقد الفريد ج4 ص242 وفى ج4 ص259: «الذين تخلفوا

عن بيعة أبي بكر: علي والعباس والزبير ففعدوا في بيت فاطمة، حتى بعث اليهم أبو بكر، عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: ان أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار علي أن يضرهم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب، أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة». وابن حنابلة في كتابه (الغرر): «قال زيد بن اسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة، حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبائعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلا أحرقتة ومن فيه، قال: وفي البيت علي والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي، فقالت فاطمة: أفتحرق علي وولدي، فقال: أي والله أو ليخرجن وليبايعن). عنه ابن شهر آشوب في (مثالب النواصب) ص 419، والسيد بن طاووس في الطرائف ص 239 والعلامة الحلبي في نهج الحق: ص 271. وأبو الفداء في (المختصر في أخبار البشر): ج 1 ص 156 ط دار المعرفة بيروت: «ثم ان ابابكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضى الله عنها وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار علي أن يضرهم الدار، فلقيته فاطمة رضى الله عنها وقالت: إلى أين يا بن الخطاب، أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو يدخلوا فيما دخل فيه الأمة». والشهرستاني في (الملل والنحل): ج 1 ص 57 تحت عنوان النظامية وما يعتقد به النظام: (ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألتقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين). وابن تيمية في (منهاج السنة) ج 4 ص 220: بعد ذكر اعتراف أبي بكر بالهجوم: «غاية ما يقال: انه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه». وابن قتيبة الدينوري في (الامامة والسياسة) ص 17-20: «وان ابابكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها علي من فيها، فقتل له: يا أبا حفص، ان فيها فاطمة، فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال: (حلفت ان لا أخرج ولا أضع ثوبي علي عاتقي حتى أجمع القرآن) فوقفت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً، فأتى عمر أبابكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقفذ وهو مولى له: أذهب فادع لي علياً، قال: فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك: فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتهم علي رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقفذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت (فاطمة) أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله الا هو نضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: اما عبد الله فنعم، وأما اخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه علي شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصيح ويبكى وينادى يا « ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » (سورة الأعراف: 150)، فقال عمر لأبي بكر: ... انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا علي فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلما، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام. فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب الي من قرابتي، وإنك لأحب الي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك مت، ولا أبقى بعده، أفراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حثك وميراثك من رسول الله إلا أنى سمعت أباك رسول الله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة!». فقالت: أرأيتمكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله، قالت: فإنني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه، فقال ابو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه

وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب ابوبكر بيكى حتى كادت نفسه أن ترهق، وهى تقول: والله لأدعون عليك فى كل صلاة أصلها، ثم خرج باكياً، فاجتمع اليه الناس فقال لهم: بيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتمنى وما انا فيه، لا حاجة لى فى بيعتكم، أقبلونى بيعتى». الحديث والشاه عبد العزيز الدهلوى قال فى الرد على الطعن الثانى من مطاعن عمر: «انما هدد عمر من التجأ إلى بيت فاطمة بزعم انه ملجأ ومعاذ للخائنين فجعلوه مثل مكة المكرمة وقصدوا الفتنة والفساد وتشاوروا فى نقض خلافة أبى بكر، والحق ان فاطمة كانت تكره اجتماعهم فى بيتها ولكنها لحسن خلقها لم تمنعهم من ذلك صريحا، فلما تبين ذلك لعمر هددهم باحراق البيت عليهم» !!.

تحفة اثنى عشرية ص 464. والمقرزى فى الخطط (المواعظ والاعتبار) ج 2 ص 346: «وزعم (أى النظام) أنه (أى عمر) ضرب فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنع ميراث العترة». والحموينى فى (فرائد السمطين): ج 3 ص 34-35: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى حديث: «... وأما ابنتى فاطمة ... وإنى لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدى، كأتى بها وقد دخل الدل بيتها وانتهكت حرمتها وغضب حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنبها وهى تنادى يا محمداه فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث فلا تزال بعدى محزونة مكروية باكية...». والصفدى فى (الوافى بالوفيات) فى ترجمة النظام: ج 6 ص 17: (ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقى المحسن). والحافظ الذهبى فى (ميزان الاعتدال): ج 1 ص 139، و(سير اعلام النبلاء): ج 15 ص 578، قال عند ذكر احمد بن محمد بن السرى بن يحيى المعروف بابن أبى دارم: «... ثم كان فى آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: ان عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن». ورواه ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان: ج 1 ص 268. وأبو الوليد محمد بن شحنة فى (روضه المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر، هامش الكامل لابن الأثير: ج 11 ص 113): «ثم ان عمر جاء إلى بيت على ليحرقه على من فيه، فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة». ثم هناك من العامة من تطرق إلى حديث حرق الدار وما أشبه ونسبه إلى الشيعة أو ردها، فمنهم: المقدسى فى (البدء والتاريخ): ج 5 ص 20 عند ذكر أولاد فاطمة: «وولدت محسنا وهو الذى تزعم الشيعة أنها أسقطته من ضربة عمر». وأبو الحسين الملطى الشافعى فى (التنبيه والرد): ص 25: «... فزعم هشام (أى هشام بن الحكم) ... ان أبابكر مر بفاطمة فرفس فى بطنها فأسقطت وكان سبب علتها ووفاتها، وأنه غصبها فذك». والقاضى أبو الحسن عبد الجبار الاسد آبادى (المغنى): ج 20 ص 335: «ومن جملة ما ذكره من الطعن ادعاهم ان فاطمة لغضبها على أبى بكر وعمر أوصت أن لا يصلها عليها وأن تدفن سرا منهما فدفنت ليلا، وادعوا برواية رووها عن جعفر بن محمد وغيره: ان عمر ضرب فاطمة بسوط وضرب الزبير بالسوط ... ثم نقل قول عمر لفاطمة: وأيم الله لئن اجتمع هؤلاء نفر عندك ليحرقن عليهم» ثم قال إلى غير ذلك من الروايات البعيدة. وابن تيمية فى منهاج السنة: ج 4 ص 220: «انما ينقل مثل هذا جهال الكذابين ويصدقهم حمقى العالمين الذين يقولون: ان الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى اسقطت». وابن حجر الهيثمى فى الصواعق المحرقة: ص 51: «الا ترى إلى قولهم (أى قول الشيعة) ان عمر قاد عليا بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت فأسقطت ولداً اسمه المحسن». والبرزنجى فى (النواقض للروافض والنواقض): ص 41: «انهم قالوا: ان عمر بن الخطاب ذهب إلى دار على ... وخافت فاطمة منه وأسقطت ولداً اسمه المحسن». ورسول بن محمد فى (نصيحة الشيعة الإمامية) ص 45: «قول الإمامية ان عليا كان فى بيته فجاء عمر ليأخذ منه البيعة لأبى بكر، فناداه من الباب، فخرجت اليه فاطمة فقالت من داخل الباب يا عمر أى شىء تريد من على ... فغضب عمر لذلك ف ضرب الباب برجله وكسره ووقع من كسره رضى فى بطن فاطمة ووقع سقط من فاطمة اسمه محسن ودخل الدار وأوقع حبلا فى عنق على فجره إلى أبى بكر فأخذ منه البيعة لأبى بكر كرهاً وجبراً». هذا وشعر محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل معروف: وقولة لعلى قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها حرقت دارك لا أبقي عليك بها ان لم تباع وبنت المصطفى فيها ما كان غير أبى حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميهما إلى غير ذلك... علماً بأنهم قد كتموا كثيرا منها رعاية لسمعة خلفائهم، كما حذفوا بعض هذه التصريحات من بعض الطبقات لذلك، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين. (مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر).

ضلعها وإسقاط جنينها الذى سماه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) محسنا(1).....

وغير خفى إن السقوط فى الفتنة أمر اختياري حدودا واستمرارا، ولو فرض كونه فى بعض مراحل فى بعض الأزمان غير اختياري، فان ما بالاختيار لا ينافي الاختيار فعليه العقوبة دون ريب وذلك للتقصير فى المقدمات.

وقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الفتنة وأمر الناس باتباع الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) دون غيره، حيث قال:

«ستكون من بعدى فتنة فإذا كان كذلك فألزموا على بن أبى طالب، فانه الفاروق بين الحق والباطل»(2).

كما أخبر (صلى الله عليه وآله) بالفتن فى آخر الزمان حيث قال: «سيأتى على أمتى زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، يسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود»(3).

وان جهنم لمحيطه بالكافرين

الكفر موضوعا وحكما

مسألة: اقتباسها (عليها السلام) الآية الشريفة: «ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين»(4) وذكرها هاهنا، يدل على شهادتها (عليها السلام) بان ما فعلوه (من غصب الخلافة وفدك، وإيذاء آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد قال فيها (صلى الله عليه وآله وسلم): (من آذاها فقد آذانى ومن

ص: 209

1- راجع المناقب: ج 3 ص 251.

2- المناقب: ج 3 ص 91، وكشف الغمة: ج 1 ص 143.

3- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 253 وأعلام الدين: ص 406.

4- سورة التوبة: 49.

آذاني فقد آذى الله) (1) و... .

استلزم الكفر وذلك واضح، وإلا لزم لغوية ذكر هذه الآية ههنا.

ثم انه هل المقصود الكفر موضوعا أو حكما (2)؟

فان الكفر على قسمين:

1: كفر العقيدة.

2: كفر النعمة.

تفصيل البحث في المفصلات، وهذه الآيات ونظائرها توضح أقسام الكفر أكثر فكثر.

قال تعالى: «قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع إلا ما يوحى الى وما أنا إلا نذير مبين * قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين» (3).

ومن الواضح أن نصب أمير المؤمنين على (عليه السلام) خليفة من بعده (صلى الله عليه وآله) كان من عند الله دون شك، قال تعالى: «يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك...» (4).

وقال سبحانه: «.. فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع» (5).

وقال تعالى: «وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به» (6).

وقال سبحانه: «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا» (7).

ص: 210

1- المناقب: ج 3 ص 332.

2- (الكفر موضوعاً) يعنى إنكار ضرورى من ضروريات الدين وإنكار الأمر الإلهى الصريح عنادا ولجاجة كما قال تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» سورة النمل: الآية 14، والبعض قد أنكر خلافة الإمام على (عليه السلام) رغم علمه بها فى واقعة غدیر خم وغيرها، إلا أن الشارع لم يرتب عليه آثار الكفر من النجاسة وبينونة الزوجة وتقسيم الإرث وحرمة الذبيحة و... فهو كفر موضوعى لاحكمى، وهذا هو رأى المشهور والنادر ذهب الى الكفر الحكمى أيضا.

3- سورة الأحقاف: 9-10.

4- سورة المائدة: 67.

5- سورة النحل: 112.

6- سورة إبراهيم: 9.

7- النساء: 56.

وقال عزوجل: «سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع»(1).

وقال تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب»(2).

وقال سبحانه: «ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب»(3).

قال تعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين»(4).

وقال عزوجل: «أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل»(5).

وقال سبحانه: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله»(6).

وقال تعالى: «أفالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون»(7).

قال عزوجل: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً»(8).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حب على إيمان وبغضه كفر»(9).

وعن ابن عباس انه مر بمجلس من مجالس قریش وهم يسبون على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال لقائله ما يقول هؤلاء؟

قال: يسبون علياً.

قال: قربنى إليهم.

فلما أن وقف عليهم قال: أيكم الساب الله؟

ص: 211

1- سورة المعارج: 1- 2.

2- سورة البقرة: 85.

3- سورة آل عمران: 19.

4- سورة المائدة: 5.

5- سورة القصص: 48.

6- سورة البقرة: 61.

7- سورة النحل: 72.

8- سورة الأحزاب: 36.

قالوا: سبحان الله ومن يسب الله فقد أشرك بالله.

قال: فأياكم الساب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قالوا: ومن يسب رسول الله فقد كفر.

قال: فأياكم الساب على بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)؟

قالوا: قد كان ذلك.

قال: فاشهد بالله واشهد الله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عز وجل»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من حسد علياً فقد حسدني ومن حسدني فقد كفر»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كفر»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا بن عباس لا تشك في علي فان الشك فيه كفر يخرج عن الإيمان ويوجب الخلود في النار»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن علياً خير البشر من أبي فقد كفر»(5).

قولها (عليها السلام): «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين» (6) فانهم زعموا انهم يريدون الخروج من الفتنة (المزعومة) فوقعوا في فتنة حقيقية مؤكدة، لأن مخالفة أمر الباري جلّ وعلا ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخلافة (7) فتنة ليست فوقها فتنة.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فارق علياً (عليه السلام) بعدى لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن

ص:212

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 97 المجلس 21 ح2.

2- المناقب: ج3 ص213.

3- المناقب: ج3 ص221.

4- كشف الغمة: ج1 ص390.

5- الصراط المستقيم: ج3 ص143، رواه عن عائشة وقيس بن جازم الأصفهاني والشيرازي وابن مردويه والخوارزمي وابن حنبل والبلاذري وابن عبدوس والطبراني.

6- سورة التوبة: 49.

7- حيث قال تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين » سورة المائدة: 67.

خالف علياً حرم الله عليه الجنة، وجعل مأواه النار وبئس المصير، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ولقنه حجته عند المساءلة»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا بن عباس من خالف علياً فلا تكون ظهيراً له ولا ولياً، فوالذى بعثنى بالحق نبياً ما يخالفه أحد إلا غير الله ما به من نعمة وشوه خلقه قبل إدخاله النار»(2).

نافذة نحو العالم الآخر

أما «إن جهنم لمحيطه بالكافرين»(3) فلأن الآخرة امتداد للدنيا(4) والثواب والعقاب يكونان أيضاً فى نفس هذه الدنيا، كما يكونان فى عالم الآخرة، والآخرة محيطه بالدنيا، تنتهى الأمر إن (منافذ) الإنسان (نوافذه) نحوها مغلقة ما دام حياً، فما أعطى من الحواس الخمس نوافذها للعالم الدنيوى، والحاسة السادسة والأحلام وغيرها إنما هى (إشارات) لنوافذ ربما تطلّ على العالم الآخر..

ولذلك فإن الإنسان المؤمن لا (يحسّ) ولا (يشهد) عادة: حسن الآخرة ونعيمها مادام فى الدنيا، والإنسان السيئ لا يحس بعقوبات عالم الآخرة مادام حياً لأن حواسهما ليست من حواس الآخرة، ولم يعط فى الدنيا تلك الحواس التى تكشف له آفاق ذلك العالم، فحاله حال الإنسان الذى فقد ذوقه أو بصره أو سَمعه أو شَمّه أو لمسّه، فانه يلامس الأشياء دون أن يحس بلطافتها وطراوتها أو خشوتها، ويكون أمامه المرئى وتملاً غرفته الأصوات (من صدح البلابل إلى هدير المحركات) دون أن يرى أو يسمع شيئاً، وهكذا بالنسبة إلى الذوق والشم، بينما قد يوجد الى جانبه من لم يفقد حواسه الخمس فانه يحسّ بكلّ ذلك ويشهدها بوضوح.

بل ربما أحسّ المريض بمرارة الحلاوة، بينما الصحيح يكتشفها حلوة كما هى.

ص: 213

1- كمال الدين: ص 260 والتحصيل لابن طاووس: ص 553.

2- كشف الغمة: ج 1 ص 390.

3- سورة التوبة: 49.

4- كما ان عالم الدنيا امتداد لعالم الأرحام والأصلاب.

وقد أكثر الباری جل وعلا- وأنبیاءه وأولیاءه فی الآیات والروایات الإشارة إلى هذا القبیل، مثل قوله سبحانه « إنما یأکلون فی بطونهم ناراً»(1) وقد أشرنا إلى بعض تفصیل ذلك فی (الفقه)(2) و غیره(3).

فهیئات منکم

محتملات (هیئات)

مسألة(4): یحتمل فی المراد من قولها (علیها السلام): (هیئات)(5) وجوه:

إذ لعل المراد ب-: (هیئات): أن هذه الأعمال كانت بعيدة عنکم، کقوله سبحانه: «هیئات هیئات لما توعدون»(6)، فکأنه أريد أن من المستبعد ممن عاشر الرسول (صلی الله علیه و آله) وعرفه وسمع وصایاه الأكيدة حول أهل بيته (علیهم الصلاة والسلام) أن یسکت عن غضب حقهم (علیهم السلام)، فکیف بأن یعین علی ذلك، فکیف بأن یماره بتلك الطريقة الوحشية(7).

أو أن المراد: أن ما تكشفه تلك الأفعال من قصد مبطن كان بعيداً عنکم(8) فكان الأوفق بحالکم غیر ذلك القصد.

أو: الجامع بین الأمرین، باستعمال (هیئات) فی کلى یكون کلا الأمرین مصداقاً له.

أو أن المراد: بعيد منکم الرجوع الی الحق ما دتم قد عقدتم قلوبکم علی الابتعاد عنه،

ص: 214

1- سورة النساء: 10.

2- راجع موسوعة الفقه: (المدخل) کتاب العقائد.

3- راجع (التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم) للإمام الشیرازی.

4- قوله: (مسألة) بلحاظ ذیل البحث عندما یحتمل الإمام المؤلف إنشائية هیئات.

5- (هیئات) اسم فعل بمعنی بَعَدَ، وفاعله محذوف، فهیئات منکم أى بعد منکم کذا، والمصنف أشار الی الفاعل فی الاحتمالات الخمسة.

6- سورة المؤمنون: 36.

7- من حرق باب الدار وكسر الضلع وإسقاط الجنین وغير ذلك علی ما عرفت.

8- ف- (بعدت) منکم تلك الأعمال، أو (بعد) منکم ذلك القصد الذى تكشفه الأفعال.

فإن الإنسان - عادة - إذا عقد قلبه على الابتعاد عن شىء فإنه يسيطر على جوارحه الابتعاد عنه، كما أنه فى عكسه إذا عقد الإنسان قلبه على الإقتراب من شىء فإنه يسيطر على جوارحه الإقتراب إليه، وبعد ذلك لا يهمه إن كان الابتعاد أو (الإقتراب) حقاً أو باطلاً.

قال سبحانه بالنسبة إلى بعض الناس: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»(1).

وقال عز وجل: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»(2).

هذا كله بناء على كونها خبرية.

ويحتمل أن تكون إنشائية(3) بمعنى الدعاء عليهم بالبعد عن رحمة الله، وعى هذا يستفاد مه مطلوبة الدعاء على الأعداء ومنه اللعن، فإنه بمعنى البعد عن رحمة الله أو بمعنى الدعاء عليهم بالبعد عن الوصول لما كانوا يصبون إليه فتأمل.

قال تعالى: «أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»(4).

وقال سبحانه: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»(5).

وقال عز وجل: «إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً»(6).

ويؤيد أول الاحتمالات سياق كلامها (عليها السلام) وقولها: (وكتاب الله بين أظهركم).

ومما ورد فيه كلمة (هيهات) بالمعنى المذكور ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عباس بعدما قطع خطبته الشقشقية: «هيهات هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت. فقال ابن عباس: فما أسفت على كلام قط كأسفى على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا لم يبلغ به حيث أراد»(7).

وقد ورد فى باب التوحيد ونفى التشبيه: «الهى تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف

ص: 215

1- سورة النمل: 14.

2- سورة البقرة: 146، وسورة الأنعام: 20.

3- فهى جملة خبرية فى مقام الإنشاء كما فى (يعيد صلاته).

4- سورة البقرة: 159.

5- سورة الأحزاب: 57.

6- سورة الأحزاب: 64.

7- علل الشرائع: ص 151، ونهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرر بعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت في المكان الذي لا يتناهى، ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات»(1).

وفي الحديث ان معاوية قال للإمام الحسن (عليه السلام): «انا خير منك يا حسن، قال (عليه السلام): وكيف ذاك يا بن هند، قال: لأن الناس قد أجمعوا على ولم يجمعوا عليك، قال هيهات هيهات، فشر ما علوت يا بن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاشى لله أن أقول أنا خير منك، فلا خير فيك، ولكن الله برأى من الرذائل كما برأك من الفضائل»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطباً الدنيا وما فيها: «يا دنيا يا دنيا أبى تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لا حاجة لى فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير، وأملك حقير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم المورد»(3).

وقال (عليه السلام): «هيهات أن ينجو الظالم من أليم عذاب الله وعظيم سطواته»(4).

وكيف بكم، وأنى توفكون

قولها (عليها السلام): (وكيف بكم) أى كيف صار الأمر بكم إلى ما صار، وكيف صرتم الى هذه الحالة من العداء لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وغضب حقوقهم.

وبعبارة أخرى: أى حال لكم فى دنياكم وفى آخرتكم مع عملكم هذا الذى هو خلاف الحق.

وفى (كيف) معنى التعجب كما ذكره الأدباء(5)، وفى المقام هو إنكار توبيخى.

ص: 216

1- التوحيد: ص 66 ح 19 باب التوحيد ونفى التشبيه.

2- المناقب: ج 4 ص 22.

3- ارشاد القلوب: ص 218.

4- غرر الحكم: ص 457 ح 10442.

5- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

قولها (عليها السلام): (وأنى توفكون) أى: كيف تصرفون عن الحق، وتزيغون عنه، وتتبعون الباطل، من إفكته كضربه بمعنى: صرفه عن الشىء وقلبه، وقد ورد فى القرآن الحكيم بالنسبة إلى البلاد التى قلبت ظهراً لبطن وبطناً لظهر، بسبب عذاب الله سبحانه وتعالى، اسم (المؤتفكات) كما فى قضية قوم لوط (عليه السلام).

قال سبحانه: «ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»(1).

وقال تعالى: «وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة»(2).

وفى تأويل هذه الآية المباركة أنها فى أعداء أمير المؤمنين على (عليه السلام) (3).

ويحتمل أن يكون معنى (أنى توفكون) هو: أين يصرفكم الشيطان، أو تصرفكم أنفسكم عن الحق؟ وهو كلمة تعجب أيضاً يقصد بها الإنكار والتوبيخ.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أين تتيهون، ومن أين توتون، وأنى توفكون، وعلام تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، أين وهم أزمة الصدق وألسنة الحق»(5).

ص: 217

1- سورة التوبة: 70.

2- سورة الحاقة: 9.

3- راجع تأويل الآيات ص 689 سورة الحاقة.

4- (أنى) تأتى للاستفهام عن المكان وعن الحال وبمعنى متى الاستفهامية، ف- (أنى زيد) أى أين زيد، وكيف زيد، و(أنى القتال) أى متى القتال، والإمام المؤلف احتمل فى قولها (عليها السلام): (أنى توفكون) المعنيين الأوليين، ويحتمل الثالث أيضاً كما فى قوله تعالى: «فأتوا حرثكم أنى شئتم» «سورة البقرة: 223».

5- غرر الحكم: ص 115 ح 2000 فصل فى الأئمة.

جمع القرآن

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) وبمجموعة من القرائن الأخرى أن القرآن كان مجموعاً في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هو اليوم وبنفس الترتيب من دون زيادة ولا نقصان.

قال تعالى: «إن علينا جمعه وقرآنه»⁽¹⁾.

وإن قيل بصحة الإسناد في ظرف عدم الجمع، إلا أنه خلاف المتفاهم عرفاً، خاصة بلحاظ (بين أظهركم) وبلحاظ الإطلاق الأزمانى والأحوالى فى الجمل اللاحقة⁽²⁾.

وقد فصلنا هذا البحث فى كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم)⁽³⁾ و(متى جمع القرآن)⁽⁴⁾.

عدم تحريف القرآن

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) عدم تحريف الكتاب، وإلا لما صح إطلاق (كتاب الله) على الموجود بين أظهرهم.

ولو قيل بتمامية الاستدلال فى صورة القول بالتحريف بالنقص فقط دون الزيادة أوجب بأن الإطلاق ينفيهما⁽⁵⁾ إضافة إلى ما للجمل اللاحقة من الدلالة الواضحة على عدم التحريف مطلقاً، إذ كيف يكون المحرف (أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة...) خاصة مع لحاظ إفادة الجمع المضاف للعموم.

قال تعالى: «وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين

ص: 218

1- سورة القيامة: 17.

2- أى (أموره ظاهرة...) الخ.

3- ولأول مرة فى تاريخ العالم: ج2 ص243-249.

4- يقع الكتاب فى 80 صفحة من الحجم المتوسط، وطبع عدة مرات فى بيروت والكويت.

5- أى ينفى القول بالتحريف بالنقص كما ينفى القول بالتحريف بالزيادة.

يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين»(1).

حجية الكتاب

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) ومن الجمل اللاحقة: حجية الكتاب، على خلاف ما ذهب إليه بعض الأخباريين.

قال تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»(2).

وقال سبحانه: «وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم»(3).

ودلالة كلامها (عليها السلام) واضحة بل صريحة، فالمعنى: والحال أن كتاب الله سبحانه وتعالى وهو القرآن الحكيم بينكم، وأنتم تقرؤونه ليل نهار، وهو الحكم والمرجع، فيألى أين تنصرفون، ولمن ولأى شيء ولما تتوجهون، (وكتاب الله بين أظهركم)؟ (أفحكم الجاهلية تبغون)؟

وقولها (عليها السلام): (بين أظهركم)، يقال: فلان بين أظهر القوم وبين ظهرانيهم، أى مقيم بينهم، محفوف من جوانبه بهم(4)، وكذلك يقال بالنسبة إلى الشيء، مثل: أن المدرسة بين أظهرهم، والمكتبة بين أظهرهم، وما أشبه ذلك.

أموره ظاهرة

القرآن كالشمس

مسألة: قولها (عليها السلام): (أموره ظاهرة) فإن القرآن الكريم - أوامره ونواهيته وحكمه ومواعظه وقصصه وغير ذلك - كلها ظاهرة كالشمس ويلزم العمل وفقها.

قال تعالى: «ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون»(5).

وقال سبحانه: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر»(6).

ص: 219

1- سورة يونس: 37.

2- سورة الإسراء: 9.

3- سورة النمل: 6.

4- يقال (هو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم وبين أظهرهم) أى وسطهم وفي معظمهم، راجع (المنجد).

5- سورة الزمر: 27.

6- سورة القمر: 17 و22 و32 و40.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الذى يجب العمل بظاهره»(1).

ولا يعمى عن أمور القرآن الظاهرة إلا من تلبد قلبه بحجب اللجاج والعناد وسحب الأهواء والشهوات، قال تعالى: «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً»(2).

فيعرفها الإنسان العربى وليست من قبيل الألغاز، وهم ليسوا من غر العرب حتى لا يفهموا أحكام القرآن وأوامره وزواجره، وقد أمر القرآن باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فى كلما يأمر وما ينهى «ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فاتتوها»(3)، وقد أمرهم رسول الله بولاية على بن أبى طالب (عليه السلام) وهناك آيات عديدة فى هذا الباب كآية البلاغ(4) وآية الولاية(5) وآية إكمال الدين(6) وما أشبهه.

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عين الخليفة بمتواتر الروايات، وبمشهد ومرأى الناس فى غدیر خم وغيره(7)، فكيف تصرفون وتعرضون عن هذا الظاهر من القرآن؟.

والظاهر أن الجمل اللاحقة من قبيل عطف الخاص على العام(8) لأهميته، وللتأكيد.

ويحتمل التغاير كما سيأتى.

والمراد بالظهور الأعم من الظهور ابتداءً أو ثانياً، بالمباشرة أو بالواسطة(9)، فلا

ص: 220

1- فقه القرآن: ج 1 ص 207 باب الزيادات.

2- سورة الإسراء: 82.

3- سورة الحشر: 7.

4- سورة المائدة: 67.

5- سورة المائدة: 55.

6- سورة المائدة: 3.

7- راجع موسوعة (الغدیر) للعلامة الأمينى (رحمة الله).

8- العام هو (أموره ظاهرة) والخاص هو (أحكامه زاهرة... إلى آخر الجمل).

9- أى عبر الثقل الآخر، ولذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتى... انهما لن يفرقا حتى يردا على الحوض) معانى الأخبار: ص 90 باب معنى الثقلين ح 2.

يستشكل على ذلك بالمشاه، أو يقال بانصراف الأمور الى غيره بقريئة المقام(1) ويكون المراد على هذا (الأمور التي تحتاجون إليها لشؤون معاشكم ومعادكم) ومن أهمها أمر الخلافة.

وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة

الأحكام الزاهرة

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن أحكام القرآن زاهرة وأعلامه باهرة.

والزاهر عبارة عن: المتألي المشرق، بمعنى أنّ أحكام القرآن كلها متألئة، عليها نور الحق والصدق، وهي (تزه) كما تزه الشمس، في أفق الأرواح والأفكار.

وكما أن أعمى العين لا يرى نور الشمس كذلك أعمى البصيرة لا يبصر نور القرآن، فهي (زاهرة) بينة لنفسها ومضيئة للسائرين، كالنور الظاهر بنفسه المظهر لغيره، ولو أتبعتم أحكامه لسرتم على المنهاج الواضح نحو حياة سعيدة في الدنيا وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة، قال تعالى:

«ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً* قال كذلك أتتك آياتا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»(2).

وقال سبحانه: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»(3).

وفى الدعاء: «اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوسوس عن صحة ضمائرنا، واغسل به زيغ درن قلوبنا وعلائق أوزارنا، واجمع به

ص: 221

1- أى باعتبار كونها (عليها السلام) فى مقام الاحتجاج عليهم بوجود الحججة البيّنة وهى الكتاب، فإلى أين يصرفون مع ذلك؟.

2- سورة طه: 124 - 126.

3- سورة الأعراف: 96.

منتشر أمورنا... واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الإملاق، واسق إلينا به رغد العيش وخصب سعة الأرزاق، وجنبنا به من الضرائب المذمومة ومدانى مذام الأخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعى النفاق، حتى يكون لنا فى القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا فى الدنيا عن سخطك وتعدى حدودك ذائبا طارداً، ولنا لما عندك بتحليل حاله وتحريم حرامه شاهداً»(1).

من العلامات القرآنية

وقولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، أعلام: جمع علم، أى: علاماته، كعلامات الطريق مثلاً، لكن علامات الطريق مادية وعلامات القرآن معنوية.

ثم إن (2) القرآن الحكيم تحدّاهم فى مواطن أربعة على أربع مستويات، متدرجاً من التحدى عن الإتيان بمثل القرآن إلى الإتيان بجزء من سورة فقط..

فقال مرة: «لا يأتون بمثله» (3)، أى: (114) سورة.

وثانية: «فأتوا بعشر سور مثله مفتربات» (4).

وثالثة: «فأتوا بسورة مثله» (5)، وفى آية أخرى قال: «فأتوا بسورة من مثله» (6)، ولا يخفى الفرق بينهما لمكان (من).

ورابعة: «فليأتوا بحديث مثله» (7)، مما قد يشمل أقل من السورة أيضاً.

ثم من جانب آخر، رفع درجة التحدى ومستوى عدم إمكان ذلك بالقياس إلى الأشخاص والزمن.

ص: 222

1- الإقبال: ص 269 من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) عند ختم القرآن.

2- هذا بيان لمصداق من مصاديق قولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، ف- (التحدى) مظهر من مظاهر العلامات الباهرة، أو أن أعلامه باهرة هو بيان آخر عن التحدى.

3- سورة الإسراء: 88.

4- سورة هود: 13.

5- سورة يونس: 38.

6- سورة البقرة: 23.

7- سورة الطور: 34.

فقال مرة: «فأتوا».

وأخرى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»(1).

وثالثة قال: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا»(2)، أى أنهم ليس بمقدورهم ذلك إلى الأبد، كما ليس بمقدورهم الإتيان بأى محال آخر استحالة ذاتية أو وقوعية(3).

فهو فى التنازل والترقى مثله مثل من يقول لمن يدعى البطولة: أحمل طناً، ثم يقول: مائة من(4)، ثم يقول: عشرة أمان، ثم يقول: مناً واحداً، فإذا لم يفعل حتى الدرجة الأخيرة كان معناه أنه لاحظ له من البطولة.

وفى المقابل يقول: إن حملت أعطيك ديناراً، ثم يقول: عشرة دنانير، ثم يقول: مائة دينار، ثم يقول: ألف دينار، فيخفض مستوى التحدى ويرفع الثمن.

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذى نزل من عند الله وبقي وسيبقى خالداً دون تحريف، وسرّ بقاءه أنه كتاب لخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر الأزمان، فهو كتاب الله عبر خاتم أنبيائه للبشرية إلى فناء الدنيا، بينما الكتب السماوية السابغة نزلت لفترة زمنية محددة، ثم «نوا حظاً ما ذكروا به»(5) فالكتب الموجودة فى أيديهم الآن لم تنزل من السماء، والكتب النازلة لم تبقى، فلم يحفظها الله سبحانه غيبياً وإعجازياً - كما حفظ القرآن - لأنها كانت مؤقتة لا دائمة كالقرآن الحكيم، فلم يستلزم قاعدة (اللطف) حفظها.

ومن الطبيعى أن لا- يكون بمقدور البشر على أن يأتى بمثل القرآن، حتى إذا تعاضد وتعاون مع الجن وغيرهم، فإن الكتاب التشريعى كالكتاب التكويني، وحيث لا تستطيع

ص: 223

1- سورة الإسراء: 88.

2- سورة البقرة: 24.

3- وجه الاستحالة الذاتية أن المحدود يستحيل أن يحيط باللامحدود اللامتناهي وكذلك إحاطة المحدود الأضيق بالأوسع منه، ومدارك البشر مهما سعت فإنها أضيق من سعة وعمق دائرة مفاهيم ورموز وأسرار القرآن الكريم وسيذكر الإمام المصنف وجهه، والاستحالة الوقوعية بناء على ما ذهب إليه البعض من (الصرف).

4- الطن هو ألف كيلو، والمن رطلان، والرطل (12) أوقية كما فى لسان العرب، وفى المنجد: المن يساوى (280) مثقالاً عرفياً والمثقال العرفى يساوى درهماً ونصف.

5- سورة المائدة: 13.

المخلوقات بأجمعها حتى على خلق ذبابة، بل على خلق حبة حنطة حية تنمو لما فيها من الروح إذا أنبتت(1) كذلك فى كتاب الله التشريعى.

وعلامات القرآن تشير إلى مجموعة هائلة من الحقائق التكوينية و التشريعية والماورائية، من المبدأ الى المعاد، ومن الأحداث التاريخية إلى الإخبارات الغيبية، ومن السنن الاجتماعية التى تحكم الأسرة والمجتمع والحكومات، مروراً بالقضايا الحقوقية والسياسية والاقتصادية ... وانتهاء بحالات الإنسان وهو على بوابة العالم الآخر فى آخر لحظاته من الدنيا.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تقنى عجائبه ولا تنقضى غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به»(2).

وقال (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش، والهادى الذى لا يضل، والمحدث الذى لا يكذب»(3).

وقال (عليه السلام): «ليس لأحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن غنى»(4).

والباهرة - والمصدر: البهر والبهور - هى التى تبهر الإنسان وتثير إعجابه بحسنها أو نورها وضياءها، وهى تتضمن معنى الغلبة والتفوق(5) أيضاً.

ثم ان من جملة أعلام القرآن الباهرة التى أشارت (عليها السلام) إليها: قوله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»(6).

ومن جملة علاماته الباهرة إخباره الغيبى ب-«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

ص: 224

1- ربما يكون بمقدور العلماء أن يصنعوا حبة حنطة أو ذبابة تشبه الحقيقية فى الشكل والأجزاء والخلايا وغيرها، إلا أن (بعث الروح) يبقى هو غير الممكن للبشرية إلا بإذن الله، ولو توفرت المقتضيات كلها كان الله هو الباعث للروح لا غير كما قال عز وجل حكاية عن عيسى (عليه السلام): «إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله» «سورة آل عمران: 49».

2- غرر الحكم: ص 110 ح 1962.

3- غرر الحكم: ص 111 ح 1973.

4- غرر الحكم: ص 111 ح 1989.

5- - كما تقول: بهر القمر أى فاق ضوءه ضوء الكواكب، وبهر الرجل أى فاق أقرانه، وبهرت فلانة سائر النساء أى غلبتهن حسناً وجمالاً، وبهرت الشمس أى أضاءت.

6- سورة المائدة: 55.

الرسول أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...»(1).

وزواجه لائحة

من النواهي الإلهية

مسألة: يحرم الإتيان بما نهى عنه القرآن الكريم من المحرمات.

قولها (عليها السلام): (وزواجه لائحة) المراد بالزواج: النواهي.

و(لائحة) بمعنى: ظاهرة، نعم هناك فرق بين الظاهر واللائح، فإن (اللائح) هو: الذي يظهر بعد الإختفاء، بينما (الظاهر) أعمّ من ذلك ومن غيره، وإذا قوبل بينهما كان من قبيل الفقير والمسكين، أو من قبيل الظرف والجار والمجرور، وفي اصطلاح الأدباء: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا).

قال تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً»(2).

وقال عزوجل: «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون»(3).

ومما قضى به الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) تعيين الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) قال عزوجل: «يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك»(4).

ومن زواجه اللائحة قوله تعالى: « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله»(5) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)(6)، إلى غير ذلك.

ص: 225

1- سورة آل عمران: 144.

2- سورة الأحزاب: 36.

3- سورة القصص: 68.

4- سورة المائدة: 67.

5- سورة الأحزاب: 53.

6- المناقب: ج 3 ص 332 فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) و كشف الغمة: ج 1 ص 466.

ومن الأوامر الإلهية

مسألة: يجب امتثال الأوامر القرآنية التي فرضها الله سبحانه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أيها الناس انه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أوكد من نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم، ولا مدح الله تعالى منكم إلا من اعتصم بحبله واقتدى بنبيه، وانما هلك من هلك عندما عصاه وخالفه واتبع هواه، فلذلك يقول عز من قائل: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (2)» (3).

وقال (عليه السلام): «عليكم بهذا القرآن، احلوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه وردوا متشابهه إلى عالمه، فانه شاهد عليكم وافضل ما توسلتم به» (4).

قولها (عليها السلام): (وأوامره واضحة) أى أن أوامر القرآن كلها واضحة غير مبهمة، يعرفها الإنسان الذى يعرف اللغة العربية، قال تعالى: «تلك آيات القرآن وكتاب مبين» (5).

ومن أوامره: قوله تعالى: «وآت ذا القربى حقه» (6).

وقوله سبحانه: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى» (7).

وقوله عز وجل: «يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين» (8)، و...

ص: 226

1- وفى بعض النسخ: (وكتاب الله بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة).

2- سورة النور: 63.

3- غرر الحكم: ص 110 ح 1961.

4- غرر الحكم: ص 111 ح 1986.

5- سورة النمل: 1.

6- سورة الإسراء: 26.

7- سورة الشورى: 23.

8- سورة النساء: 11.

فلماذا الإعراض عن أمر الله؟

ولماذا إيذاء آل بيت رسول الله؟

ولماذا حرمان ابنته الزهراء (عليها السلام) من الإرث؟ ...

ومن المحتمل أن تكون هذه الجمل والجمل السابقة عليها تختلف عن أولى الجمل (1) إذا فسرت (الأمر) بالموضوعات - لا بمعنى مطلق الشيء - والأوامر مدرجة في دائرة الأحكام كما هو بين.

من مميزات القانون الإلهي

مسألان: يجب أن يكون (القانون) ظاهر الأمور وزاهر الأحكام وباهر الأعلام ولائح الزواجر وواضح الأوامر، باعتبار أن القانون هو دستور حياة الناس، فلو لم يتصف بذلك لزم نقض الغرض - ولو في الجملة - ويلزم العبث وما أشبه.

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المتصف بهذه الصفات في أعلى الدرجات - كما بين في محله (2) - فكان الواجب إتخاذه مصدر التشريع (3) لا الإنجيل والتوراة وما أشبه، ولا القوانين الغربية والشرقية المستوردة (4).

وما يستتبط من الكتاب والسنة ينبغي أن يكون كذلك فالرسالة العملية للمراجع العظام و(الدستور أو القانون الأساسي) - بناء على صحته (5) - ومختلف القوانين واللوائح التي تصدرها الدولة ينبغي أن تكون كذلك قدر المستطاع.

وقد خلفتموه وراء ظهوركم

ص: 227

1- وهي (أمر ظاهرة).

2- راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون.

3- ومن الواضح أن (السنة) مفسرة للكتاب وليست قسيماً له.

4- راجع (الهدى إلى دين المصطفى) للإمام البلاغي، و(الفقه: حول القرآن الحكيم) للإمام المؤلف و...

5- راجع حول هذا المبحث كتاب (الفقه: القانون) و(إذا قام الإسلام في العراق) للإمام المؤلف.

مسألة: يحرم ترك القرآن وهجره، فإنّ ترك أحكام القرآن الواجبة والمحرمة من أشد المحرمات مع الإسناد، وعلى حسب الدرجات بدونه (1).

أما ترك القرآن في أحكامه المستحبة والمكروهة وقصصه (2) وما أشبه ذلك فإذا كان مصداقاً لهجر القرآن كما قال سبحانه وتعالى: « وقال الرسول يا رب إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» (3) كان محرّماً أيضاً، وإلا فترك المستحب وفعل المكروه ليس من المحرمات كما قرر في الفقه.

وفي علل الشرائع: «فان قال فلم أمروا بالقراءة في الصلاة، قيل لأن لا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً بل يكون محفوظاً مدرّساً فلا يضمحل ولا يجهل» (4).

وفي زيارة الإمام الحسن (عليه السلام): «واصبح كتاب الله بفقدك مهجوراً» (5).

وفي الأثر: «انه يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه» (6).

قولها (عليها السلام): (قد خلفتموه وراء ظهوركم)، أي: أنكم تركتم العمل بالقرآن مع العلم أنه بهذه الصفات التي ذكرناها من الوضوح والظهور وما الى ذلك، كالذي يخلف شيئاً وراء ظهره، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وهو كناية عن الإعراض وترك العمل به، بل اللامبالاة وعدم الإعتناء، لأن الإنسان إذا قدّر شيئاً وقدّسه جعله أمامه.

ص: 228

1- توضيحه أنه: قد يترك الإنسان العمل بالقرآن كسلاً أو جنباً أو شبه ذلك فتكون الحرمة على حسب درجات تلك المحرمات من صغيرة وكبيرة، وقد يتركه إستخفافاً به وإستهانة، أو لأن الحكم قد ورد في القرآن وشبه ذلك فيكون عندئذ تركه للواجب القرآني وفعله للمحرم القرآني، من أشد المحرمات وإن كان ذلك الحرام من الصغائر في حد ذاته، فالأشدية بلحاظ (الإسناد).

2- ترك القرآن في قصصه يتصور بترك تدوالها - في الكتب والخطابات وشبه ذلك - ونسيانها، أو بترك الإيعاز بها أو ما أشبه.

3- سورة الفرقان: 30.

4- علل الشرائع: ص 260.

5- البلد الأمين: ص 288.

6- كمال الدين: ص 66.

ومن الواضح أن التعبير ب- (وقد خلفتموه وراء ظهوركم) أقوى وأبلغ من (تركتموه)، وهذا الكلام منها (صلوات الله عليها): عتاب وتحذير وكشف وفضح وإدانة كما لا يخفى.

اتباع من هجر القرآن

مسائل: يحرم إتباع تلك الثلة الذين هجروا القرآن وتركوا أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يجوز الدفاع عنهم كأشخاص وكمنهج ومبادئ، بل وحتى السكوت على جرائمهم والرضا بأفعالهم.

فإنهم كما صرحت (عليها السلام) قد خلفوا كتاب الله وراء ظهورهم ورغبوا عنه وحكموا بغيره، فأضحوا مصداق قوله تعالى: «من يبتغ غير الإسلام ديا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (1).

ولو أتبعهم متبع لأصبح كما قالت (عليها السلام) ممن خلف كتاب الله وراء ظهره، وصدق عليه قوله سبحانه: «بئس للظالمين بدلا» (2).

والحق أحق أن يتبع، ومن أن يكون المرء مصداق «بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون» (3).

ومن أن يكون من «همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق» (4).

أرغبة عنه تريدون؟ (5)

الرغبة عن القرآن

ص: 229

1- سورة آل عمران: 85.

2- سورة الكهف: 50.

3- سورة الزخرف: 22.

4- الإرشاد: ص 227.

5- وفي بعض النسخ: (تدبرون).

مسألة: تحرم الرغبة عن القرآن، قال سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» (1).

ذلك أعم من الرغبة عنه نفسياً أو فكرياً أو سلوكياً، ووجه الحرمة في الرغبة عنه نفسياً أنه من قبيل أصول الدين المرتبطة بالقلب كما هي مرتبطة بالعمل، هذا إذا فسرت الرغبة عنه بالإنكار أو عدم عقد القلب على صحته والإيمان به، وإن فسرت بعدم المحبة لم تبعد الحرمة أيضاً إلا فيمن فرض عدم اختيارية ذلك له - وهو فرض نادر وبعيد - فتأمل.

والظاهر أن الجمع بين الآية السابقة (2) وبين قوله تعالى في سورة «يس»: «ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون» (3) اختلاف المواقف في القيامة.

ففي موقف قد يكون العاصى أعمى وفي موقف قد يكون بصيراً، فإن يوم القيامة خمسون ألف سنة ومن الواضح تعدد المواقف في مثل هذه المدة الطويلة، بل حتى إذا كانت سنة واحدة، كما هو المشاهد في الدنيا، فكيف بالآخرة وهي كما ذكر.

قولها (عليها السلام): (أرغبة عنه تريدون)، أى: أتريدون الإعراض عن القرآن، فإن الرغبة إذا تعدت ب-: (عن) كان معناها الإعراض والنفرة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم أحد لبعض القوم الذين فروا: «أترغبون بأنفسكم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (4)، وإذا تعدت ب-(فى) كان معناها الإقبال، فالمعنى: أنكم تريدون شيئاً آخر غير القرآن ودساتيره ومنهجه.

هذا وعدم تداول القرآن الكريم، وعدم تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وعدم مدارسته والتدبر فيه، وعدم وجود دروس تفسير في المدارس - من الابتدائية إلى الجامعة، وإلى جوار الدروس الحوزوية من المقدمات إلى الخارج - بالشكل الكافي كما وكيفاً وغير ذلك، ربما يعد من مصاديق الرغبة عن القرآن - ولو في الجملة - أعاذنا الله من ذلك.

ص: 230

1- سورة طه: 124 - 126.

2- سورة طه: 124 - 126.

3- سورة يس: 66.

4- الفضائل: ص 174.

أم بغيره تحكمون؟

الحكم بغير القرآن

مسألة: يحرم الحكم بغير القرآن، كما هو متعارف الآن في البلاد الإسلامية من العمل بقوانين الغرب والشرق، سواء في الأحوال الشخصية أم القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحقوقية والدولية وشبهها، ومنها الآيات الكريمة التي تركها المسلمون:

قال تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» (1).

وقال سبحانه: «لا إكراه في الدين» (2).

وقال تعالى: «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» (3).

وقال عز وجل: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» (4).

وقال سبحانه: «إنما المؤمنون أخوة» (5).

وقال تعالى: «إن هذه أمتكم أمة واحدة» (6).

وقال عز وجل: «يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به» (7)، الى غير ذلك.

قال تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (8).

ص: 231

1- سورة الشورى: 38.

2- سورة البقرة: 256.

3- سورة المطففين: 26.

4- سورة النحل: 90.

5- سورة الحجرات: 10.

6- سورة الأنبياء: 92.

7- سورة النساء: 60، وقد تحدث الإمام المؤلف عن هذه الآيات الشريفة وغيرها في الكثير من كتبه ومنها: (الصياغة الجديدة)، (الفقه:

السياسة)، (الفقه: الاقتصاد)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: الحقوق)، (الفقه: القانون)، (الفقه: الدولة الإسلامية)، ... ومن كتيباته في هذا

الحقل: (هكذا حكم الإسلام)، (إذا قام الإسلام في العراق) ...

8- سورة المائدة: 47.

وفى آية أخرى: «فأولئك هم الظالمون» (1).

وفى آية ثالثة: «فأولئك هم الكافرون» (2).

فإن الانحراف عن أحكام القرآن يؤدي الى الفشل والعطب والتقهقر فى الدنيا والآخرة، وهذا ما نشاهده فى الحال الحاضر فى البلاد الإسلامية حيث أنهم مع كثرتهم ووفرة معادنتهم وثروتهم يعيشون حالة الفقر والتخلف والتأخر المشين (3).

ويمكن أن يستنبط من قولها (عليها السلام): (وأنى توفكون وكتاب الله ...) - إلى جوار سائر الأدلة العامة والخاصة - إن القرآن الكريم هو المرجع فى كل شىء، أى أن فيه ما يصلح للرجوع إليه فى كل قضية وحادث، وواقعة ومشكل، قال تعالى:

«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (4).

وما فعلوه من غضب الخلافة ومصادرة فلك وإيذاءهم أهل البيت (عليهم السلام) كان مخالفة للقرآن وتركاً له.

ولا نقصد أن القرآن يبين كل ذلك بالتصريح، بل كليات القرآن ومختلف القرائن الأخرى تدل على هذه الأمور، ولهذا استدلت (عليها الصلاة والسلام) بالنسبة الى إرثها بآيات ارث الأنبياء (عليهم السلام) وآيات إطلاق الإرث، ومن الواضح أنه ما من حكم شرعى إلا وقد ذكر فى القرآن على نحو الجزئية أو الكلية، بالتصريح أو التلميح.

فإن فى القرآن الحكيم رموزاً وإشارات، وفيه معادلات، لو عرفها الإنسان لأطلع على كل شىء بنحو التفصيل.

وفى استفادة الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) أقل مدة الحمل من الجمع بين الآيتين (5)، مؤشر على ذلك.

وفى الحروف المقطعة مؤشر آخر. وفى تسلسل السور - لا على حسب ترتيب النزول -

ص: 232

1- سورة المائدة: 45.

2- سورة المائدة: 44.

3- راجع كتاب (المتخلفون مليارا مسلم) للإمام المؤلف (دام ظله).

4- سورة النحل: 89.

5- قال تعالى: « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » سورة البقرة: 233، وقال سبحانه: « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » سورة الأحقاف: 15.

والآيات وعددها والحروف وتقابلاتها و... مؤشر آخر(1).

وإن كان لم يودع علم ذلك كله إلا عند أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) حسب الكثير من الروايات.

وكنموذج مما يمكن استفادة الأحكام منه حتى لما يتجدد على مر الزمان، قوله سبحانه وتعالى: «خلق لكم»(2).

وقوله سبحانه: «وأحل لكم ما وراء ذلكم»(3).

وقوله عز وجل: «أوفوا بالعقود»(4)، إلى غيرها من الآيات المطلقة أو العامة.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إنّ القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد إلا بينه للناس، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن، إلا وقد أنزل الله تبارك وتعالى فيه) (5).

وقال (عليه السلام): (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال) (6).

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (قد ولّدتني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أعم كآب الله وفه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفى، إنّ الله يقول: فيه تبيان كل شيء) (7) (8).

ص: 233

- 1- إذا أمكن أن يكون رمز كمبيوترى واحد مفتاحاً لفصل أو باب أو علم كامل، وإذا كانت هندسة (الأهرام) وزواياها تتضمن مباحث كثيرة فى علوم الفلك والرياضيات وغيرها، فكيف لا يتيسر لخالق الكون أن يضمن كتابه رموز كل شيء!
- 2- سورة البقرة: 29. وقد تطرق الإمام المؤلف فى (الفقه: الاقتصاد) الى جملة إستنباطات من هذه الآية الشريفة، ومنها حق الأجيال القادمة فى الثروات الطبيعية، والحق فى حيازة المباحات وانه محدد بإطار دائرة (لكم) و...
- 3- سورة النساء: 24.
- 4- فىشمل العقود المستحدثة كعقد التأمين وغيره مما جمع الشرائط، والآية فى سورة المائدة: 1.
- 5- تفسير القمى: ج2 ص451 سورة الناس.
- 6- المحاسن: ص267-268 ح355.
- 7- إشارة الى قوله تعالى: « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » سورة النحل: 89.
- 8- بصائر الدرجات: ص197.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نبياً فلا نبي بعده وأنزل عليه الكتاب فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه... فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ثم أومئ بيده إلى صدره وقال: ونحن نعلمه) (1).

نعم إن الإسلام قرر الأدلة الأربعة، على ما ذكره الفقهاء، وهي الكتاب والسنة والإجماع والعقل، والمراد بالسنة: الأعم من فعلهم وقولهم وتقريرهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وكون السنة مخصصة للقرآن الكريم ومقيدة له، مما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (2).

وقوله سبحانه: «اليوم أكملت لكم دينكم (3) وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» (4).

قولها (عليها السلام): (أم بغيره تحكمون)، أي: تحكمون بغير القرآن، ومن المعلوم أن غير القرآن هو الجاهلية والضلال، وأن القرآن حق وغير القرآن باطل، وفي هذا الكلام دلالة على وجوب الأخذ بالقرآن، كما يقتضى حرمة الحكم بغير ما فى القرآن الحكيم، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «على مع القرآن والقرآن مع على» (5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً فى أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لا يفارقه ولا يفارقنا» (6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدما بين خلفائه من أمته وإن أولهم على بن أبى طالب (عليه السلام) ثم من بعده الحسن (عليه السلام) ومن بعده الحسين ثم تسعة من ولد الحسين (عليهم السلام): «القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي» (7).

ص: 234

1- كشف الغمة: ج 2 ص 197.

2- سورة الحشر: 7.

3- إذ إكمال الدين تم بتعيين خليفة رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله)، بحيث يرجع إليه القاصى والدانى فى كل مسألة ومعضلة، فى الأصول والفروع، فى الشؤون الفردية والاجتماعية، وفى شؤون الحكم الى غير ذلك.

4- سورة المائدة: 3.

5- كشف الغمة: ج 1 ص 148.

6- كمال الدين: ص 240، وقريب منه فى بصائر الدرجات: ص 83.

7- كمال الدين: ص 277.

بئس للظالمين

مسألة: يستفاد من إستنادها (عليها السلام) إلى الآية الشريفة: «بئس للظالمين» أن ما فعلوه من غصب الخلافة وإيذاء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وخذلانهم لهما (عليهما السلام) ... جعلهم في عداد الظالمين وقد قال تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين» (2).

ويلزم الاعتقاد بذلك (3) على حسب دلالة متواتر الروايات الواردة في باب التبرى وغيره، ولأنه من الاعتقاد بالأمر الأصولية، فإن كثيراً من شؤون الأصول الخمسة ترجع إليها وإن كان بعضها مما لا يُعلم بوجوب الاعتقاد بجميع خصوصياتها وإن كان يحرم إنكارها، مثلاً خصوصيات العرش وخصوصيات الجنة والنار وما أشبهه، وبعض الخصوصيات المتعلقة بالمعصومين (عليهم السلام) من قبيل كنانهم وعدد أولادهم وما أشبه ذلك، على تفصيل ذكره علماء الكلام مما هو خارج عن مبحثنا.

وفى استنادها (عليها السلام) إلى هذه الآية الشريفة دلالة أخرى عميقة حث أن كامل الآية هو «إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً» (4)، فليتدبر.

قولها (عليها السلام): «بئس للظالمين بدلاً»، أى: بئس ما إختاروه لأنفسهم بديلاً عن القرآن وأحكامه ووسايتيه، حيث بدّلوا القرآن بغير القرآن واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، وحكموا بالباطل والجور، إرضاءً وإشباعاً لشهواتهم الزائلة، وقد قال سبحانه: «للظالمين» كناية عن أن الذى يستبدل القرآن بغير القرآن فهو من الظالمين أى أن

ص: 235

1- سورة الكهف: 50.

2- سورة البقرة: 124.

3- أى بما ذكر من ان ما فعلوه جعلهم فى عداد الظالمين.

4- سورة الكهف: 50.

الاستبدال هو ملاك الظلم وسبب اتصافهم بهذه الصفة وإن شمل اللفظ من كان متصفاً بها من قبل.

أقسام الظلم

مسألة: الظلم المحرم يشمل ظلم النفس وظلم الشعب وظلم الأجيال القادمة.

والقوم بغضبهم الخلافة وعزل آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها وتغيير منهجه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ظلموا أنفسهم والناس وكل الأجيال القادمة على مر العصور، أسوأ الظلم وأشدّه.

وإستشهادها (عليها السلام) بالآية الشريفة، والإطلاق الازماني والاحوالى فى «للظالمين»، وشهادة الآثار الوضعية الخارجية العينية، دليل على ذلك، وقد ورد النهى الشديد عن الظلم:

قال (صلى الله عليه وآله): «وياكم والظلم، فان الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة»⁽¹⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «وأما شفاعتى ففى أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم»⁽²⁾.

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «الظلم فى الدنيا هو الظلمات فى الآخرة»⁽³⁾.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقه لم يزل الله عزوجل معرضاً عنه، ماقتاً لأعماله التى يعملها من البر والخير، لا يثبتها فى حسناته حتى يتوب ويرد المال الذى أخذه إلى صاحبه»⁽⁴⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله تعالى عليه من يظلمه فان دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»⁽⁵⁾.

نعم إن ما أبدلوا به كان بئس البديل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ودينياً وفى شتى الجهات الأخرى، قال تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

ص: 236

1- الخصال: ص 176 ح 235 باب الثلاثة.

2- الخصال: ص 355 باب السبعة ح 36.

3- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 272 باب عقاب من ظلم.

4- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 273.

5- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 274.

من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (1).

وليست الوبلات والدواهي والفتن والمحن التي مرت بالمسلمين منذ ذلك اليوم وحتى الآن إلا وليدة ذلك الظلم الذي عُدد الحجر الأساس في تحريف مسار التاريخ عن منهج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان سيكفل للبشرية جمعاء السعادة لو طبق، الى منهج الظلم والاستبداد والجهل والأثرة والتخلف والانحطاط...

و(بئس) تكشف عن حقيقة خارجية وتدلل على الأثر الوضعي الدنيوي كما تفصح عن واقع الحال في الآخرة أيضاً.

ص: 237

1- سورة الأعراف: 96.

«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (1)

أصول الدين

مسألة: عدّ جماعة أصول الدين ثلاثة وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وأصول المذهب خمسة بإضافة العدل والإمامة، والمستفاد من استدلالها (صلوات الله عليها) بهذه الآية الشريفة «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً...» (2)، أن الإمامة من أصول الدين، ومنكرها قد ابتغى غير الإسلام ديناً في الموضوع لا الحكم، فتأمل، وعلى ذلك روايات كثيرة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ان الولاية من بعدى لعلى والحكم حكمه، والقول قوله، لا- يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن» (3).

وعنهما (عليهما السلام): «في قوله تعالى: «ليخرجكم من الظلمات إلى النور» (4) يقول: من الكفر إلى الإيمان يعني إلى الولاية لعلى (عليه السلام)» (5).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «(والذين كفروا) (6) أى بولاية على (عليه السلام) «أولياؤهم الطاغوت» نزلت في أعدائه ومن تبعهم، أخرجوا الناس من النور، والنور ولاية على (عليه السلام) فصاروا إلى الظلمة ولاية أعدائه» (7).

وفى قوله تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا- أن يتم نوره ولو كره الكافرون» (8) قال أبو الحسن الماضى (عليه السلام):

ص: 238

1- سورة آل عمران: 85.

2- سورة آل عمران: 85.

3- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 348 المجلس 55 ح 7.

4- سورة الأحزاب: 43.

5- المناقب: ج 3 ص 80.

6- سورة البقرة: 257.

7- المناقب: ج 3 ص 81.

8- سورة التوبة: 32.

«يريدون يطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواههم والله متمم نوره: والله متمم الإمامة»(1).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) فى قوله تعالى: «فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها»(2) قال: «هى الولاية»(3).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) فى قوله تعالى: «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً»(4) قال: «نزلت فىمن آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه، فعلى مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين حيث قالوا له: بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه ثم كفروا حين مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يقرؤا بالبيعة ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شىء»(5).

وعن أبى سعيد الخدرى قال: «تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية: «لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون»(6) ثم قال: أصحاب الجنة من أطاعنى وسلّم لعلى الولاية بعدى، وأصحاب النار من نقض البيعة والعهد وقاتل علماً بعدى»(7).

لا يقال: إن كلامها (عليها السلام) عن القرآن وتركه وراء الظهر.

لأنه يقال: إن مصبّ كلامها هى خلافة الإمام على (عليه السلام) واعتراضها عليهم بأن الإعراض عنه إعراض عن القرآن، وأنهم بذلك صاروا مصداق «بئس للظالمين بدلاً»(8)، و«ومن يتبع غير الإسلام ديناً»(9).

ص: 239

1- المناقب: ج 3 ص 82.

2- سورة الروم: 30.

3- تأويل الآيات: ص 427 سورة الروم.

4- سورة النساء: 137.

5- راجع تفسير العياشى: ج 1 ص 281 سورة النساء، ح 289.

6- سورة الحشر: 20.

7- تفسير فرات الكوفى: ص 477 ح 623 سورة الحشر.

8- سورة الكهف: 50.

9- سورة آل عمران: 85.

وفى تفسير العياشى عن أبى جعفر (عليه السلام) فى قوله تعالى: «ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم»(1) قال (عليه السلام): «يهدى إلى الولاية»(2).

وفى حديث آخر: «يهدى إلى الإمام»(3).

وذلك بيّن أيضاً من قولها (عليها السلام) (والرسول لمّا يقبر) أو ليس نصب غير الإمام خليفة فى السقيفة هو الذى كان قبل أن يقبر الرسول (صلى الله عليه وآله)؟

ومن قولها: (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة).

ويدل عليه أيضاً قولها: «ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين».

ثم إن معنى (فلن يقبل منه) هل هو المطلق أو النسبى، أى قبولاً مطلقاً أم قبولاً كما يقبل عن المؤمنين، وبعبارة أخرى هل (القبول المطلق) هو المنفى أو (مطلق القبول)؟

قد يختلف باختلاف المصاديق.

ثم إن الكفار على ثلاثة أقسام أو أكثر: الذميون والمحايدون والمعاهدون، وهؤلاء يحقن دمهم ومالهم وعرضهم، وأما الكفار فى القسم الرابع وهم المحاربون، فإنهم يحاربون حسب موازين الإسلام، كما قال سبحانه: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»(4).

هذا ويحتمل أن يكون المراد عدم القبول أخروياً ولا منافاة بينهما.

و(ابتغاء غير الإسلام ديناً) يشمل الأقوال والأعمال، سلباً وإيجاباً - فهذه أربع صور -:

بأن يقول ما لا يقوله الإسلام(5).

أو لا يقول ما يقوله الإسلام(6).

أو يعمل ما لا يريد الإسلام عمله(7).

ص:240

1- سورة الإسراء: 9.

2- تفسير العياشى: ج 2 ص 283.

3- تفسير العياشى: ج 2 ص 282.

4- سورة التوبة: 36.

5- كقوله تعالى: « ولقد قالوا كلمة الكفر » سورة التوبة: 74.

6- كعدم نطقه بالشهادتين.

7- كقوله: « وهموا بإخراج الرسول » « سورة التوبة: 13»، و « يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » سورة النساء: 60.

أو لا يعمل ما أَرادَه (1)، فإن الإسلام عقيدة وقول وعمل، وعلى هذا فالأقسام ستة.

قال الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان» (2).

وفى حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال جبرئيل: قال الله تعالى: (لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى كان آمناً) وقال الإمام (عليه السلام): بشروطها وشروطها المعرفة الولاية والعمل بالأركان» (3).

ثم انه يجب الاعتقاد بمضمون هذه الآية الشريفة (4) كبرى، وبمصاديقها صغرى - فى الجملة -، ومنها ما قام به القوم من غضب الخلافة، وعلى ذلك دلت الأدلة الأربعة.

الطريق إلى الله

مسألة: الآية صريحة فى نفي ما ذهب إليه بعض المذاهب الباطلة (5)، من أن الأديان والمذاهب كلها طرق الى الله تعالى وإن من تمسك بأى منها فهو ناج، أو أن القلب وسلامته هى المعيار لا العمل، أو أن هنالك طريقة تغاير الشريعة وما أشبه ذلك.

كما أن إستدلالتها (عليها السلام) بالآية فى المقام نفى لصحة المذاهب الأخرى غير المذهب الجعفرى الاثنا عشرى، وهى عبارة أخرى عن الروايات الصحيحة التى تصرح ب- «ستفترق أمتى من بعدى على ثلاث وسبعين إحداها ناجية وسائرهما هالكة» (6).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقيون فى النار» (7).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قول النبى (صلى الله عليه وآله): «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة واحدة

ص: 241

1- كقوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى» «سورة الشورى: 23» و «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» «سورة النساء: 59».

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 226.

3- أعلام الدين: ص 356.

4- سورة آل عمران: 85.

5- كالبهائية، وكقسم من العرفاء القائلين بوحدة الوجود ووحدة الموجود وكبعض الصوفية ومن أشبهه.

6- المناقب: ج 3 ص 72.

7- الصراط المستقيم: ج 2 ص 96.

ناجية وهم المتمسكون بولايتكم، لا يعملون برأيهم، أولئك ما عليهم من سبيل»(1).

وفى حديث آخر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا على مثلك فى أمتى مثل المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) افترق قومه ثلاث فرق، فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وان أمتى ستفترق ثلاث فرق، فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة أعداؤك وهم الشاكون، وفرقة غلاة فيك فهم الجاحدون، وأنت يا على وشيعتك ومحبو شيعتك فى الجنة، وأعداؤك والغلاة فى محبتك فى النار»(2).

الخلافة والظلم

مسائل: لا يصلح من يكون ظالماً، أو فى حكم غير المسلمين، أو من يكون من الخاسرين فى الآخرة، لخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يجوز إستخلافه، ولا تكون له الشرعية، ولا لأقواله وأفعاله الحجية، ويلزم الاعتقاد بما ذكر وقد قال سبحانه جواباً لإبراهيم (عليه السلام): «لا ينال عهدى الظالمين»(3).

لا يقال: هل سأل إبراهيم (عليه السلام) من ربه (العهد) للظالمين أو العادلين، فإن سأل للظالمين فهو مستبعد منه (عليه السلام) وإن سأل للعادلين فلم يكن هذا الجواب جواباً له؟

لأنه يقال: إن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) طلب العهد فى الجملة، وإنما فصل الله سبحانه وتعالى ونوه إلى أنهم بين عادل وظالم، لتنبية الناس على هذه الحقيقة (كبرى) والى أنه لا يليق بالخلافة من كان ظالماً (صغرى)، وتفصيل البحث فى علم الكلام.

قولها (عليها السلام): «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»(4).

فإن الذى يتبعى غير الإسلام ديناً وطريقة فى حياته، سواء عقيدة أو عملاً لن يقبل منه

ص: 242

1- الصراط المستقيم: ج 2 ص 126.

2- مائة منقبة: ص 80 المنقبة 48.

3- سورة البقرة: 124.

4- سورة آل عمران: 85.

فى الدنيا فى الجملة(1)، وسبب له ذلك انحطاطاً وانحرافاً وذنكاً فى معاشه وفى سائر مجالات حياته الدنيا.

ولن يقبل منه فى الآخرة أيضاً، قال تعالى: «وهو فى الآخرة من الخاسرين»(2)

وقال سبحانه: «الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين»(3)، لأن الدنيا مزرعة الآخرة(4)، فقسم من الناس يزرعون ما ينفعهم هناك، وقسم من الناس يزرعون ما لا يضر ولا ينفع(5)، وقسم من الناس يزرعون ما يضرهم هناك.

فأهل الباطل يخسرون رأس المال والأرباح المفترضة(6)، بل إنهم يحتطبون أوزاراً ويحملون أثقالاً ويشرون سعيراً، بينما الذكى الفطن هو من يحافظ على رأس ماله ويربح فوق ذلك (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (7).

نسأل الله عزوجل أن يجعلنا من المتمسكين بولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (عليهم السلام).

ص: 243

1- قوله (دام ظله) فى الجملة: إشارة إلى ما سبق فى المسألة السابقة.

2- سورة آل عمران: 85

3- سورة الزمر: 15.

4- الإرشاد: ص 89 ب22، تنبيه الخواطر: ج 1 ص 92.

5- ككثير من الناس الذين يصرفون أوقاتهم فى السهرات (إن لم تتضمن محرماً كالغيبة والتهمة والنميمة وغيرها وإلا كانت السهرة محرمة).

6- رأس المال هو العمر، والقدرات التى منحها الله للإنسان ليستخدّمها فى عمارة آخرته هى (كالذكاء والصحة وماء الوجه)، والأرباح المفترضة: «رضوان من الله» «سورة التوبة: 72»، و «جنة عرضها السماوات والأرض» «سورة آل عمران: 133».

7- أعلام الدين: ص 268.

ثم لم تلبثوا(1) إلا ريث(2) أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها

ومكروا ومكر الله

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) حرمة ما فعله القوم حيث لم يلبثوا إلا ريث سكون نفرتها وسلس قيادتها.

ويحتمل في قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا...) أن يكون إنشاء كما يحتمل أن يكون إخباراً، فعلى الأول - على تأمل فيه - فإن هذا يتضمن تهديداً لهم وعلى ما فعلوه بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنه سيعود - بشناره وضرره - على أنفسهم، وذلك نتيجة أعمالهم المنحرفة ونتيجة إعراضهم عن أحكام القرآن ودساتير الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد قال سبحانه: «ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»(3).

وقال تعالى: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»(4).

وقال سبحانه: «يخادعون الله وهو خادعهم»(5).

وقال تعالى: «ويمكرون ويمكر الله»(6).

وقال سبحانه: «قل الله أسرع مكرًا»(7).

لا يقال: إن... (8) يريد الماكرين فلا يحيط المكر السيئ.

ص: 244

1- وفي بعض النسخ: (ثم لم تبرحوا ريثاً)، وفي بعضها: (هذا ولم تريثوا حتها إلا ريث) وفي بعضها: (ثم لم تريثوا اختها).

2- أى مقدار.

3- سورة فاطر: 43.

4- سورة آل عمران: 54.

5- سورة النساء: 142.

6- سورة الأنفال: 30.

7- سورة يونس: 21.

8- فى المخطوطة ههنا كلمة أو كلمات غير واضحة، ولعل المراد: لا يقال: اننا نلاحظ كثيراً من الماكرين لا يحيط بهم مكرهم السيئ ولا يرون العاقبة السيئة للمكر، فأجاب المصنف: أولاً: بان هذه القضايا غالبية وهى بنحو المقتضى لا العلة التامة. وثانياً: لنا أن نلتزم بأن هذه القضايا دائمية، وأن المكر السيئ يحيق بأهله إما فى الدنيا أو فى الآخرة.

لأنه يقال: هذا على حسب اقتضاء طبيعة الأشياء وقد ذكرنا فيما سبق أن القضايا غالباً طبيعية.

هذا أولاً.

وثانياً: أنا إذا لاحظنا أن الدنيا والآخرة كوجهي الشيء الواحد وأن الآخرة امتداد للدنيا بوجه كما فصلناه في بعض كتبنا(1)، فلا إشكال في أن المكر يعود إلى الماكر سواء في الدنيا أو في الآخرة.

وأما أن الله سبحانه وتعالى أسرع مكرًا، فلأنه سبحانه يعلم مسبقاً بمكرهم ومخططاتهم ولذلك فانه يهيأ أسباب المكر لهم، ويكون مكره أسرع من مكرهم(2)، والمكر عبارة عن معالجة الأمور بنحو خفي حتى يوقع غيره فيما يريد الفرار منه(3).

الحيطة من أهل الباطل

مسألة: الواجب أن لا يغتر المؤمنون من سكون أهل الباطل وهدوئهم ودعتهم الظاهرية، إذ ربما يكونون قد بيتوا شراً مستطيراً.

ومعنى ذلك الأخذ بلوازم الحيطة والحذر، وليس ذلك يعنى مصادرة حرياتهم المكفولة شرعاً أو التصييق عليهم ومعاملتهم كمجرمين، إذ لا قصاص قبل الجناية، ولا يؤخذ بالظنة أو التهمة في الشريعة السمحة السهلة.

نعم من دأب الظالمين والمستبدين القصاص قبل الجناية بل ومن غير قصد لها، والأخذ بالظنة وما أشبه.

وقد كتب الإمام الحسين (عليه السلام) جواباً لكتاب معاوية:

«ابشر يا معاوية بقصاص واستعد للحساب واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنة وقتلك أولياءه بالتهمة ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى الغربية والوحشة»(4).

ص: 245

1- راجع موسوعة الفقه: المدخل، كتاب العقائد، و(التفسير الموضوعي للقرآن) للإمام المؤلف دام ظله.

2- الذي يبدو أن الإمام المصنف فسر (أسرع مكرًا) ب- (أسرع في إعداد مقدمات ووسائل المكر) لا الأسرع في إنفاذ المكر نفسه.

3- أى حتى يوقع الطرف الآخر في المصيدة وفي المحذور الذي فر منه.

4- الاحتجاج: ص 298.

ثم إن هذه الجملة، من كلامها (صلوات الله عليها) تعد إحدى أدق الدراسات وأجمل التعابير في الأدب التصويرى عن طبيعة المنحرفين فى المجتمع ونفسيّتهم، فهم يتبعون خطوات الشيطان فى المراوغة، والتظاهر، والتستر، والمكر، واتباع سياسة الكر والفر، وسياسة الخطوة خطوة، وسياسة خطوة إلى الخلف وخطوتان إلى الأمام.

أقسام المكر

مسألة: المكر على قسمين:

فمنه: مكر صحيح محمود هو مقتضى العدل والعقل (1) واللفظ، وهو ما كان من باب مقابلة المكر بالمكر، وفى حدوده الشرعية، أى ما كان فى مواجهة مكر وحيلة وتضليل وتدليس وظلم الطغاة والمنحرفين والضلال.

ومنه: مكر فاسد مذموم، وهو الابتداء بالمكر مما يعد ظلماً وتحايلاً على الحق لصالح جبهة الضلال والظلام، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فانى سمعت جبرئيل يقول ان المكر والخديعة فى النار» (2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المكر سجية اللئام» (3).

وقال (عليه السلام): «إياك والمكر فان المكر لخلق ذميم» (4).

وقال (عليه السلام): «المكر والخديعة والخيانة فى النار» (5).

وقال الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام): (ولا تمكر بى فى حيلتك) (6) أى لا تمكر بى فى علاجك للأمر.

ومن المحتمل أن قولها (عليها الصلاة والسلام): (لم تلبثوا إخباراً لا إنشاء أى لما سكنت نفرة الخلافة - تشبيهاً لها بالفرس الجموح أو الناقة الهائجة بالنسبة لهم - واسلست السلطة لكم قيادتها، وثبتم على الحكم وانتهزتموها فرصة سانحة وأخرتم من عينه الله خليفة لرسوله (صلى الله عليه وآله) .

ص: 246

1- غير خفى أن العدل فى الله عز وجل وفى الخلق، والعقل فى غيره جل وعلا.

2- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 270 المجلس 46.

3- غرر الحكم: ص 29 ح 6481.

4- غرر الحكم: ص 291 ح 6486.

5- الجعفریات: 171.

6- الإقبال: ص 67 و 148.

قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها). ريث بمعنى: قدر، وقد يضاف عليها (ما) فيقال: (ريثما) أى: قدر ما، فقد لبثتم هادئين - ظاهرياً - بانتظار ساعة الصفر وهي (عندما تسكن نفرتها ويسلس قيادها).

قولها (عليها السلام) (ويسلس قيادها)، بمعنى: سهولة القيادة والانتقاد.

ومعنى الجملتين (1) أن الخلافة كانت حين عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى بن أبى طالب (عليه الصلاة والسلام) كالفرس الجامح الصعب بالنسبة لكم، لا ينقاد لأحد منكم وأشباهكم، ولا تكون قيادته أمراً سهلاً، إنها كانت كذلك بسبب حضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقوته وخشية الأعداء منه، فلم تتمكنوا أن تأخذوها كما تشاءون، لكن لما توفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانشغل الإمام على (عليه السلام) بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) - إضافة إلى أن وصيته (صلى الله عليه وآله) قد قيدته (2) - صارت الخلافة كفرس ذلول فلانشوز لها عنكم، وتمكنتم من قيادها بسهولة، ولذا ركبتموها وأخذتم بزمامها، ولم يكن زهدكم عن الخلافة فى زمان الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا بقدر و بانتظار أن تأتى الخلافة بهاتين الحالتين: حالة السكون وحالة السلاسة، فكان الأمر تكتيكاً منكم وبحثاً عن الفرص وترصباً للدوائر.

ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها

الإعانة على الإنم

مسألة: يستفاد من إطلاق خطابها (3) (عليها السلام) وتوجيهه للمجموع، شموله لمن قاد المؤامرة ولمن أعان عليها، بل ربما أمكن القول بشموله لمن سكت أيضاً، فإنه نوع معونة عقلاً - أو عرفاً، كما ورد فى الساكت عن الغيبة، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الساكت شريك المغتاب» (4).

ص: 247

- 1- بناء على كونهما إخباراً لا إنشاء.
- 2- أى وصيته (صلى الله عليه وآله) للإمام (عليه السلام) بان لا يشهر سيفه وبأن يصبر على غضب حقه رعاية للإسلام. راجع بحار الأنوار: ج 28 ص 300 ب 4 ح 48.
- 3- أى فى قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا) و(ثم أخذتم تورون).
- 4- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 119 باب الغيبة.

باعتبار أن سكوت جمع كبير من الناس عن الظلم يعد من العلل المعدة لوقوعه وتحققه فتأمل.

فكما أن اقتراف الإثم والظلم والغصب محرم كذلك الإعانة عليها محرم أيضاً.

قال تعالى: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها ثم نزل به ملك الموت قال له: أبشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من دل جائراً على جور كان قرين هامان في جهنم»(4).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «من أعان ظالماً فهو ظالم»(5).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله ساخط عليه حتى ينزع من معونته»(6).

وقال (عليه السلام): «لا ينجو من أعان علينا، ولا يعان من أسلمنا»(7).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحاً من درّ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو على عليه قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً من نار»(8).

التفكيك بين الظلم والظالم

مسألة: من المحرمات الإعانة على (ذات الظلم والعدوان) كما تحرم إعانة الظالم على

ص: 248

1- سورة المائدة: 2.

2- الأمل للشيخ الصدوق: ص 426 المجلس 66.

3- الخرائج والجرائح: ص 1058.

4- الأمل للشيخ الصدوق: ص 426 المجلس 66.

5- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 235.

6- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 247 باب عقاب من ظلم.

7- تحف العقول: ص 121، وتفسير الفرات: ص 366 ح 499 سورة الزمر.

8- كشف اليقين: ص 234 المبحث السابع.

إنه قد يكون هناك ظلم صادر عن فاعل مكلف مختار جامع لسائر الشرائط، فهنا قد اجتمع الظلم والظالم.

وقد يكون هنالك ظلم دون أن يوجد ظالم كما لو صدر الظلم أو الجرم أو العدوان عن غير المكلف بوجه من الوجوه، كما لو ضرب المضطر أو المجبور أو المجنون أو الغافل الساهي، إنساناً، وكما في تعدى الحيوان على الإنسان، فإن أعان شخص ذلك الضارب المضطر أو المجنون أو... كان معيناً للظلم وإن لم يكن معيناً للظالم لفرض الانفكاك، وقد تطرقوا إلى شبه هذا المبحث في باب التجري والقبح الفاعلي والفعلي.

وكون ظاهر العناوين: القصدي لا يضر بعد وجود القرينة هاهنا (1) فتأمل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته، أو قاتلهم، أو أعان عليهم، أو سبهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم» (2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما نزلت هذه الآية: «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» (3) قال المسلمون: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أأنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: أنا رول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيون بعدى أئمة على الناس من الله من أهل بيته يقومون في الناس، فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال واشياعهم، ألا ومن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ» (4).

ص: 249

1- الظاهر أن المراد: ما ذكره الفقهاء من أن أي فعل يسند إلى المكلف (كالظلم والبيع والعقد والايقاع) ظاهره انه فعله قاصداً له ف-: (باع) أي باع قاصداً للبيع، و(ظلم) كذلك، اذن الظلم يعنى الظلم قاصداً له، فهناك تلازم بين الظلم والظالم، فأجاب بأن الظهور يتمسك به مع عدم وجود قرينه على الخلاف، والفرض انه (دام ظله) قد صرح ب- (الظلم لا عن قصد) عندما قسم النوع وفكك، فليدقق جيداً.

2- روضة الواعظين: ص 273.

3- سورة الإسراء: 71.

4- بصائر الدرجات: ص 33.

الرضا بفعل الظالم

مسألة: يحرم الرضا بفعل الظالم، وذلك فيما إذا كان الظلم في أمر يتعلق بأصول الدين.

وأما إذا كان الظلم في فروع الدين فالمشهور بينهم عدم الحرمة كما إذا اغتصب إنسان مال إنسان وكان المغتصب منه إنساناً عادياً - لا مثل السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) - فان رضى شخص آخر بهذا الغصب (العادى) فلا يعلم بكونه فاعلاً للحرام وان كان ذلك من رذائل الأخلاق ومما يكشف عن سوء السريرة كالحسد مثلاً ما لم يظهر، وقد ذكروا هذا المبحث أيضاً في باب التجرى في الأصول وعلم الكلام.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «العامل بالظلم والمعين له والراضى به شركاء فيه»⁽¹⁾.

ومثله باختلاف يسير في تحف العقول⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «إياك ومصاحبة أهل الفسوق فان الراضى بفعل قوم كالدخل معهم»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «لكل داخل في باطل إثم إنسان إثم الرضا به وإثم العمل به»⁽⁴⁾.

تقوية شوكة الظالمين

مسألة: تحرم تقوية شوكة الظالمين.

وذلك كالمشى في ركاب الظالم حيث يكون شوكة له وان لم يكن الظالم في حال الظلم.

وكالاتراكم في المؤتمرات والمجالس التي يعقدها الظالم وشبه ذلك.

فان المستفاد من الروايات حرمة ذلك في الجملة، بل لعله يعد من الركون أيضاً، ولو في بعض المصاديق، قال سبحانه: «ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار»⁽⁵⁾.

بل ورد في الحديث الشريف: «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم

ص: 250

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 17.

2- تحف العقول: ص 216 وفيه: «شركاء ثلاثة».

3- غرر الحكم: ص 433 ح 9885.

4- غرر الحكم: ص 331 ح 7633.

5- سورة هود: 113.

وورد: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على الإسلام»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من مشى مع ظالم ليعينه فقد خرج من الإسلام، ومن أعان ظالماً لبيطل حقاً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله»(3).

وقال (عليه السلام) فى حديث وجوه معاش العباد: «وأما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالى الجائر، وولاية ولاته، الرئيس منهم، وأتباع الوالى فمن دونه من ولاية الولاية إلى أدناهم باباً من أبواب الولاية على من هو وال عليه، والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرام محرّم، معذب من فعل ذلك على قليل من فعله أو كثير، لأنّ كلّ شىء من جهة المعونة معصية كبيرة من الكبائر. وذلك أنّ فى ولاية الوالى الجائر دوس الحق(4) كلّ، وإحياء الباطل كلّ، وإظهار الظلم والجور والفساد، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد، وتبديل سنّة الله وشرائعه، فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم إلاّ بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة»(5).

قولها (عليها السلام): (ثم أخذتم) أى: بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، و(ثم) تستخدم للدلالة على الفصل الزمنى كما تستخدم للدلالة على الترتيب الرتبى.

قولها (عليها السلام): (تورون وقدتها) أى: تشعلون وقود النار..

والوقود هو العلة المادية للنار حدوثاً وبقاءً، فبه توجد النار وبه تبقى، قال سبحانه:

«قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة»(6) فنار الآخرة على خلاف النيران المتعارفة فى الدنيا التى توقد بسبب الحطب والفحم والغاز وما أشبه ذلك.

ومن وقود الفتنة كان إثارة الأحقاد البدوية والحنينية والخييرية، والحقد والحسد المتمركز على أمير المؤمنين (عليه السلام) لكونه قاتل جمع كثير منهم فى حروبهم ضد الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا اختصاصه بالفضائل

ص: 251

1- المناقب: ج4 ص251.

2- الصوارم المهركة: 16.

3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج2 ص233.

4- داسه: أى وطأه برجله وتحت أقدامه.

5- تحف العقول: حديث وجوه معاش العباد، عن الإمام الصادق (عليه السلام).

6- سورة التحريم: 6.

ومن وقود الفتنة كان أيضاً الأهواء والشهوات وحب السلطة والرئاسة والجاه والمال، ذلك أن قادة المؤامرة أخذوا يذكرون هذه العوامل في صدور الناس كي يعينوهم على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وليتسلموا السلطة ويصفو لهم الجو.

وقد يكون كناية عن أنكم أخذتم بأزمة الخلافة لأنفسكم وتوقدون نارها لمصالحكم حتى تستفيدوا من الخلافة، فالإنسان الذي ينقلب على الحق ويصادر حقاً أقره الله لغيره لا محالة يكون هدفه الاستفادة منها في أغراضه وأهدافه الشخصية التي يملئها عليه الشيطان والهوى والنفس، ولعل لذلك كان عطفها (عليها السلام) ب- (وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى).

ما يؤدي إلى الغضب

مسألة: كما يحرم أصل الغضب، يحرم أيضاً كل ما يؤدي إلى استحكامه وتجذره وثباته ودوامه وتوسّعه.

وهذا ما كتّ (عليها السلام) عنه بقولها: (وتهيجون جمرتها)، والجمر عبارة عن: الفحم الذي يسجر ناراً ويشتعّل، فانهم كان يهيجون جمرة الخلافة للاستفادة منها في مآربهم.

وهي (صلوات الله عليها) مرة شبّهت الخلافة بالفرس أو البعير أو ما أشبه ذلك حيث يركبه الإنسان للوصول إلى هدفه، ومرة شبّهها بالنار التي كان ينبغي أن ينتفع منها الإنسان في قبسه وسائر مآربه.

ولعل التشبيه ب- (تورون وقدتها..) بلحاظ المقام، باعتبار أن عملهم باغتصاب الخلافة كان كالنار المحرقة التي « لا تبقى ولا تذر» (1).

ولا يخفى لطف التعبير ب- (تورون وقدتها) تنظيراً لغضبهم الخلافة ب- «النار التي وقودها الناس والحجارة» (2).

وربما تستبطن عبارة (وتهيجون جمرتها) فيما تستبطن الدلالة الكمية والكيفية في محاولاتهم، فانهم كانوا يرومون تكريس سلطتهم وتجذير ملوكيتهم وتوسعة سلطانهم فكانوا حثيثي السعي لكسب المزيد من الأنصار ولكسر شوكة الأخصاء، ومن ذلك كان إصرارهم

ص: 252

1- سورة المدثر: 28.

2- سورة البقرة: 24.

الشديد على أخذ البيعة من الكل بلا استثناء، وكانت هذه معصية أخرى منضمة إلى معصية أصل غضب الخلافة كما لا يخفى.

وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى

الاستجابة لهتاف الشيطان

مسألة: إجابة هتاف الشيطان بما هو هو يتبع حكم متعلقه، وباعتبارها منه مسنداً إليه ان عاد إلى مكابرة الله والعناد معه موجب للكفر، وإلا فمحرم فى الجملة، فتأمل.

قال تعالى: «انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون»(1).

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) بعد ان بايعه الناس: «وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان بكم فانه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم»(2).

والشيطان يهتف بالحرام والمكروه وترك الأولى، مثل أن ينام بين الطلوعين، استجابة لهتاف الشيطان فانه من المكروه لا من المحرم.

واستجابتهم لهتاف الشيطان الذى أشارت إليه (صلوات الله عليها) كانت من المحرم بل من أشد درجاته الحرمة لكونهم نقضوا أكبر دعامة وأهم عمود للدين وو الولاية للإمام على بن أبى طالب (عليه السلام)، وقد ورد: (بنى الإسلام على خمس على الصلاة... ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية) (3).

وعن أبى جعفر (عليه السلام): «بنى الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، قال قلت: فأى ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضلهن لأنها مفتاحهن، والوالى هو الدليل عليهن»(4).

ص: 253

1- سورة الأعراف: 30.

2- الأمالى للشيخ المفيد: ص 349 المجلس 41.

3- بحار الأنوار: ج 65 ص 329 ب 27 ح 1.

4- تفسير العياشى: ج 1 ص 191 سورة آل عمران: ح 109.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «في قوله عز وجل: «أرأيت الذي يكذب بالدين» (1) قال: بالولاية» (2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المخالف على بن أبي طالب بعدى كافر، والمشرک به مشرک، والمحب له مؤمن، والمبغض له منافق.. لا يقبل الله الإيمان إلا بولايته وطاعته» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «والذى بعثنى بالحق نبياً إن الله لا يقبل من عبد حسنة حتى يسأله عن حب على بن أبي طالب وهو تعالى أعلم، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان فيه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء وأمر به إلى النار» (4).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «في قوله تعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين» (5)، قال: فالإيمان فى بطن القرآن عى ابن أبي طالب (عليه السلام) ف- «من يكفر» كفر بولايته، «فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين» (6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بولايته - أى ولاية على (عليه السلام) - صارت أمتى مرحومة» (7).

التحذير من مساوئ الشيطان

مسألة: من اللازم ذكر مساوئ الشيطان وأنه يغوى ويضل، فإن ذلك يوجب تفريق الناس من حوله وعدم الاستجابة إليه.

وبالعكس من ذلك يلزم بيان صفات الصالحين والمصلحين، حيث أنه بين مستحب وواجب، فيما إذا سبب التفاف الناس حولهم التفافاً وجوبياً أو التفافاً استجابياً، فتأمل.

وذلك كله فى طرفيه السلبى والإيجابى يعد من مصاديق التولى والتبرى (عمل بالأركان)

ص: 254

1- سورة الماعون: 1.

2- تأويل الآيات: 820.

3- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 11 المجلس 3 ح 6.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 380.

5- سورة المائدة: 5.

6- تفسير الفرات: ص 121 ح 129 سورة المائدة.

7- بشارة المصطفى: ص 198.

(1) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو مقدمة لها.

وربما عد من مصاديق «فقاتلوا أئمة الكفر» (2) و«جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم» (3).

قولها (عليها السلام): (تستجيون لهتاف الشيطان الغوى):

الهتاف - بالكسر - بمعنى: الصياح، وهتف به: أى دعاه، فان الشيطان دعاهم إلى نقض عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أمر الخلافة فاستجابوا له.

والغوى بمعنى: الضال، وذكر هذه الصفة بالذات تذكير بأجلى صفاته مما يناسب المقام، إذ كيف يستجيب الإنسان لهتاف ضال؟ فيضل هو كما ضل شيطانه ويستحق ما استحقه من اللعنة والإبعاد عن رحمة الله والعقاب.

وقد حذر القرآن الكريم عن الشيطان واتباعه:

قال سبحانه: «ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين» (4).

وقال تعالى: «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم» (5).

وقال سبحانه: «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين» (6).

وقال عزوجل: «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً» (7).

وقال تعالى: «ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً

ص: 255

1- الخصال: ص 609، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 226 باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) فى الإيمان وانه معرفة بالجنان وقرار باللسان وعمل بالأركان.

2- سورة التوبة: 12.

3- سورة التحريم: 9.

4- سورة الزخرف: 62.

5- سورة البقرة: 268.

6- سورة آل عمران: 175.

7- سورة النساء: 60.

وقال سبحانه: «وما يعدهم الشيطان إلا غروراً»(2).

وقال تعالى: «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء»(3).

وقال عز وجل: «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»(4).

وقال سبحانه: «يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً»(5).

استجابتهم المطلقة للشيطان

مسألة: قولها (عليها السلام) (تستجيون) يدل على أن استجابتهم لهتاف الشيطان الغوى كان حالة مستمرة ومنهجاً متواصلًا على مر الأيام، ويلزم الاعتقاد بذلك.

حيث أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار، وبقرينة السياق أيضاً.

وحيث أن حذف المتعلق يفيد العموم (6) ولقرائن مقامية أخرى يكشف أن استجابتهم لم تتحدد في قضية واحدة، بل كانت هي الأصل في شتى الجوانب، وإن من مصاديقها غب الخلافة وغصب فدك واتهام المؤمنين بالردة، وأخذ الزكاة عن الناس بالقوة، وقتل الأبرياء والتعدى على الأعراض (كما في قضية مالك بن نويرة والتعدى على زوجته) (7) ومصادرة حريات الناس، والجبر على البيعة، وتحريف كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله)، مضافاً إلى

ص: 256

1- سورة النساء: 119.

2- سورة النساء: 120.

3- سورة المائدة: 91.

4- سورة الأعراف: 27.

5- سورة مريم: 44.

6- أى فى (تستجيون).

7- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 1 ص 179، وشرح النهج: ج 17 ص 202. وفى كتاب الفضائل ص 76: تحت عنوان خبر مالك بن نويرة قال: «فلما توفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب الناس، فنظر إليه وقال: أخو تميم، قالوا: نعم، قال: فما فعل وصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى أمرنى بولايته - يعنى علياً (عليه السلام) - ؟، قالوا: يا أعرابى الأمر يحدث بعده الأمر! قال: بالله ما حدث شىء وإنكم قد خنتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبى بكر وقال: من أرقاك هذا المنبر ووصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس، فقال أبو بكر: اخرجوا الأعرابى البوال على عقبه من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكران عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وانشأ يقول: اطعنا رسول الله ما كان بيننا فيما قوم ما شأنى وشأن أبى بكر إذا

مات بكر قام عمر مقامه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر يدب ويغشاه العشار كأنما يجاهد جمماً او يقوم على قبر فلو قام فينا من قريش عصابة اقمنا ولكن القيام على جمر قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت مالک على رؤوس الأشهاد، ولست آمن ان يفتق علينا فتقاً لا يلتئم فاقتله. فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعدّ بألف، فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق، ثم عذر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله واعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه ويات ينزو عليها نزو...» والحديث طويل.

إيذائه للزهراء (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها و...[\(1\)](#).

ص: 257

1- راجع التهميش في الصفحات 247-289 من هذا الكتاب.

مقتضى الأصل في هتاف الشيطان

مسألة: الأصل في كل دعوة وهتاف للشيطان: الغواية والضلال والإضلال، وهذا في مقابل أن الأصل في المسلم الصحة، وفي غيره أيضاً في الجملة كما فصلناه في الفقه، وربما يقال انه في قبال عدم وجود أصل في غير المسلم بقول مطلق فتأمل(1).

وإنما كان كذلك لأنه مقتضى كونه عدواً، ولزوم اتخاذه عدواً، كما قال تعالى: «يا بني آدم ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير»(2).

وان ذلك هو ما بنى عليه أمره، حيث قال: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين»(3).

وقال تعالى: «قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين»(4).

وقد آلى على نفسه أن لا ينصح شخصاً أبداً كما في قضيته مع أحد الأنبياء (عليهم السلام).

وأما أن هذا النداء الباطني الداعي لأمر ما، هل هو من هتاف الشيطان أو لا، فيعرف بملاحظة موافقته للأهواء والشهوات، ومخالفته للكتاب والسنة والعقل.

وإطفاء أنوار الدين الجلى

إطفاء نور الدين

مسألة: يحرم إطفاء أنوار الدين، فان الدين له نور يهتدى الإنسان بسببه إلى المقاصد الصحيحة، وذلك من تشبيه المعنويات بالماديات.

أو يقال: هو حقيقة، فان النور له مصداقان: نور في الماديات لعالم الأجساد، ونور في

ص: 258

1- (بقول مطلق) متعلق بالمقيد لا القيد.

2- سورة فاطر: 6.

3- سورة ص: 82.

4- سورة الحجر: 39.

المعنويات لعالم الأرواح، فان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، والدين ظاهر بنفسه - لكونه فطرياً منكشفاً للعقول والأرواح دون واسطة(1) - ومظهر لغيره كما هو واضح، فإذا أطفئ ذلك النور أدى إلى ظلام دامس يخيم على الناس، ويسبب عدم وصولهم إلى الهدف من الخلق، قال عز وجل: «وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون»(2).

وعن أبي الحسن الثانى (عليه السلام) قال: «لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جهد الناس على إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليه السلام)»(3).

وقال تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»(4).

وقال سبحانه فى آية أخرى: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»(5).

الدين جلى واضح

مسألة: يستحب بيان أن هذا الدين هو الجلى الواضح المشرق كالشمس فى رابعة النهار، فان الدين براهينه الساطعة وأدلته القويمة شىء جلى واضح لا خفاء فيه، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك وعن آياته ب-(المبين) أى الواضح الجلى.

قال تعالى: «تلك آيات الكتاب المبين»(6).

وقال سبحانه: «إنما على رسولنا البلاغ المبين»(7).

وقال عز وجل: «فتوكل على الله انك على الحق المبين»(8).

ص: 259

1- قال تعالى: « فطرة الله التى فطر الناس عليها » سورة الروم: 30.

2- سورة الذاريات: 56.

3- تفسير العياشى: ج 1 ص 372 ح 75، سورة الأنعام.

4- سورة التوبة: 32.

5- سورة الصف: 8.

6- سورة يوسف: 1.

7- سورة المائدة: 92.

8- سورة النمل: 79.

وعن ابن عباس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «انا والله الإمام المبين(1) أبين الحق من الباطل، وورثته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)»(2).

وأما احتياج الدين في بعض مسائله رغم كونه جلياً إلى البيان، فذلك من باب (ويشيروا لهم دفائن العقول) (3) فالخلل في القابل لا الفاعل، مضافاً إلى انه قد يقال بأن الجلى الواضح من الكلى المشكك، فتأمل.

هل للدين أنوار؟

مسألة: الدين واحد إلا أن له أنواراً واشراقات وتجليات متعددة، ولذلك عبرت (صلوات الله عليها) ب- (أنوار الدين) جمعاً.

فإن للدين أنواراً يهتدى الإنسان بسبب تلك الأنوار إلى طرق المعاش والمعاد والاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها، فالتعدد بلحاظ المتعلق (والمرشد إليه) أو بلحاظ الأفراد - كل فرد فرد - أو بلحاظ المراتب أو بلحاظ أن للصلاة نوراً وللصوم نوراً وللحج نوراً وهكذا، وكلها يجمعها جامع الدين، ولا مانعة جمع هاهنا بين الأربعة.

ولنا أن نقول: المستفاد من قولها (صلوات الله عليها): (أنوار الدين الجلى) - حيث عبرت بأنوار الدين وليس ب-: (نور الدين) - أن هنالك أنواراً تضيء الطريق وتمشع الظلمات وهذه الأنوار تتجسد في كلمات وأشخاص وأحداث وأعمال،

فالكلمات: كالقرآن الكريم وأقوال الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) وآله المنتجبين (عليهم السلام).

والأشخاص: كالمعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وحواريهم والعلماء على مدى العصور.

والأحداث: كحادثة الغدير (4) والمباهلة (5) والمؤاخاة (6) ورد الشمس (7).

والأعمال: كصلاة الليل، والتوجه لزيارة مرقد الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأولياء الله الصالحين،

ص: 260

1- إشارة إلى قوله تعالى: « وكل شيء أحصيناه في إمام مبین » سورة يس: 12.

2- تفسير القمى: ج 2 ص 212 سورة يس.

3- نهج البلاغة: الخطبة 1.

4- راجع الأمالى للشيخ الصدوق: ص 2 المجلس 1 ح 2 وللتفصيل راجع (الغدیر) للعلامة الأمينى (رحمة الله).

5- راجع تفسير العياشى: ج 1 ص 177 سورة آل عمران ح 58.

6- راجع كشف الغمة: ج 1 ص 326 - 329.

7- راجع المناقب: ج 2 ص 318 فصل في طاعة الجمادات له. وكشف الغمة: ج 1 ص 282.

والبكاء والطمس والتطهير على سيد شهداء أهل الجنة (عليه السلام).

وقد حاول الأعداء طمس كل هذه الأنوار:

فالقرآن: عبر تحريف أسباب النزول والتأويل المناقض لحقائق التنزيل.

وكلمات المعصومين (عليهم السلام): عبر إحراقها أو تمزيقها أو إلقائها في الأنهار حيث قالوا: (حسبنا كتاب الله) (1)، أو التصرف فيها زيادة أو نقصاناً، أو تغييرها تأويلاً وتحويلاً.

والأشخاص: عبر قتلهم وتشريدهم وسجنهم ومحاصرتهم وتشويه سمعتهم وتلفيق التهم ضدهم كما قال: «ما منا إلا مقتول أو مسموم» (2).

والأحداث: عبر إسدال ستار التجاهل عليها وطمرها أو التشويش عليها.

والأعمال: عبر صرف الناس عنها تارة باسم أنها بدعة، وأخرى باسم الأهم والمهم، وثالثة بعنوان انها مضيعة للوقت، ورابعة عبر توفير البدائل الأخرى.

وبعض هذه الأنوار وان كان مستحجاً في نفسه إلا أن محاولة إطفائه كلياً والقضاء عليه كظاهرة، يعد محرماً، وأحياؤه بهذا اللحاظ يعد واجباً كما لا يخفى.

وإهمال (3) سنن النبي الصفي (صلى الله عليه وآله)

إلغاء سننه (صلى الله عليه وآله) محرم

مسألة: سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) بين واجبة ومستحبة، والواجبة يحرم تركها، أما المستحبة فتركها غير محرم بما هو ترك، لكن لو انطبق عليه عنوان (الإهمال) المذكور في كلامها (عليها السلام) فربما أمكن القول بالحرمة أيضاً.

وأما (إهماد) سننه (كما في نسخة أخرى) فحتى إهماد المستحب منها محرم، كمن يتعمد

ص: 261

1- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 55، وج 6 ص 51، ونهج الحق: ص 273 المطلب الثاني في المطاعن التي نقلها السنة عن عمر بن الخطاب.

2- بحار الأنوار: ج 27 ص 216 ب 9 ح 18.

3- وفي بعض النسخ: (واهماد) ويكون بمعنى الإطفاء بالكلية.

لا لمجرد ترك صلاة الليل بل يحاول طمسها وامحائها وإهمادها، والإهماد هو إطفاء النار والنور كلياً.

وكما أن تعليق الحكمة على الوصف مشعر بالعلية، كذلك إثبات الحكم - أو ما يشبهه - لموضوع متصف بوصف موحٍ بالمدخلية، فإهمال أو إهماد السنن، مذموم لأنها سنن (النبي) وهو المنبئ من الله، و(الصفى) وهو من اصطفاه الله تعالى فإذا كان الشخص مصطفى لله - وبلحاظ الإطلاق الأحوالى والازمانى - كانت سننه مصطفاه لله دون شك أو ريب، وكان إهمالها أو إهمادها إهمالاً لسنة الله وانتهاكاً لحريم الخالق جل وعلا.

قال تعالى: «ولن تجد لسنة الله تبديلاً»(1).

وقال سبحانه: «ولن تجد لسنة الله تحويلاً»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب: المغير لكتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمبديل سنة رسول الله والمستحل من عترتى ما حرم الله...»(3) الحديث.

ولا يخفى أن التبديل نوع من الإهمال أو الإهماد كما هو واضح.

وعن زرارة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام، فقال: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره، وقال: قال على (عليه السلام): ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة»(4).

وعن أبى جعفر (عليه السلام): «ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله فى كتابه وبينه لرسوله (صلى الله عليه وآله) وجعل لكل شىء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً»(5).

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداة: ... وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد وهتكوا حجابهم فأخذوا من فاطمة (عليها السلام) فذك ومنعوا ميراثها وغصبوها وزوجها

ص: 262

1- سورة الأحزاب: 62.

2- سورة فاطر: 43.

3- الخصال: ص 350، لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبعة ح 25.

4- الكافي: ج 1 ص 58 ح 19.

5- الكافي: ج 1 ص 59 ح 2.

حقوقهما وهموا بإحراق بيتها وأسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) «(1)».

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «ان على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف سنة رسول الله فاتركوه»(2).

ومن هنا أيضاً يعلم عدم صحة قولهم (حسبنا كتاب الله)(3) فان سنته (صلى الله عليه وآله) المتمثلة به (صلى الله عليه وآله) وبأهل بيته (عليهم السلام) لا يجوز إهمالها أو إهمادها كما سبق.

إلغاء السنن يوجب الفسق

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن من أهدم سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأطفأها أو أهملها في الجملة، ظالم فاسق، وبأن من فعل ذلك لا يمكن أن ينال الخلافة، فانه: «لا ينال عهدى الظالمين»(4).

قولها (صلوات الله عليها): (وإهماد سنن النبي الصفي)، الإهماد بمعنى: الإطفاء فانه إذا أطفأت النار يقال: أهملها، وهم قد أطفئوا سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخلافة، وإنما عبرت (صلوات الله وسلامه عليها) بالسنن لأن في إطفاء خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إطفاءً لغير واحد من سنته (صلى الله عليه وآله) لأن الخلافة جماع الخير والشر، وهي المحور والمنطلق، ومنها ان انحرفت تبدأ بالفتنة واليه تعود الخطيئة.

وربما يكون المقصود ما هو الظاهر من إغائهم مجموعة من سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) وإهمادها من غضب الخلافة، وغضب فذك، ومنع الارث، وغير ذلك.

تشربون(5) حسواً في ارتغاء

هل المكر محرم؟

مسألة: هل الذين يشربون حسواً في ارتغاء، يرتكبون إثمين: إثم الغضب وإثم المكر

ص: 263

1- الخصال: ص 607 خصال من شرائع الدين.

2- مشكاة الأنوار: ص 152.

3- بحار الأنوار: ج 22 ص 472 ب 1 ح 21، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 55 ب 26.

4- سورة البقرة: 124.

5- وفي بعض النسخ: (تسرون).

والمخادعة، أم إثما واحداً؟

ربما يقال: بأن ما يستفاد من لحن الآيات والروايات مذمومية المكر في حد ذاته:

قال تعالى: «ومكروا ومكر الله»(1).

وقال سبحانه: «يخادعون الله»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ليس منا من ماكر مسلماً»(4).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر»(5).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة مائلاً شذقه حتى يدخل النار»(6).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا أن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفر، ألا وأن الغدر والفجور والخيانة في النار»(7).

وربما يستفاد ذلك أيضاً من روايات (التدليس) (8) وغيرها.

وكذا من إدراك العقل لقبحه أو حكمه به، لكن قد يقال بطريقته والذم من باب مقدميته ولا تلازم بين القبح الذاتي - على تقديره - وبين الحرمة.

قولها (صلى الله عليه وآله) - على بعض النسخ -: (تسرون حسواً في إرتغاء).

الإسراء: ضد الإعلان.

والحسو، بفتح الحاء وسكون السين المهملتين بمعنى: شرب المايح شيئاً بعد شىء.

والإرتغاء: شرب الرغوة وهو الزبد على اللبن، وهذا من أمثال العرب، يقال ذك لن:

ص: 264

1- سورة آل عمران: 54.

2- سورة البقرة: 9، وسورة النساء: 142.

3- الكافي: ج 2 ص 336 ح 1.

4- الكافي: ج 2 ص 337 ح 3.

5- الكافي: ج 2 ص 337 ح 4.

6- الكافي: ج 2 ص 337 ح 5.

7- الكافي: ج2 ص338 ح6.

8- راجع موسوعة الفقه: ج93 كتاب (المحرمات).

يظهر أمراً ويريد غيره، فكأنه يظهر أنه يريد تذوق الزبد حتى يرى صلاحه وفساده، لكنه يريد أن يشرب من خلال هذا التذوق اللبن جرعة بعد جرعة.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تقصد من هذا المثل ان الغاصبين أسرعوا إلى السقيفة وهم يدعون ان ذلك لأجل الوقوف أمام الفتنة، لكنهم أرادوا غير ذلك وهو غضب الخلافة من أهلها، وكذلك ادّعوا ان غضبهم فدك كان لأجل المصلحة العامة! والحال انه كان لأجل تجريد ذوى الحق من العامل الاقتصادى والمقدرة المالية، وهم بذلك كانوا ممن تسلح بالغاية لتبرير الوسيلة، مع انه تعالى قال: «إنما يتقبل الله من المتقين»⁽¹⁾ ومع أن الغاية فى حد ذاتها كانت خادعة مضللة كاذبة.

حسن الحذر والاحتياط

مسألة: ينبغى توخى الحذر والاحتياط فى التعامل مع الشؤون الخطيرة، خاصة إذا فسد الزمان حيث قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى نهج البلاغة: (إذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر)⁽²⁾.

وفى كل الصور فان المحتمل إذا كان خطيراً وان كان الاحتمال ضعيفاً يلزم الفحص والاحتياط، ولو عمل بهذه القاعدة الهامة، عامة الناس الذين ساهموا فى تكريس سلة (الذين شربوا حسوا فى إرتغاء) - مع قطع النظر عن تمامية الحجّة عليهم وإبلاغ الرسول (صلى الله عليه و آله) لهم بمحض الحق - لما حدثت المآسى التى حدثت من صدر التاريخ بتموجاتها حتى يومنا هذا.

ومن ذلك يعرف انه يلزم الفحص والاحتياط عند سماع ما يدعيه أذعياء السلام أو المحبة والوثام، دولاً كانوا أم أحزاباً أم شخصيات.

فالفحص فى الشبهة الموضوعية فى أمثال تلك الصور لازم، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى الأصول والفقہ.

وتمشون لأهله وولده فى الخمرة والضراء

ص: 265

1- سورة المائدة: 27.

2- بحار الأنوار: ج 72 ص 197 ب 62 ح 18 عن نهج البلاغة.

حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام)

مسألة: يحرم إرادة الشر بأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإعانة عليهم.

وقد وردت روايات في حرمة الإعانة على المؤمن فكيف بهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وهم أساس الإيمان.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أعان على مؤمن بشرط كلمة لقي الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمتي» (1).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام): «من أعان على مؤمن بشرط كلمة جاء يوم القيامة وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله» (2).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أراه يوم القيامة» (4).

هذا وقد كان الغاصبون للخلافة يدعون أنهم يريدون بذلك الإصلاح، بجمع كلمة المسلمين، ودفع الفتنة، وهذا النوع من الناس كثير في المجتمع، إذ الذين يسعون إلى تحقيق أهدافهم الشخصية تحت غطاء إصلاحى كثيرون، كما قال فرعون: «إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد» (5) وإنما كان هدفه في الواقع: محاولة تكريس سلطته وإرادة بقاء ملكه وذلك مصداق «يلبسون الحق بالباطل»، قال تعالى: «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» (6)، وقال سبحانه: «يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» (7).

وهكذا حال كثير من الظالمين على طول التاريخ، قال عز وجل: «يعرفونه كما يعرفون

ص: 266

1- الكافي: ج 2 ص 368 ح 3.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 94 ب 2 ح 5157.

3- الكافي: ج 2 ص 600 ح 4.

4- بحار الأنوار: ج 4 ص 3 ب 1 ح 4.

5- سورة غافر: 26.

6- سورة البقرة: 42.

7- سورة آل عمران: 71.

أبناءهم»(1) وقال تعالى: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»(2) إلى غير ذلك من الشواهد والأمثال.

قولها (عليها السلام): (وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء).

الخمر: على وزن فرس، يقال: توارى الصيد في خمر الوادى أو خمر الغابة، ومنه قولهم: دخل فلان في خمار الناس أى ما يواريه ويستتره منه، وأصله من الخمر فان معنى الخمر هو الستر، يقال للمسكر: الخمر، لأنه يستر العقل.

والضراء: على وزن براء، الشجر الملتف في الوادى ونحوه، يقال لمن خذل صاحبه وخادعه: يدب له الضراء ويمشى له الخمر، والمراد: انهم يمشون في اغتصاب الخلافة وفدك مثل المشى في الخمر والضراء، لأنهم يخفون مقاصدهم الواقعية ويظهرون شيئاً آخر وذلك لخداع الناس.

من هم الأهل

مسألة: يستفاد من قولها (وتمشون لأهله وولده) المقصود من أهل بيته (صلى الله عليه وآله) وربما يستفاد تعيين وتوضيح المراد من قوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»(3) وأنهم: فاطمة وبعلاها وبنوها (عليهم السلام) وليست الآية شاملة للأزواج، فان السعى المضاد في الخمرة والضراء كان خاصاً بهم (عليهم السلام) دون الأزواج أو العباس (عليه السلام) أو من أشبهه، وذلك حسب المتفاهم العرفى وتفسير بعض كلامهم بالبعض الآخر، فلا يرد أن وجود قرينة على تعيين المراد فى مورد - حالية كانت أم مقالية - لا يقتضى إرادة ذلك المعنى منه فى مورد آخر، إضافة إلى ان القرائن على انحصار المقصود من «أهل البيت» فى الآية المباركة على هؤلاء الأطهار (عليهم السلام) قطعياً(4).

قال إسماعيل بن عبد الخالق: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبى جعفر الأحول وأنا اسمع: ... ما يقول أهل البصرة فى هذه الآية «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى

ص: 267

1- سورة البقرة: 146، وسورة الأنعام: 20.

2- سورة البقرة: 89.

3- سورة الأحزاب: 33.

4- فليراجع (الغدیر) للعلامة الأمينى و(المراجعات) للسيد شرف الدين و(احقاق الحق) وغيرها.

قلت: جعلت فداك انهم يقولون إنها لأقارب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال (عليه السلام): كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء (عليهم السلام)»(2).

الأسباط أبناء

مسألة: كلامها (عليها السلام) هاهنا، دليل آخر على كون الأسباط أبناء، وان الحسن والحسين (عليهما السلام) أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولا وجه بعد تصريح الآيات والروايات - ومنها تصريحها (عليها السلام) هاهنا - لما قال الشاعر:

بنونا بنوا أبناءنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأبعد

هذا مع قطع النظر عن كون كلام الشاعر لا حجية له في حد ذاته، ومع قطع النظر عن عدم وضوح دلالة على المدعى.

قال تعالى في آية المباهلة: «وأبناءنا وأبناءكم»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ان ابني هذين - الحسن والحسين (عليهما السلام) - ريحانتي من الدنيا»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله) مشيراً للحسن (عليه السلام): «إن ابني هذا سيد»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ان الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي مع فاطمة ابنتي»(6).

ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا

وجوب الصبر في الجملة

ص: 268

1- سورة الشورى: 23.

2- الكافي: ج 8 ص 93 ح 66.

3- سورة آل عمران: 61.

4- بحار الأنوار: ج 43 ص 275 ب 12 ح 42.

5- بحار الأنوار: ج 43 ص 298 ب 12 ح 62.

مسألة: الصبر على الطاعة الواجبة واجب، وهكذا عن المعصية، وعلى المصائب مستحب، وربما وجب، وعلى حسب شدة مرارته يكون الأجر، وعلى حسب درجات ما يصبر عليه أيضاً.

وصبرها (عليها السلام) وبعلمها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المشار إليه في كلامها هاهنا كان صبراً على الطاعة، إذ سكوتهم (عليهم السلام) بالمقدار الذي عملوه كان تكليفاً، حفاظاً على الإسلام والمسلمين، وهكذا صبرهم على المصيبة وما أقساها من مصيبة بل ما أمضاها من مصائب ورزايا.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله»(1).

وقال (عليه السلام): «الصبر رأس الإيمان»(2).

وقال (عليه السلام): «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من البدن»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»(4) الحديث.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عود نفسك الصبر فنعيم الخلق الصبر»(5).

وقال (عليه السلام): «اعلم ان النصر مع الصبر»(6).

إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام)

مسألة: يجب إحياء ظلامه السيدة الزهراء (عليها السلام) حتى تكون على مر الأيام غضة طرية لا يعفى عليها الزمن كمصيبة سيد الشهداء (عليه السلام).

وقد اخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بظلامتها قبل أن تقع، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا على انى راض عنى رضيت عنه ابنتى فاطمة وكذلك ربي وملائكته، يا على ويل لمن ظلما، وويل لمن ابتزا حقها وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها وويل لمن أذى خليلها وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم انى منهم برىء وهم منى براء، ثم سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضم فاطمة إليه

ص: 269

1- الكافي: ج 2 ص 60 ح 1.

2- الكافي: ج 2 ص 87 ح 2.

3- الكافي: ج 2 ص 87 ح 2.

4- الكافي: ج 2 ص 91 ح 15.

5- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 386 ب 2 ح 5834.

6- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 412 ب 2 ح 5900.

وعلياً والحسن والحسين»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله) لابنته (عليها السلام): «وأنت تظلمين وعن حقك تدفعين وأنت أول أهل بيتي لحوقاً بي»(2).

وقد قال جبرئيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): «أما ابنتك فهي أول أهلك لحاقاً بك بعد أن تظلم ويؤخذ حقها وتمنع ارثها ويظلم بعلمها ويكسر ضلعها» الحديث(3).

وفى الحديث الشريف عن ابن عباس، قال:

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن (عليه السلام) فلما رآه بكى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: إلىّ الّى يا بنىّ، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه الأيمن.

ثم أقبل الحسين (عليه السلام) فلما رآه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكى، ثم قال: الّى الّى يا بنىّ، فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليسرى.

ثم أقبلت فاطمة (عليها السلام)، فلما رآها بكى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: الّى الّى يا بنية، فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل أمير المؤمنين (عليها السلام) فلما رآه بكى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: الّى الّى يا أخى، فما زال يدنيه حتى أجلسه الّى جنبه الأيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء الأبيات، أو ما تسرّ برؤيته؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): والذى بعثنى بالنبوة، واصطفانى على جميع البرية، انى وإياهم لأكرم الخلق على الله عزوجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب الّى منهم.

أما على بن أبى طالب (عليه السلام) فانه أخى وشقيقى، وصاحب الأمر بعدى، وصاحب لوائى فى الدنيا والآخرة، وصاحب حوضى وشفاعتى، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقى، وهو وصيى وخليفتى على أهلى وأمتى، فى حياتى وبعد موتى، محبه محبى ومبغضه مبغضى، وبولايته صارت أمتى مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة منها ملعونة، وانى بكيت حين أقبل لأنى ذكرت غدر الأمة به حتى انه ليُزال عن مقعدى وقد جعله الله له بعدى، ثم

ص: 270

1- بحار الأنوار: ج 22 ص 485 ب 1 ح 31.

2- بحار الأنوار: ج 36 ص 264 ب 41 ح 85.

3- بحار الأنوار: ج 98 ص 44 ب 5 ح 84.

لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته.

واما ابنتى فاطمة: فانها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهى بضعة منى، وهى نور عيني، وهى ثمرة فؤادى، وهى روحى التى بين جنبيّ، وهى الحوراء الإنسية، متى قامت فى محرابها بين يدي ربها جل جلاله ظهر نورها لملائكة السماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزوجل لملائكته: يا ملائكتى ويا سكان سماواتى انظروا الى أمتى فاطمة سيدة نساء إمائى، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتى، وقد أقبلت بقلبها على عبادتى، اشهدكم انى قد آمنت شيعتها من النار.

وانى لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدى، كأنى بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغضب حقها، ومنعت ارثها، وكسر جنبها، واسقطت جنينها وهى تنادى يا محمداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدى محزونة مكروية باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقى أخرى، وتستوحش اذا جنبها الليل لفقد صوتى الذى كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد ان كانت فى أيام أبيها عزيزة...

فتكون أول من يلحقنى من أهل بيتى، فتقدم علىّ محزونة مكروية مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غضبها، وذل من أذلها، وخذل فى نارك من ضرب جنبها حتى ألقى ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.. الحديث(1).

لا يقال: ذلك تاريخ قد انقضى.

لأنه يقال: التاريخ هو الذى يصنع المستقبل، والحاضر تاريخ المستقبل، ومن لا تاريخ له لا جذور له، ولذلك ذكر الله تعالى فى كتابه الحكيم قصة هابيل وقابيل(2)، وغيرها من القصص.

قال سبحانه: «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب»(3).

ص: 271

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 112 المجلس 24 الحديث 2.

2- سورة المائدة: 27، قال تعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين» .

3- سورة يوسف: 111.

ولذلك كله سجلت (عليها السلام) ظلّامتها بقولها: (ونصبر منكم على مثل خز المدى ووخز السنان فى الحشا).

ولذلك كان (نفس المهوم لنا المغتم لظلمنا تسبيح وهمه لأمرنا عبادة)(1).

ولذلك ورد: (من أبكى أو بكى أو تباكى وجبت له الجنة)(2).

وإذا كان من فلسفة الآخرة الاقتصاص من الظالم مع ان ظلمه تاريخ، والثواب على الطاعة والطاعة تاريخ، كما لا يخفى.

وإذا كان (فرعون) آية لمن استكبر وطغى - بنص الكتاب(3) - خلدها البارى عزوجل فى كتابه كرمز لقوى الشر.

وإذا كانت قصصهم عبرة لأولى الألباب(4).

وإذا جعل الله عزوجل نبيه عيسى (عليه السلام) آية للناس(5).

وإذا أنجى الله سبحانه نوحاً (عليه السلام) وأصحاب السفينة وجعلها آية للعالمين(6).

وإذا ترك سفينته لتكون آية للمدكرين(7).

وإذا كان أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) يطلب من رب الأرباب «واجعل لى لسان صدق فى الآخرين»(8) حتى يتحدث عنه - بكل خير

- ووفى دارة الماي، ود قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من ورخ مؤمناً فكأنما أحياء»(9).

وإذا كان العقلاء على مر الأزمان يعتنون بتاريخهم بشتى الصور..

ص:272

1- الكافى: ج2 ص226 ح16.

2- راجع بحار الأنوار: ج44 ص288 ب34 ح27، وفيه عنهم (عليهم السلام): «من بكى وأبكى فىنا مائة فله الجنة، ومن بكى وأبكى

خمسين فله الجنة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الجنة، ومن بكى وأبكى

واحداً فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة».

3- قال تعالى: « فاليوم ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية » « سورة يونس: 92».

4- اشارة إلى قوله تعالى: « لقد كانت فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » « سورة يوسف: 111».

5- اشارة إلى قوله سبحانه: « قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس » « سورة مريم: 21».

6- اشارة إلى قوله تعالى: « فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » « سورة العنكبوت: 15».

7- اشارة إلى قوله سبحانه: « ولقد تركناها آية فهل من مدكر » « سورة القمر: 15» .

8- سورة الشعراء: 84.

9- سفينة البحار: ج2 ص641 مادة (ورخ) ط القديمة.

وإذا كانت كتب التاريخ تملأ المكتبات في كل الحضارات

وإذا.. وإذا...

فالدعوة إلى إلغاء التاريخ، تعد عند العقلاء سفاهة وجهلاً أن لم تعد مخططاً خبيثاً لقطع الأمة عن جذورها ليسهل للمستعمر ابتلاعها و...

وإذا كان كل ذلك كذلك، فلماذا نسمع همسات من هنا وأصوات من هنالك تنادى بطمس أهم ملامح التاريخ وأهم منعطف تاريخي وأهم محور في معادلة الصراع الكبرى بين قوى الجاهلية والإيمان، حيث تقول الآية القرآنية الشريفة: «أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(1)؟

مما يستحب للمظلوم

مسألة: يستحب للمظلوم التحدث عن (صبره) والجهر بصموده كما ذكرت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذلك، فانه بيان للحق بهذا الأسلوب، بالإضافة إلى انه يكون بذلك أسوة وقدوة لسائر الناس، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً أرى تراثي نهبا)(2).

فان الإنسان الذي يعترض العظم حلقه لا يتمكن من الأكل ولا من الشرب ولا حتى من النوم ولا مزاوله أعماله اليومية، براحة أو بشكل طبيعي.

وكذلك الإنسان الذي في عينه قذى، لا يتمكن من فتح عينه ولا من إغماضها، فهو في ألم مستمر وفي أذى متواصل، وكلامه (عليه السلام) اشارة لعظيم ما تجرعه من الظلم.

وقال (عليه السلام): «فأغضيت على القذى وتجرت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم وعالم للقلب من حز الشفار»(3).

وقال (عليه السلام): «ان الله عزوجل امتحنني بعد وفاة نبيه (صلى الله عليه و آله) في سبعة مواطن فوجدني فيهن من

ص: 273

1- سورة آل عمران: 144.

2- نهج البلاغة: الخطبة 3.

3- بحار الأنوار: ج 33 ص 569 ب 30 ح 722.

غير تركية لنفسى بمنته ونعمته صبوراً...»(1).

المظلوم والرأى العام

مسألة: يستحب للمظلوم أن يشرح ما جرى عليه من الظلم، وما تركه الظلم عليه من آثار جسدية أو نفسية، شخصية أو نوعية، فان ذلك يوجب التنفر من الظالم، بالإضافة إلى انه يدفع الناس للاقتداء بصبره واستقامته - كما سبق -، وبذلك يكون له أجران، أجر التنفير من الظالم وأجر الأسوة، فيكون داخلاً فى ملاك (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)(2).

وبذلك يعرف ان ما يقوم به المظلومون من عرض ما صار بهم، كأثار مظلوميتهم - كأثر التعذيب فى سجون الطغاة وغيره - على منظمات حقوق الإنسان وعلى الملأ العام وعبر الوسائل الإعلامية، هو مما يؤجر عليه الإنسان لأنه من طرق النهى عن المنكر، وقد يكون ذلك نوعاً من التأسى بالسيدة الزهراء وسائر أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «ما من مؤمن يعين مظلوماً إلا كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه فى المسجد الحرام»(3).

وقال (عليه السلام): «من قدر على أن يغير الظلم ثم لم يغيره فهو كفاعله، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم لا ينهى ولا يغير عليه ولا يؤخذ على يديه»(4)، وما ذكرناه مما يوجب ردع الظالم كما لا يخفى.

صبر القائد

مسألة: الصبر - الواجب منه والمستحب - كسائر الحقائق التشكيكية له مراتب، وكما يجب الصبر على من هو فى موقع القيادة، كما قالت (ونصبر منكم)، يجب على القاعدة

ص: 274

1- بحار الأنوار: ج 38 ص 172 ب 62 ح 1.

2- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 230 ب 15 ح 13962.

3- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 389 ب 22 ح 14373.

4- مستدرک الوسائل: ج 12 ص 184 ب 1 ح 13834 عن السيد المسيح (عليه السلام).

والعامة الصبر أيضاً، إلا أن الفرق في المراتب إذ الصبر في القائد أكد وأشد وأولى.

ثم ان صبرها (عليها الصلاة والسلام) كان واجباً - كما سبق - لأجل المحافظة على كلمة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إذ من الواضح أن الإمام أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) لو كان مجرد السيف في وجوه الغاصبين لكانت تضعف شوكة المسلمين ويستغل الفرس والروم الفرصة لشن هجوم كاسح على المسلمين، مضافاً إلى أنهم كانوا يشوهون موقف الإمام (عليه السلام).

لا يقال: بأن كلمة التوحيد كانت موجودة.

لأنه يقال: من الواضح أن المسيحيين يقولون بألهة ثلاثة والمجوس يقولون بالهين اثنين، وكلاهما على خلاف كلمة التوحيد.

أسلوب مواجهة الطغاة

مسألة: كما يستفاد المصداق من الكلى (1)، يمكن أن يستفاد الكلى من المصداق أحياناً (2) وكلامها (صلوات الله عليها) ها هنا: (ونصبر منكم) وان كان ذكراً للمصداق إلا انه يستفاد منه الكلى في أشباه تلك المواطن.

وذلك هو ما نذهب إليه في أمثال هذه الأزمنة حيث نلتزم بضرورة سلوك طريقة اللاعنف والسلم في مواجهة الحكومات الجائرة.

وكما كان حمل السلاح بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ضد الذين انقلبوا عليه منهياً عنه لمخاطره الأكبر، كذلك نرى النهي عن حمل السلاح ضد الحكومات في هذا الزمن وضرورة الالتزام بالمواجهة السلمية، من إضرابات ومظاهرات ونحوها، فان ذلك أحمد عاقبة، وتجربة غاندي (3) في الهند من شواهد ذلك، وتفصيل الحديث في محله (4).

ص: 275

1- أى كما يستفاد حكم المصداق من الكلى.

2- وذلك بتتقيح المناط - عندما يكشف الجامع - ومن المصاديق ما عبر عنه المناطقة بالاستقراء المعلن.

3- موهانداس كرامشاند (1869-1948م) فيلسوف ومجاهد هندي، يعتبر من دعاة السلام المشهورين في العالم، ولد في بور بندر، اشتهر بلقب (المهاتما) أى النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الاستعمار البريطاني وذلك بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف، وكان قد تعلم كثيراً من أساليبه الناجحة من سياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام)، أدت جهوده إلى استقلال الهند عام 1947، اغتاله برهماني متعصب.

4- للتفصيل راجع (السبيل إلى إنهاء المسلمين)، و(الصياغة الجديدة لعالم الايمان والحرية والرجاء والسلام) و(اللاعنف في الإسلام)، (إذا قام الإسلام في العراق) و(الفقه: النظافة) للإمام المؤلف (دام ظله).

مسألة: يستحب - وقد يجب - بيان مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) للعالم، تأسياً بهم (عليهم السلام) حيث ذكروا ذلك، مضافاً إلى أنه من إحياء أمرهم وفضح أعدائهم.

قولها (صلوات الله عليها): (ونصبر منكم على مثل حز المدى).

المدى: جمع مدية وهي السكين والشفرة ونحوهما، يعنى: إن صبرنا ليس بالصبر الهين، وإن ما صدر (منكم) أمر فادح عظيم وظلم فاحش كبير، فصبرنا على ما صدر منكم تجاهنا كصبر الإنسان الذى يقطع بالمدية وهو صابر كاظم للغیظ.

وكلامها (عليها السلام) إشارة إلى عظم الخطب عليهم وشدته، والتمثيل فى كلامها (عليها السلام) تمثيل للأقوى بالأضعف والأعلى بالأدنى وهو من مصاديق البلاغة كما ذكر فى محله (1) إذ إن صبرهم (عليهم السلام) فى مواجهة ذلك الظلم الفاحش كان أمر وأصعب وأقسى من صبر من يحز بالمدية كما وكيفاً (2) كما لا يخفى.

ص: 276

1- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

2- فإن الحز بالمدية عادة لحظات، والمصائب التى تواترت عليهم كانت شهوراً طويلة واستمرت لسنوات، ثم ان عمق الألم بالحز بالمدية لا تقارن بعمق الألم ياحدى تلك المصائب العظيمة، ك-: (جر) ولى الله الأعظم فى الكون وحجته الكبرى بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالحبال أو كما قال العلامة آية الله الشيخ الأصفهاني (رحمة الله) فى قصيدة له: أتضرم النار بباب دارها وآية النور على منارها وقال أيضاً: لكن كسر الضلع ليس ينجبر الا بصمصام عزيز مقتدر إذ رض تلك الأضلع الزكية رزية لا مثلها رزية ومن نبوع الدم من ثديها يعرف عظم ما جرى عليها وجاوزوا الحد بلطم الخد شلت يد الطغيان والتعدى وقال أيضاً: ولا تزال حمرة العين سوى بيض السيوف يوم ينشر اللوا وللسياط رنة صداها فى مسمع الدهر فما أشجها والأثر الباقي كمثل الدمليج فى عضد الزهراء أقوى الحجج ومن سواد متنها اسود الفضيا ساعد الله الإمام المرتضى ووكز نعل السيف فى جنيها أتى بكل ما أتى عليها ولست أدري خبر المسمار سل صدرها خزانة الأسرار وفى جنين المجد ما يدمى الحشا وهل لهم إخفاء أمر قد فشا والباب والجدار والدماء شهود صدق ما به خفاء لقد جنى الجانى على جنيها فاندكت الجبال من حنينها أهكذا يصنع بابنة النبي حرصاً على الملك فيا للعجب أتمنع المكروبة المقروحة عن البكا خوفاً عن الفضيحة تالله ينبغى لها تبكى دما مادامت الأرض ودارت السما لفقد عزها أبيها السامى ولاهتضامها وذل النامى

وهنالک جهة أخرى أيضاً، فان صبر العاجز أهون من صبر القادر، وصبر القادر على الرد والتحدى - وكانوا (عليهم السلام) كذلك - أصعب وأمر من صبر غيره، فان القادر يصبر صبرين: صبراً على الألم، وصبراً على عدم الرد، وقل وندر من يصبر وهو قادر على الرد(1).

الساكت على الظلم

مسألة: الساكت على الظلم شريك فيه - كما سبق - وذلك يستفاد من قولها: (منكم) (2) فهم جميعاً في ظلم أهل البيت (عليهم السلام) شركاء.

قولها (عليها السلام): (ووخز السنان في الحشى)، الحشى: داخل الإنسان، والوخز عبارة عن: الطعن.

يعنى: إننا نصبر على ما صدر منكم كصبر إنسان يطعن بالرمح أو الخنجر، ويغرز في داخله، فان الأمر - كما ذكر - صعب جداً وهو بحاجة إلى درجة مثالية من الصبر حتى

ص: 277

-
- 1- ولتصور شخصاً يكيل لك الضربات بكل قوة وأنت قادر على الدفاع ببساطة ولكن تحجم عن الدفاع ويستمر هو في الضرب متجبراً...!
 - 2- نظراً للتعميم في (نصير منكم) وعدم تخصيصه بالأقلية الذين باشروا الظلم.

يتحمّله.

وانتم الآن تزعمون ان لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟!.

تطويق الباطل

مسألة: من اللازم تطويق الباطل من جميع جوانبه ظاهراً وباطناً، صورة ومحتوى، بما يفنده ويطله ويمحقه، كما صنعت (صلوات الله عليها) حيث قالت: (وانتم الآن تزعمون) فلم تكتف بالاستدلال على المطلب بل أطرت دعوى الخصم بإطار (الزعم) الدال على كونه خلافاً للحقيقة.

وذلك أقوى في الرد وأبلغ في الحجة وادعى للنهي عن المنكر، ومن مصاديق «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»(1).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الحق سيف على أهل الباطل»(2).

وقال (عليه السلام): «لا يجتمع الحق والباطل»(3).

وقال (عليه السلام): «ثلاث فيهن النجاة: لزوم الحق وتجنب الباطل وركوب الجد»(4).

وقال (عليه السلام): «من ركب الباطل أهلكه مركبه»(5).

وقال (عليه السلام): «نحن أقمنا عمود الحق وهزمتنا جيوش الباطل»(6).

قولها (عليها السلام): (الآن) فيه إشارة إلى أن هذه الدعوى منهم كانت وليدة يومها ولم يقل أحد منهم بها زمن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكفى بهذه الكلمة رداً عليهم، وإلا فلماذا لم يطرحوا هذه

ص: 278

1- سورة الأنبياء: 18.

2- غرر الحكم: ص 68 ح 921.

3- غرر الحكم: ص 68 ح 941.

4- غرر الحكم: ص 69 ح 973.

5- غرر الحكم: ص 71 ح 1033.

6- غرر الحكم: ص 120 ح 2096.

القضية في حياته (صلى الله عليه وآله) وعند مرضه ليحضوا بتأكيده؟!.

متى يجوز النقل بالمضمون

مسألة: يجوز تضمين الحديث بآيات من الذكر الحكيم مع تغيير في الضمائر أو شبهها بما يناسب الخطاب شرط أن لا تكون بدعوى ان ذلك هو نص الكتاب أو في مقام يوهم ذلك، وهذا من مصاديق النقل بالمضمون كما صنعت (عليها السلام) حيث قالت: (أفحکم الجاهلية تبغون)⁽¹⁾.

الحكم بفسقهم

مسألة: يستفاد من تضمينها (عليها السلام) هذه الآية في خطبتها، حكمها بفسقهم تبعاً للقرآن الكريم من قبل، حيث قال تعالى: «وان كثير من الناس لفاسقون * أفحکم الجاهلية يبغون»⁽²⁾.

كما يظهر استنادها (عليها السلام) للآية بعض صفاتهم الأخرى من إتباعهم الأهواء ومحاولتهم الفتنة وتوليهم وإعراضهم عن الحق، إذ قال تعالى: «وان احکم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون * أفحکم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»⁽³⁾.

ص: 279

1- والآية هي « أفحکم الجاهلية يبغون » « سورة المائدة: 50 ».

2- سورة المائدة: 49، 50.

3- سورة المائدة: 49، 50.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: «ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»⁽¹⁾ أى: «كفر بولاية على بن أبى طالب (عليه السلام) فهم العاصون لله ولرسوله»⁽²⁾.

كما ورد في قوله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»⁽³⁾ ان أبى قحافة أول من منع آل محمد (صلى الله عليه وآله) حقهم وظلمهم وحمل الناس على رقابهم وهكذا كان الذين جاءوا من بعده⁽⁴⁾.

أحكام الله لا تتبدل

مسألة: كما ان من مصاديق استدلالها (صلى الله عليه وآله) بالآية الشريفة: «أفحكم الجاهلية يبغون»⁽⁵⁾ الرد على دعوى أن لا- ارث لأبناء الأنبياء، كذلك من مصاديق الآية الشريفة⁽⁶⁾ دعوى التساوى فى الإرث بين الرجال والنساء هذا الزمن بدعوى ان الزمن قد تغير وان المرأة أضحت هى التى تعيل وما أشبه ذلك من أنماط التعليل، ولعل فى قولها (عليها السلام) (الآن) إشارة إلى هذا الجانب من الدعاوى التى تحكم بتغيير أحكام الله متعلقة بأن الزمن قد تغير وان (الآن) غير (ما كان).

قال تعالى: «لا تبدل لكلمات الله»⁽⁷⁾.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدور وان حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة»⁽⁸⁾.

لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام)

مسألة: يحرم القول بان لا ارث لها (عليها السلام) فانه من مصاديق (قال الله وأقول)، وحكم بغير ما أنزل الله، وتكذيب لآل الله.

ص: 280

1- سورة النور: 55.

2- راجع المناقب: ج 3 ص 63

3- سورة المائدة: 47.

4- راجع تفسير العياشى: ج 1 ص 325 ح 130 سورة المائدة.

5- سورة المائدة: 50.

6- أى الحكم بالجاهلية.

7- سورة يونس: 64.

8- بصائر الدرجات: ص 148

وكذلك يحرم القول بكل ما يخالف الإسلام أصولاً وفروعاً، مع اختلاف درجات الحرمة قوة وضعفاً، بلحاظ المتعلق والمنسوب إليه والملابسات وما أشبهه.

ابتغاء حكم الجاهلية

مسألة: يحرم (ابتغاء حكم الجاهلية) بصورة عامة، والتحريم فى خصوص حكمها (عليها السلام) فى الإرث نظراً لانتطابق عناوين أخرى محرمة عليه (1) أشد.

وابتغاء حكم الجاهلية له ثلاثة مصاديق:

1: العمل وفق حكم الجاهلية.

2: القول بحكم الجاهلية.

3: الاعتقاد بحكم الجاهلية فيما يضر فيه الاعتقاد على خلاف الحق.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا على اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك» وذلك فى قصة خالد حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اللهم انى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» (2).

وفى حديث سنن الإمام الصادق (عليه السلام): «أفيعتد بشيء من أمر الجاهلية؟ فقال (عليه السلام): إن أهل الجاهلية ضيعوا كل شيء من دون إبراهيم (عليه السلام) إلا الختان والتزويج والحج فانهم تمسكوا بها ولم يضيعوها» (3).

قال تعالى: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» (4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا وكل مأثرة أو بدعة كانت فى الجاهلية أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى» (5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أيها الناس إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، إن العرب ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق فمن تكلم به فهو عربى، ألا أنكم من آدم

ص: 281

1- ككونه تكذيباً لسيدة النساء (عليها السلام)، وإيذاء لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، وتضييقاً على آل البيت (عليهم السلام) بحرمانهم من مصدر اقتصادى كبير كان يصب على أيديهم لصالح الدين والفقراء وغير ذلك.

2- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 173 المجلس 32 ح 7.

3- علل الشرائع: ص 414.

4- سورة الأحزاب: 33.

5- تفسير القمى: ج 1 ص 171 سورة المائدة.

وَأَدَمَ مِنْ تَرَابٍ وَأَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ»(1).

ثم إن حكم الجاهلية أعم من الحكم الذى كان موجوداً فى الجاهلية وخالف الإسلام، وما لم يكن بحكم الإسلام وان لم يكن حكماً موجوداً فى الجاهلية، ومن مصاديقه أنواع البدع.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار»(3).

هذا وقد ابتدعوا صلاة التراويح وقال فيها: «بدعة ونعمة البدعة»(4).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس ان النافلة بالليل فى رمضان جماعة بدعة... فان قليلاً من سنة خير من كثير فى بدعة، ألا أن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار»(5).

لا أحد أحسن من الله حكماً

مسألة: ينبغى بيان انه ليس أحد أحسن من الله تعالى حكماً، فانه العالم بجميع خصوصيات الإنسان وغيره.

(احسن) وان كان من باب أفعل التفضيل إلا ان المراد به هنا المصدر وهو (الحسن)، إذ من الواضح ان حكم غير الله لا حسن فيه حتى يقابله حكم الله الأحسن، بل حكم الله - الذى تجلى فى الإسلام - هو الحسن بلا منازع.

وذلك مثل «أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى»(6) ومثل «أذلك خير نزلاً»(7) وأمثالهما من الآيات والروايات والتعابير البلاغية.

ص: 282

1- تفسير القمى: ج 2 ص 322 سورة الحجرات.

2- علل الشرائع: ص 492.

3- كشف الغمة: ج 2 ص 134.

4- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 12 ص 258 ب 223.

5- الصراط المستقيم: ج 3 ص 26.

6- سورة القيامة: 34-35.

7- سورة الصافات: 62.

إن قلت: حكم العقل أيضاً حسن(1).

قلت: حكم العقل شعبة من شعب حكم الله، إذ العقل حجة الله الباطنية كما أن الأنبياء (عليهم السلام) حجة الله الظاهرة(2)، ولذا قيل: العقل نبي من باطن والنبي عقل من خارج، وورد أن أول ما خلق الله العقل وقال له: بك أثيب وبك أعاقب(3) هذا لو قيل بان للعقل حكماً، وإلا فعلى القول بأنه مدرک لا غير فالإشكال منتف موضوعاً.

وليس المراد من القوم الجماعة فحسب، بل هو تعبير بلاغى يشمل كل فرد فرد أيضاً، كما انه ليس المراد به خصوص الرجال بل يشمل النساء أيضاً.

لا حسن فى غير حكم الله

مسألة: يحرم القول، بان غير حكم الله حسن استناداً إلى أدلة استحسانية يؤدي إليها العقل القاصر، كالقول بان الشطرنج رياضة فكرية، وان الغناء محفز نفسانى، وان الرقص رياضة جسمانية، وهكذا وهلم جرا.

والمفاضلة بين حكمه تعالى وحكم غيره لاستنتاج أن حكم الغير حسن وحكمه أحسن أيضاً فيه إشكال.

وقولها (عليها الصلاة والسلام): (وانتم تزعمون ان لا ارث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون).

فان عدم إرث البنات من الآباء كان حكماً جاهلياً(4)، والله سبحانه وتعالى نسف ذلك الحكم بحكمه: «للمذكر مثل حظ الانثيين»(5) فالإناث يرثن أيضاً، إلا أن للأنثى نصف ما للمذكر من الإرث.

ص: 283

1- كحكمه بقبج الظلم وحسن العدل والإحسان و...

2- قال الإمام الصادق (عليه السلام): «يا هشام ان لله على الناس حجبتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسول والأئمة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» «تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 25، وتحف العقول: ص 383».

3- مستطرفات السرائر: ص 621.

4- راجع فقه القرآن: ج 2 ص 352.

5- سورة النساء: 11.

كما أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصبي الصغير ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً.

وكانوا لا يعطون الميراث إلا لمن يقاتل.

وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً..

فلما أنزل الله فرائض الموارث وصبروا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا انطلقوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنذكره ذلك لعله يدعه أو يغيره، فأتوه فقالوا: يا رسول الله للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها! ويعطى الصبي الصغير الميراث! وليس أحد منهما يركب الفرس ولا يجوز الغنيمة ولا يقاتل العدو؟!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بذلك أمرت»(1).

كما أن الموارث كانت عند بعضهم على الأخوة لا على الرحم، وكانوا يورثون الحليف والموالي الذين اعتقوهم، ثم نزل بعد ذلك «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»(2).

قولها (عليها السلام): (أفلا تعلمون) أى: أفلا تعلمون بأن الله سبحانه وتعالى جعل للبنات الإرث، كما جعل ذلك للذكور، نعم لو كان له ولد واحد أو بنت واحدة فانه - أو إنها - يرث الإرث كله ولا يشترك معه - أو معها - من ليس فى طبقته أو طبقته.

لا يقال: لماذا لم تتعرض الزهراء (عليها السلام) فى الاحتجاج إلى ان فدك نحلة لها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع العلم أنها قد كانت نحلة لها بالفعل؟

لأنه يقال: هذه الخطبة كانت بعد يأسها عن قبول القوم (النحلة)، إذ كانت الخطبة كما ذكر جماعة من المحققين بعد ما رفضوا شهادة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ومن شهد معه على أنها، نحلة لها فتمسكت بحديث الميراث لأنه من ضروريات الدين، مما صرح به فى القرآن الحكيم.

وهذا من إلزام الخصم بما لا مفر له منه، وهو من الحكمة إذ كان يراد لهذه الخطبة ان تكون قوية مفعمة لا تترك ثغرة يمكن الغمز منها وعبرها وبها.

فحيث أنكر القوم بأن فدكاً نحلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) وصبوا كلامهم على انه

ص: 284

1- تفسير القمى: ج 1 ص 154 سورة النساء.

2- راجع تفسير القمى: ج 1 ص 137 سورة الأنفال.

لو كان لها فو من باب الإرث، وان الرول (صلى الله عليه وآله) قال: (نن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)(1) لذلك صبت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كلامها حول إثبات الإرث لها، حتى انهم إذا أنكروا النحلة وجب أن يعترفوا بأن فدك إرث لها فلا وجه لاغتصابها منها.

لا يقال: إذا كانت فدك إرثاً ورثت منها مع الزهراء (عليها الصلاة والسلام) زوجاته (صلى الله عليه وآله) أيضاً فلم تكن لها وحدها؟

لأنه يقال: هذا الجواب من قبيل الاستدلال بمسلمات الطرف مما يسمى بالجدل بالاصطلاح المنطقي(2) وحتى إذا فرض ان للزوجات معها شىء منها - على تقدير كونه إرثاً - فالقسم الأكبر من فدك يكون للزهراء (عليها الصلاة والسلام) دون شك فلماذا تمنع عنها بالكامل(3)؟

وعلى أى حال، فدك لها إما نحلة أو ارث - بكاملها أو بمعظمها - فلا وجه ولا مسوغ لمنعها كلاً عنها (صلوات الله عليها).

(أفلا تعلمون): استفهام إنكارى.

(يوقنون): أى بالله، أو بهذه الحقيقة، أو بالمآل، أو بجمعها.

(اليقين) كاشف عن الواقع ولا يطلق على الجهل المركب، فالموقن هو الذى يعلم أن حكم الله هو الحكم الأحسن.

والعلم فى (أفلا تعلمون) يراد به المطابق للواقع واطلاقه على الجهل المركب مجاز، ومن استخدام العالم الحقيقى كأهل البيت (عليهم السلام) كلمة العلم يستكشف أن مطابقه هو (الحق) دون ريب أو شك.

ص: 285

1- حيث افتراه القوم على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

2- إذ الطرف وهو أبو بكر ومن حوله، كزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) كانوا مدعين بعدم حق لزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) فى فدك.

3- خاصة إذا لاحظنا ان الزوجة - كما هو المعروف بين الفقهاء - لا ترث من الأرض لا من عينها ولا من قيمتها، وان ورثت من قيمة الأبنية والأشجار، قال الإمام المؤلف (دام ظله) فى (المسائل الإسلامية) ص 612 ط 38: (المسألة 3240: لا ترث الزوجة من الأرض، لا من عينها ولا من قيمتها، ولا ترث من عين الآلات والأبنية والأشجار ولكن ترث من قيمتها).

من أساليب الدعوة

مسألة: من أساليب الدعوة ومن طرق الحرب الإعلامية ومن وسائل النهى عن المنكر دغدغة وجدان الظالم وتذكيره بالحقبة الصارخة من جهة، ومن جهة أخرى كشف القناع للشعب عن أن المعتدى يعرف الحقيقة بصورة كاملة ومع ذلك يجحدها ويتخذها ظهرياً.

ولعل من هذين المنطلقين كان قولها (عليها السلام): (بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أنى ابنته) فهى تشير إلى أنهم أضحوا مصداق قوله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»⁽¹⁾ وذلك مما يسبب التحريض ضد الظالم أكثر فأكثر وهو واجب فى الجملة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قم المقدسة

محمد الشيرازى

ص: 286

إلى هنا تم بحمد الله تعالى

المجلد الثالث من فقه الزهراء (عليها السلام)

وقد اشتمل على القسم الثاني من الخطبة الشريفة

وسيأتي بعده المجلد الرابع (وهو القسم الثالث) من الخطبة

ويبدأ بقولها (عليها السلام): (أيها المسلمون، أغلب على إرثي)

إن شاء الله تعالى

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان ص.ب: 6080 شوران

البريد الإلكتروني: almojtaba@shiacenter.com

ص: 287

من مصادر التهميش

q القرآن الكريم

q نهج البلاغة

q الصحيفة السجادية

q مفاتيح الجنان / للمحدث القمي

q الدعاء والزيارة / للإمام الشيرازي

q إذا قام الإسلام في العراق / للإمام الشيرازي

q إرشاد القلوب / للديلمى

q أعلام الدين

q إعلام الوري / للطبرسي

q إلى حكم الإسلام / للإمام الشيرازي

q إلى نهضة ثقافية إسلامية / للإمام الشيرازي

q إنقاذ المسلمين / للإمام الشيرازي

q الإرشاد / للشيخ المفيد

q الأصول / للإمام الشيرازي

q الإقبال /

q الأمالي / للشيخ الصدوق

q الأمالي / للشيخ المفيد

q الاختصاص / للشيخ المفيد

q البلاغة / للإمام الشيرازي

q البلد الأمين / للشيخ الكفعمي

q التحصين / للسيد ابن طاووس

q التحصين / للشيخ ابن فهد

q التوحيد / للشيخ الصدوق

ص: 288

q الجعفریات

q الجمیل / للشیخ المفید

q الخرائج والجرائح / للراوندى

q الخصال / للشیخ الصدوق

q السبیل إلى إنهاض المسلمین / للإمام الشیرازی

q الصراط المستقیم / للبیاضی

q الصوارم المهرقة

q الصیاعة الجديدة / للإمام الشیرازی

q الطرائف / للسید ابن طاووس

q العدد القویة

q العمدة / لابن بطریق

q الغدير / للعلامة الأملنی (رحمة الله) .

q الفصول المختارة / للسید المرتضی

q الفضائل: لابن شاذان

q الفضیلة الإسلامیة / للإمام الشیرازی

q الفقه: الآداب والسنن / للإمام الشیرازی

q الفقه: الإدارة

q الفقه: الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر

q الفقه: الاجتماع

q الفقه: الاقتصاد

q الفقه: الجهاد

q الفقه: الحريات

q الفقه: الحقوق

q الفقه: الدولة الإسلامية

q الفقه: السلام.

ص: 289

q الفقه: السياسة

q الفقه: العقائد

q الفقه: القانون

q الفقه: القواعد الفقهية

q الفقه: المحرمات

q الفقه: المرور

q الفقه: المستقبل

q الفقه: المكاسب المحرمة

q الفقه: النظافة

q الفقه: حول القرآن الحكيم

q الفقه: طريق النجاة

q الفقه: الأطعمة والأشربة

q القطرات والذرات / للإمام الشيرازي

q الكافي / للشيخ الكليني

q اللهوف

q المؤمن

q المتخلفون مليارا مسلم / للإمام الشيرازي

q المحاسن

q المزار

q المسائل الإسلامية / للإمام الشيرازي

q المسائل الجارودية

q المسلمون يتضررون / للإمام الشيرازي

q المقنعة

q مناقب آل أبي طالب / لابن شهر آشوب

q الهجوم على بيت فاطمة: لعبدالزهرء مهدي

ص:290

q الهدى إلى دين المصطفى: للإمام البلاغى

q اليقين / للسيد ابن طاووس

q بحار الأنوار: للعلامة المجلسى

q بشارة المصطفى / للطبرى

q بصائر الدرجات / للصفار

q بلاغات النساء / لابن طيفور

q تأويل الآيات / للاستراآبادى

q تحف العقول /

q تفسير الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) / منسوب إلى الإمام العسكرى (عليه السلام)

q تفسير العياشى / للعياشى

q تفسير القمى / لعلى بن إبراهيم القمى

q تفسير فرات الكوفى: للفرات الكوفى

q تنبيه الخواطر ونزهة النواظر

q ثواب الأعمال وعقاب الأعمال / للشيخ الصدوق

q جامع الأخبار

q جمال الأسبوع / للسيد ابن طاووس

q خصائص الأئمة / للسيد الرضى

q دعائم الإسلام / للقاضى النعمان

q الدعوات: للراوندى

q ديوان الإمام على (عليه السلام) / منسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام)

q روضة الواعظين / للفتال النيشابورى

q سفينة البحار: للمحدث القمى

q شرح نهج البلاغة: لابن أبى الحديد

q شرح منظومة السبزوارى / للإمام الشيرازى

q شواهد التنزيل / للحاكم الحسكاني

ص: 291

q صفات الشيعة / للشيخ الصدوق

q طب النبي (صلى الله عليه وآله)

q عدة الداعي

q علل الشرائع / للشيخ الصدوق

q عوالم العلوم، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام): للبحراني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عج).

q عيون أخبار الرضا (عليه السلام)

q غرر الحكم ودرر الكلم / للآمدي

q غوالي اللئالي

q الغيبة: للشيخ الطوسي

q فضائل الأشهر الثلاثة / للشيخ الصدوق

q فقه القرآن

q قرب الإسناد

q قصص الأنبياء: للجزائري

q كتاب سليم بن قيس: لسليم بن قيس الهلالي

q كشف الريبة

q كشف الغمة / للإربلي

q كشف اليقين / للعلامة الحلبي

q كفاية الأثر / للخزاز القمي

q كلمة الله: لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (ت 1400)

q كمال الدين / للشيخ الصدوق

q كنز الفوائد / للكراچكي

q كيف ينظر الإسلام إلى السجين / للإمام الشيرازي

q لاحتجاج / للطبرسي

q لسان العرب / لابن منظور

q لماذا تأخر المسلمون / للإمام الشيرازي

ص: 292

q متشابه القرآن / لابن شهر آشوب المازندراني

q مشير الأحزان

q مسائل على بن جعفر (عليه السلام)

q مستدرک الوسائل / للنوري

q مستطرفات السرائر

q مشكاة الأنوار

q مصادقة الأخوان

q مصباح الشريعة: منسوب إلى الإمام الصادق (عليه السلام)

q مصباح الكفعمي: للشيخ الكفعمي

q مصباح المتعجب / للشيخ الطوسي

q معاني الأخبار / للشيخ الصدوق

q مكارم الأخلاق / للطبرسي

q ممارسة التغيير لإتقاد المسلمين / للإمام الشيرازي

q من لا يحضره الفقيه

q منية المرید / للشهيد الثاني

q مهج الدعوات

q نحو يقظة إسلامية / للإمام الشيرازي

q وقعة صفين / لنصر بن مزاحم

q ولأول مرة في تاريخ العالم ج 12 / للإمام الشيرازي

7	مقدمة المؤلف.....
9	نداء الناس.....
12	من أحكام النداء.....
15	التعريف بالنفس.....
19	لماذا (وأبى محمد)؟.....
24	التأكيد والتكرار.....
26	عصمتها (عليها السلام).....
27	حرمة القول بالغلط.....
29	لماذا رسول من أنفسكم؟.....
30	من مواصفات القائد.....
31	الحرص على الرعية.....
33	بين الرأفة والرحمة.....
35	التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله).....
37	الانتساب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله).....
38	أخ الرسول (صلى الله عليه وآله).....
41	ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام).....
43	الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله).....
46	تبليغ الرسالة.....

- الإندازار أبداً..... 48
- الميل عن طريقة المشركين..... 51
- التشبه بالكفار..... 52
- التركيز على أئمة الكفر..... 53
- منهج التصدى للأعداء..... 54
- استعراض قوة الإسلام..... 56
- الدعوة بالحكمة..... 57
- القضاء على الأصنام..... 59
- القضاء على أئمة الضلال..... 61
- تخليد ذكرى القائد..... 62
- مواصلة المعركة..... 63
- الحقيقة الكاملة..... 65
- إسناد زعماء الدين..... 68
- إسكات أصوات الشياطين..... 69
- القضاء على النفاق..... 72
- حل مراكز قوى الأعداء..... 74
- وجوب النطق والتجاهر بكلمة الإخلاص..... 75
- التقوى والزهد من المقومات..... 77
- تذكر النعم السابقة..... 79
- حرمة إذلال المؤمن نفسه..... 84

88	العزّة في كل شؤون الحياة.....
89	الإرشاد لمواطن الضعف.....
89	حرمة الاستسلام للاستعمار.....
91	كراهة شرب الطرق.....
93	كراهة أكل القد والورق.....
95	الذلة النفسية والسياسية.....
98	انتهاج منهج الجاهليين.....
101	ضمانات للمستقبل.....
105	حرمة الاختطاف والعنف.....
109	إنقاذ المسلمين.....
110	الإنقاذ يكون من الله وبالعامل بمنأهجه.....
115	التبهيه على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله).....
118	المخرج من المشاكل.....
122	بهم الرجال وذؤبانهم.....
124	مذمومة الصفات السبعية.....
125	المعارضة: علماء وجهلة.....
128	استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله).....
130	حرمة إشعال الحروب.....
131	وجوب إطفاء الحرب.....
134	أصالة السلم.....
135	الحروب الدفاعية.....

137	إسناد الأفعال لله
141	إعداد العدة
142	المبادرة
143	ترصد الفتن
146	الموقف المناسب
147	الأدب التصويرى
148	التعرض لصفات الإمام (عليه السلام) والتعريف به
150	التهلكة
152	وجوب التضحية
153	بين التخصص والتوزيع
154	التصدى بسرعة
155	التضحية بالمهم
156	التركيز على مركز الفساد
156	التضحية حتى بالأحب
157	انتخاب الكفو
160	ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله)
162	الشهادة الثالثة فى الأذان
164	التراجع
165	الأقل والأكثر الإرتباطيان
166	إذلال الكفار
168	إذلال رؤوس الفتن

169	اخماد لهب النيران
170	علم التاريخ
173	الكذ حسن أم قبيح؟
176	الكذ فى ذات الله
177	وجه الاستدلال على الخلافة
179	أصالة الأسوة
181	من صفات القائد
183	القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله)
186	ذكر الفضائل
186	مقتضى السيادة المطلقة
188	الإخبار فى مقام الإنشاء
189	على أهبة الاستعداد
191	النصيحة لله
195	الجد والكذح
198	هل الرفاهية مذمومة؟
199	مواساة الشعب للقائد
208	تربص الدوائر بالمؤمنين
211	التجسس والتحصن والتوكف
213	الإحجام عن المعركة
214	من حقوق المعارضة

216	الفرار من الزحف.....
219	الإرشاد للنواقص.....
220	معاينة القائد والامة.....
222	تكاملية الدنيا والآخرة.....
224	الإحياء والإماتة بيد الله.....
226	أقسام النفاق.....
228	إظهار النفاق محرم.....
233	المحافظة على نضارة الدين.....
236	تستر أهل الضلالة.....
237	لزوم الحذر.....
237	الفاعل والساكت الراضى.....
240	من أساليب المبطلين.....
241	دراسة سنن الحياة.....
242	الشیطان فى مسرح القلوب.....
244	مواصفات المعارضين للإمام (عليه السلام).....
245	فسح المجال لقوى الشر.....
247	مكامن الشيطان.....
250	الاستجابة للشيطان.....
252	الثبات على العقيدة.....
253	أرضية الاستجابة.....

254 الاغترار الفكرى والعاطفى
257 التراجع عن الدين
259 هل الأصحاب كالنجوم؟
263 الأصل: النهضة أم التحفظ؟
266 من أسلحة الشيطان
267 الشيطان وسياسة الخطوة خطوة
269 التصرف فى ملك الغير
271 مصادرة الحقوق
274 جواز الكناية
275 حرمة نقض العهد
278 وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)
280 التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام)
286 المسارعة للشر
289 تبرير المعصية
291 مثلث المعصية
293 السقوط فى الفتن
294 مصادر شيعية فى قصة حرق الباب و...
302 مصادر سنية فى قصة حرق الباب و...
311 الكفر موضوعا وحكما
316 نافذة نحو العالم الآخر

323	جمع القرآن.....
324	عدم تحريف القرآن.....
324	حجية الكتاب.....
326	القرآن كالشمس.....
328	الأحكام الزاهرة.....
329	من العلامات القرآنية.....
334	من النواهي الإلهية.....
335	ومن الأوامر الإلهية.....
337	من مميزات القانون الإلهي.....
338	هجر القرآن وتركه.....
339	اتباع من هجر القرآن.....
341	الرغبة عن القرآن.....
343	الحكم بغير القرآن.....
350	أقسام الظلم.....
353	أصول الدين.....
358	الطريق إلى الله.....
359	الخلافة والظلم.....
364	الحيطة من أهل الباطل.....
365	أقسام المكر.....
367	الإعانة على الإثم.....

- 368التفكيك بين الظلم والظالم.
- 370الرضا بفعل الظالم.
- 371تقوية شوكة الظالمين.
- 373ما يؤدي إلى الغضب.
- 375الاستجابة لهتاف الشيطان.
- 377التحذير من مساوى الشيطان.
- 381مقتضى الأصل فى هتاف الشيطان.
- 382إطفاء نور الدين.
- 383الدين جلى واضح.
- 384هل للدين أنوار؟
- 387إلغاء سننه (صلى الله عليه و آله) محرم.
- 390هل المكر محرم؟
- 392حسن الحذر والاحتياط.
- 393حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام).
- 395من هم أهل بيت النبى (ص).
- 396الأسباط أبناء.
- 397وجوب الصبر فى الجملة.
- 398إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام).
- 403مما يستحب للمظلوم.
- 404المظلوم والرأى العام.

405	صبر القائد.....
406	أسلوب مواجهة الطغاة.....
409	الساكت على الظلم.....
410	تطويق الباطل.....
412	متى يجوز النقل بالمضمون.....
412	الحكم بفسقهم.....
413	أحكام الله لا تتبدل.....
414	لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام).....
414	ابتغاء حكم الجاهلية.....
416	لا أحد أحسن من الله حكماً.....
418	لا حسن في غير حكم الله.....
422	من أساليب الدعوة.....
425	من مصادر التهميش.....
431	الفهرس.....

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

